كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦هـ - ٩٧٦م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

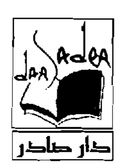
الدكتور إبراهيم السعافين　　　الأستاذ بكر عباس

المجلد العاشر

دار صادر

بيروت

جَميع الحُقوق محفوظَة
الطبعَة الأولى
1423هـ -2002 م
الطبعة الثانية
1426هـ - 2005م
الطبعة الثالثة
1429هـ - 2008م



تأسست سنة 1863
ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*
P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270
e-mail: dsp@darsader.com
http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Iṣphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[156] ـ أخبار دريد بن الصمة ونسبه[1]

[نسبه]

هو دُرَيْد بن الصِّمَّة . واسم الصِّمَّة ، فيما ذكر أبو عمرو ، معاويةُ الأصغر بن الحارث بن معاوية الأكبر بن بكر بن عَلَقة ، وقيل عَلقَمة ، بن خُزاعة بن غَزِيَّة بن جُشَمَ بن معاوية بن بكر بن هوازِن . وأما أبو عبيدة فقال : هو دريد بن الصِّمَّة ، واسمه معاوية بن الحارث بن بكر بن عَلَقة ولم يذكر معاوية . وقال ابن سَلاَّم : الحارث بن معاوية بن بكر بن عَلَقة .

[صفاته]

ودريد بن الصِّمَّة فارسٌ شجاع شاعر فَحل ، وجعلَه محمد بن سلام أول شعراء الفُرسان . وقد كان أطولَ الفرسان الشعراء غَزواً ، وأبعدهم أثراً ، وأكثرهم ظَفَراً ، وأيمنهم نقيبة عند العرب ، وأشعرهم دريد بن الصِّمَّة .

وقال أبو عبيدة : كان دريد بن الصِّمَّة سيد بني جُشَم وفارسهم وقائدهم ، وكان مظفَّراً ميمون النَّقيبة ، وغزا نحو مائة غزاة ما أُخفق في واحدة منها ، وأدرك الإسلام فلم يُسلِم ، وخرج مع قومه في يوم حُنين مُظاهراً للمشركين ، ولا فضل فيه للحرب ، وإنما أخرجوه تيمُّناً به وليقتبسوا من رأيه ، فمنعهم مالكُ بن عوف من قبول مشورته .

وخالفه لئلا يكون له ذِكر ، فقُتِل دريد يومئذٍ على شِركه . وخبرُه يأتي بعد هذا .

[إخوته]

وكان لدريد إخوة وهم عبد الله الذي قتلته غَطَفان ، وعبد يغوث قتله بنو مرَّة ، وقيس قتله بنو أبي بكر بن كِلاب ، وخالد قتله بنو الحارث بن كعب ، أُمُّهم جميعاً رَيحانة بنت مَعد يكرب الزُّبيدي أخت عمرو بن معد يكرب كان الصِّمَّة سباها ثم تزوجها فأولدها بَنِيه . وإياها يعني أخوها عمرو بقوله في شعره[2] : [من الخفيف]

---

1 ترجمة دريد بن الصمة في الشعر والشعراء (دار الثقافة) : 635–638 والخزانة 11 : 118–121 والسمط : 39 والمعمرين : 20 وأسماء المغتالين : 223 وانظر شرح الحماسة للمرزوقي (أحمد أمين وعبد السلام هارون) : 812 ومواضع متفرقة من أيام العرب في الجاهلية . وقد جمع شعره محمد خير البقاعي في ديوان صدر عن دار قتيبة (دمشق) .

2 ستِرد ترجمة عمرو بن معد يكرب فيما بعد ، قالوا : إن ريحانة كانت أخته أو زوجته ، وقيل بل هي موضع (الخزانة 8 : 182) .

أَمِـن رَيحانـةَ الدَّاعي السَّميعُ يؤرِّقنـي وأصحابـي هُجُـوعُ
إذا لم تَستَطِـعْ شيئـاً فَدَعْـه وجـاوِزْه إلى مـا تستطيعُ[1]

[ابنه وبنته شاعران]

وكان لدريد ابنٌ يقال له سَلَمة ، وكان شاعراً وهو الذي رمى أبا عامر الأشعري بسهم فأصاب ركبته فقتله وارتجز فقال : [من الرجز]

إن تَسألوا عنِّـي فإني سَلَمـهْ ابنُ سَمادِيـرَ لمـن تَوسَّمهْ[2]
أضرِب بالسيف رؤوسَ المُسلِمَهْ

وكانت لدريد أيضاً بنتٌ يقال لها عَمرةُ وكانت شاعرة ، ولها فيه مَراثٍ كثيرة .

[شعره في الصبر]

أخبرني بخبره هاشم بن محمد الخزاعي قال : حدثنا أبو غسان دَماذ عن أبي عبيدة وأخبرني به محمد بن الحسن بن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة ، وأخبرني بأخبار له مجموعة ومتفرقة جماعة من شيوخنا أذكرهم في مواضعهم ، وأخبرني أيضاً بخبره محمد بن خَلَف بن المرزبان عن صالح بن محمد عن أبي عمرو الشيباني وقد بيَّنتُ[3] رواية كل واحد منهم في موضعها ، قال أبو عبيدة سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : أحسنُ شعرٍ قيل في الصبر على النوائب قول دريد بن الصِّمَّة حيث يقول[4] : [من الطويل]

تقول ألا تَبكي أخاك ! وقـد أَرى مكانَ البكا لكن بُنِيتُ على الصبرِ
لمقتـلِ عبـدِ الله والهالـكِ الذي على الشَّرَفِ الأعلى قتيلِ أبي بكرِ[5]
وعبدِ يَغُـوث أو خليليَ خالـدٍ وعَـزَّ مُصاباً حَثـوُ قبرٍ على قبرِ
أَبـى القتـلَ إلا آلُ صِمَّةَ إنهم أَبَوْا غيرَه والقَدرُ يَجري إلى القَدْرِ
فإمـا تَرَيْنا مـا تـزالُ دماؤنـا لدى واترٍ يَشقَى بهـا آخرَ الدَّهرِ
فإنا لَلَحـمُ السيـفِ غيرَ نَكِيرةٍ ونَلحَمُـه حيناً وليس بذي نُكرِ[6]

1 شيئاً في ل : أمراً .
2 سمادير : اسم أم سلمة امرأة دريد .
3 ل : أثبت .
4 ديوانه : القطعة 22 وشرح الحماسة (المرزوقي) : 2 : 822–827 وفي روايته اختلاف .
5 قتيل بني أبي بكر هو قيس أخو دريد كما ذكر من قبل .
6 حيناً في ل : طوراً . ونلحمه : نطعمه اللحم .

يُغـارُ علينـا واتِريـن فيُشتَفـى بنـا إن أُصِبنا ، أو نُغِير على وِترِ
بذاكَ قَسَمنا الدَّهرَ شَطرَيْنِ قِسمةً فما يَنقضي إلا ونحـنُ على شَطْرِ

وأخبرني ابن عَمار قال : حدثني يعقوب بن إسرائيل قال حدثني محمد بن القاسم الأَسَدِي عن صاعِدٍ مولى الكُمَيت بن زيد يقول : أحسنُ شعرٍ قيل في الصبر على النوائب قولُ دريد بن الصِّمَّة ، وذكر هذه الأبيات .

[يوم اللوى ومقتل عبد الله بن الصمّة]

قال أبو عبيدة : فأما عبد الله بن الصِّمَّة فإن السبب في مقتله إنه كان غزا غَطَفان ومعه بنو جُشَمَ وبنو نَصرٍ أبناء معاوية فظفِر بهم وساق أموالهم في يوم يقال له يوم اللِّوى[1] ومضى بها . ولما كان منهم غير بعيد قال : انزلوا بنا ، فقال له أخوه دريد : يا أبا فُرْعان ، وكانت لعبد الله ثلاثُ كُنىً : أبو فُرعان ، وأبو ذُفافة ، وأبو أوفى ، وكلُّها قد ذكرها دريد في شعره : نشدتُك الله ألاّ تنزل فإن غَطَفان ليست بغافلةٍ عن أموالها ، فأقسم لا يَرِيم حتى يأخذ مرباعَه[2] وينقع نقيعَه[3] ، فيأكل ويُطعِم ويَقسِمَ البقية بين أصحابه ، فبينا هم في ذلك وقد سطعتِ الدواخن ، إذا بغبار قد ارتفع أشدَّ من دخانهم ، وإذا عبسٌ وفزارة وأشجع قد أقبلت فقالوا لربيئتهم[4] : انظر ماذا ترى ؟ فقال أرى قوماً جِعاداً كأن سرابيلهم قد غُمست في الجادي[5] قال : تلك أشجع ، ليست بشيء . ثم نظر فقال : أرى قوماً كأنهم الصبيان ، أسنتهم عند آذان خيلهم . قال : تلك فزارة . ثم نظر فقال : أرى قوماً أُدماناً[6] كأنما يحملون الجبل[7] بسوادهم ، يَخُدُّون[8] الأرض بأقدامهم خَداً ، ويَجُرُّون رماحهم جَراً ، قال : تلك عبسٌ والموت معهم ! فتلاحقوا بالمنعرج من رميلة اللِّوى فاقتتلوا فقتل رجلٌ من بني قاربٍ وهم من بني عبس عبد الله بن الصِّمَّة فتنادوا : قُتِل أبو ذُفافة ! فعطف دريد فذَبَّ عنه فلم يُغنِ شيئاً . وجُرِح دريد فسقط فكَفُّوا عنه وهم يرون أنه قُتل ، واستنقذوا المال ونجا مَن هرب . فمرّ الزَّهدمان وهما من بني عبس ، وهما زَهدمٌ وقيس ابنا حزن بن وهب بن رواحة وإنما قيل لهما الزَّهدمان تغليباً لأشهر الاسمين عليهما ، كما قيل

1 اللوى : واد لبني سليم .
2 المرباع : ربع الغنيمة وهو حظ الرئيس في الجاهلية .
3 النقيع : ما ينقع في الماء وينصرف إلى النبيذ . والنقيعة : جزور تنحر للأضياف .
4 الربيئة : الطليعة .
5 الجادي : الزعفران .
6 أدمان : جمع آدم وهو الأسمر .
7 ل : الأرض .
8 يخدون : يشقون .

العمران لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، والقمران للشمس والقمر . قال دريد : فسمعت زهدماً العبسيَّ يقول لكردم الفزاري إني لأحسب دريداً حياً فانزل فأجهز عليه ، قال : قد مات ، قال : انزل فانظر إلى سُبَّته[1] هل ترمَّزُ[2] ؟ قال دريد : فسددتُ من حِتارها[3] أي من شَرَجها ، قال فنظر فقال : هيهات ، أي قد مات ، فولَّى عني ، قال ومال بالزُّجِّ في شَرَج دريد فطعنه فيه فسال دمٌ كان قد احتقن في جوفه ، قال دريد فعرفت الخِفَّة حينئذٍ فأمهلتُ ، حتى إذا كان الليلُ مشيتُ وأنا ضعيف قد نَزَفني الدم حتى ما أكاد أبصِر ، فجُزت بجماعةٍ تسير فدخلتُ فيهم ، فوقعتُ بين عُرقوبي بعير ظعينة ، فنفَر البعير فنادت : نعوذ بالله منك ، فانتسبتُ لها فأَعلمتِ الحيَّ بمكاني ، فغُسل عنّي الدم وزُوِّدتُ زاداً وسِقاء فنجوت . وزعم بعض الغطفانيِّين أن المرأة كانت فزارية وأن الحيَّ كانوا عِلموا بمكانه فتركوه ، فداوته المرأة حتى برأ ولحِق بقومه . قال : ثم حجَّ كردم بعد ذلك في نَفَر من بني عبس ، فلما قاربوا ديار دريد تنكَّروا خوفاً ، ومَرَّ بهم فأنكرهم ، فجعل يمشي فيهم ويسألهم من هم ؟ فقال له كردم . عمَّن تسأل ؟ فدفعه دريد ، وقال : أمّا عنك وعمَّن معك فلا أسأل أبداً ، وعانقه ، وأهدى إليه فرساً وسلاحاً ، وقال له : هذا بما فعلتَ بي يوم اللِّوى .

وقال دريد يرثي أخاه عبد الله[4] : [من الطويل]

أرَثَّ جديدُ الحبلِ من أُمِّ معبدِ ... بعاقبةٍ وأَخلفتْ كلَّ موعدِ[5]

وبانتْ ولم أحمَدْ إليكَ جِوارَها ... ولم ترجُ منّا رِدَّةَ اليومِ أو غَدِ

وهي طويلة وفيها يقول :

أعاذِلَتي كلُّ امرىء وابنُ أُمِّه ... متاعٌ كزادِ الراكبِ المتزوِّدِ

أعاذلَ إن الرُّزءَ أمثالُ خالدٍ ... ولا رُزءَ مما أهلَكَ المرءُ عن يدِ[6]

نصحتُ لعارضٍ وأصحابِ عارض ... ورهط بني السَّوداء والقومُ شُهَّدي[7]

---

1 سبته : استه .

2 وترمز : تضطرب .

3 الحتار : ما أحاط بالشيء .

4 ديوانه : القصيدة 15 ، وفيه تخريج كافٍ لها .

5 بعاقبة : أي بآخرة .

6 ذكر أبو الفرج إخوة دريد ومنهم خالد وعبد الله . وقد روى التبريزي في شرح الحماسة أن عبد الله وعارضاً وخالداً ثلاثة أسماء لعبد الله (انظر حاشية محققي شرح المرزوقي ص 812) .

7 رهط بني السوداء : أصحاب عبد الله .

فقلتُ لهم ظُنوا بألفَيْ مدجَّج سَراتُهمُ في الفارسيّ المُسَرَّدِ[1]
أمرتُهمُ أمري بمُنعَرَجِ اللِّوى فلم يَستبينوا الرُّشدَ إلا ضُحى الغَدِ
فلما عَصَوني كنتُ منهم وقد أُرى غَوايتَهم وأنّني غيرُ مهتدِ
وهل أنا إلا مِنْ غَزِيةَ إن غَوَتْ غَوَيتُ ، وإن تَرشُد غَزيةُ أرشُدِ
دعاني أخي والخيلُ بيني وبينه فلما دعاني لم يَجِدْني بقُعدُدِ[2]
تنادَوا فقالوا أُردَتِ الخيلُ فارساً فقلتُ أعبدُ اللهِ ذلكمُ الرَّدِي
فإن يَكُ عبدُ اللهِ خلَّى مكانَه فلم يَكُ وَقَّافاً ولا طائشَ اليدِ[3]
ولا بَرِماً إذا الرياحُ تناوحتْ برَطبِ العِضاه والهَشِيم المعضَّدِ[4]
نظرتُ إليه والرِّماحُ تَنُوشُه كوَقعِ الصَّياصِي في النَّسِيج المُمدَّدِ[5]
فطاعنتُ عنه الخيلَ حتى تبدَّدتْ وحتى عَلاني أشقرُ اللون مُزبدُ[6]
فما رِمتُ حتى خرَّقتني رماحُهم وغُودِرتُ أكبو في القَنا المتقصِّدِ[7]
قِتالَ امرىءٍ واسَى أخاه بنفسِه وأيقنَ أنَّ المرءَ غيرُ مخلَّدِ
صبورٌ على وقعِ المصائبِ حافظٌ من اليوم أعقابَ الأَحاديثِ في غَدِ

في بعض هذه الأبيات غناء وهو : [من الطويل]

صوت

[علي يتمثل بشعره]

أمرتُهُمُ أمري بمنعَرَجِ اللِّوى فلم يَستبينوا الرُّشدَ إلا ضُحى الغدِ
فلما عصَوني كنتُ منهم وقد أُرى غَوايتَهم وأنّني غيرُ مهتدِ
وهل أنا إلاّ من غَزِيَّةَ إن غَوَتْ غَوَيتُ وإن تَرشُد غَزيةُ أَرشُدِ

1 ظنوا : أيقنوا .
2 القعدد : الجبان اللئيم الذي يقعد عن المكارم .
3 خلى في ل : يخلى .
4 البرم : الضَّجر . تناوحت الرياح : هبت صبا مرة وشمالاً مرة وجنوباً مرة ، وذلك آية الجدب .
5 الصياصي : جمع صيصية وهي شوكة الحائك .
6 في هذا البيت إقواء . ورواية الحماسة :
فطاعنت عنه الخيل حتى تنفست وحتى علاني حالك اللون أسودي
7 المتقصد : المتكسر .

الغناء ليحيى المكي ثاني ثقيلٍ بالسبابة في مجرى البنصر من رواية ابنه أحمد ، وذكره إسحاق في هذه الطريقة ولم ينسبُه إلى أحمد . وهذه الأبيات تمثَّل بها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند مُنصَرَفِه من صِفِّين .

حدثني أحمد بن عيسى بن أبي موسى العِجلي قال حدثنا حسين بن نصر بن مُزاحِم قال حدثنا عمر بن سعيد عن أبي مِخنَف عن رجاله أن علياً عليه السلام لما اختلفت كلمةُ أصحابه في أمر الحَكَمَيْن وتفرقت الخوارجُ وقالوا له ارجع عن أمر الحَكَمَيْن وتُب واعترف بأنّك كفرتَ إذ حَكَّمتَ ، ولم يَقبل ذلك منهم ، وخالَفوه وفارقوه تمثَّل بقول دُريد : [من الطويل]

أمرتُهُم أمري بمُنعَرَجِ اللِّوى فلم يَستبينوا الرُّشدَ إلا ضُحى الغدِ

الأبيات .

[عبد الله وأسماؤه وكناه]

قال أبو عبيدة : كانت لعبد الله بن الصِّمَّة ثلاثةُ أسماءٍ وثلاثُ كُنىً : عبد الله ومَعبَد وخالد . ويكنى أبا ذُفافةَ وأبا فُرعانَ وأبا أُوفى . وقال دريد[1] : [من البسيط]

أبا ذُفافةَ مَنْ للخيل إذ طُرِدْتَ فاضطرَّها الطعنُ في وَعثٍ وإيجافِ[2]

يا فارسَ الخيلِ في الهَيجاءِ إذ شُغِلتْ كلتا اليدين دَرُوراً غيرَ وَقافِ[3]

[أفضل بيت في الصبر]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة عن يونس أنه كان يقول : أفضلُ بيت قالته العرب في الصبر على النوائب قولُ دريد بن الصِّمَّة : [من الطويل]

قليلُ التَّشكِّي للمُصيباتِ حافظٌ من اليوم أعقابَ الأحاديثِ في غدِ

[طلق زوجته لأنها عاتبته على بكائه أخاه]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء عن الزُّبير عن أبي المُهاجِر ، وذكر مثلَه أبو عمرو الشَّيباني ، أن أُم مَعبد التي ذكرها دريد في شعره هذا كانت امرأتَه فطلَّقها ، لأنها رأته شديد الجَزَع على أخيه ، فعاتبته على ذلك وصغَّرت شأن أخيه وسبَّته ، فطلَّقها وقال فيها : [من الطويل]

أرَثَّ جديدُ الحبل مِن أمِّ مَعبدِ بعاقِبةٍ وأُخلفتْ كلَّ موعِدِ

---

1 ديوانه : القطعة 44 .

2 الوعث : الطريق الخشن . الإيجاف : سرعة السير .

3 دروراً في الديوان : كروراً .

وبانتْ ولم أحْمَدْ إليكَ جِوارَها ولم ترجُ منّا رِدّةَ اليومِ أو غدِ

فقالت له أُمُّ معبد : بئسَ واللهِ ما أثنيتَ عليَّ : يا أبا قُرَّة ! لقد أطعمتُك مأدُومي ، وبَثَثْتُك مكتومي ، وأتيتُك باهِلاً[1] غيرَ ذات صِرار وما استَفرَمتُ قبلك إلا من حيض .

وقال أبو عبيدة في خبره : بلغ دريد بن الصمة أن زوجته سبَّت أخاه فطلَّقها وألحقها بأهلها وقال في ذلك[2] : [من الوافر]

أعبدَ اللهِ إن سبَّتكَ عِرْسي تقدَّم بعضُ لحمي قبلَ بعضِ
إذا عِرسُ امرىء شتمتْ أخاه فليسَ فؤادُ شانئه بحَمضِ[3]
مَعاذَ اللهِ أنْ يشتُمنَ رَهطِي وأن يَملِكْنَ إبرامي ونَقضي

[حارب يوم الغدير طلباً بثأر أخيه]

أخبرنا هاشم بن محمد قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال : أغار دريد بن الصِّمَّة بعد مقتل أخيه عبد الله على غَطَفانَ يطالبهم بدمه ، فاستقراهم[4] حَياً حَياً ، وقتل من بني عبسٍ ساعدةَ بن مُرّ ، وأسَر ذُؤابَ بن أسماء بن زيد بن قارب ، أسَره مُرةُ بن عَوف الجُشَمِي . فقالت بنو جُشَمَ : لو فادَيناه[5] ! فأبى ذلك دريد عليهم ، وقتله بأخيه عبد الله ، وقتل من بني فزارة رجلاً يقال له حِزام وإخوة له ، وأصاب جماعةً من بني مُرّةَ ومن بني ثعلبة بن سعد ومن أحياء غَطَفان ، وذلك في يوم الغدير . وفي هذا اليوم وفي مَن قُتِل فيه منهم يقول[6] : [من المتقارب]

تأبَّد مِن أهلِه مَعشَرُ فجَوُّ سُوَيقةَ فالأَصفَرُ[7]
فجِزْعُ الحُلَيفِ إلى واسطٍ فذلكَ مَبدىً وذا مَحضَرُ
فأبلِغْ سُلَيمى وألفافَها وقد يَعطِفُ النَّسَبُ الأكبرُ[8]

1 الباهل : الناقة يصر ضرعها لئلا يرضعها ولدها . والفرم : حشية الحيض أو ما تضيق به المرأة متاعها .
2 ديوانه : القطعة 38 .
3 فؤاد حامض : فاسد متغير .
4 استقراهم : تتبعهم .
5 فاداه : أطلقه مقابل فدية .
6 ديوانه : القطعة 30 .
7 تأبد : أقفر .
8 ألفاف : قومها المجتمعون حولها ، مفردها لِفّ .

بأنّي ثأرْتُ بإخوانكم وكنتُ كأنّي بهم مُخفِرُ[1]
صبَحنا فَزارةَ سُمرَ القَنا فمَهلاً فَزارةُ لا تَضجَروا
وأبلِغْ لَدَيْكَ بَني مازنٍ فكيفَ الوَعيدُ ولم تقرِروا
فإن تَقتُلوا فِتيَةً أُفرِدوا أصابهم الحَينُ أو تَظفَروا
فإنَّ حِزاماً لدى مَعرَكٍ وإخوتَه حولَهم أنسُرُ
ويومَ يزيدِ بَني ناشِبٍ وقَبلُ يَزيدُكُم الأكبرُ
أثَرنا صَريخَ بني ناشِبٍ ورَهطَ لَقيطٍ فلا تَفخَروا
تَجُرُّ الضِّباعُ بأوصالِهم ويَلقَحْنَ منهم ولم يُقبَروا[2]

ويقول في ذلك أيضاً دريد بن الصمة في قصيدة له أخرى[3] : [من الطويل]

جَزَينا بَني عَبسٍ جزاءً موفَّراً بمقتلِ عبدِ اللهِ يومَ الذَنائبِ
ولولا سوادُ الليلِ أدرَكَ رَكضُنا بذي الرِّمثِ والأَرطى عِياضَ بنَ ناشِبِ[4]
قتلنا بعبدِ اللهِ خيرَ لِداتِه ذُؤابَ بن أسماءَ بنِ زيدِ بن قارِبِ

قال أبو عبيدة : أُنشِد عبد الملك بن مروان شعرَ دريد بن الصمة هذا فقال : كاد دريد أن ينسب ذؤابَ بن أسماء إلى آدمَ . فلما بلغ المُنشِدُ قوله : [من الطويل]

ولولا سوادُ الليلِ أُدركَ رَكضُنا بذي الرِّمثِ والأَرطى عِياضَ بنَ ناشِبِ

قال عبد الملك : ليت الشمس كانت بقيت له قليلاً حتى يُدرِكَه .

قال أبو عبيدة وقال دريد أيضاً في هذه الوقعة[5] : [من الطويل]

قَتَلْنا بعبدِ اللهِ خيرَ لِداتِه وخيرَ شَبابِ الناسِ لو ضُمَّ أجمعا
ذُؤابَ بنَ أسماءَ بن زيد بنِ قاربٍ منيتُه أُجرى إليها وأُوضَعا[6]

---

1 مخفر : نقض عهده وغدره .
2 إشارة إلى قولهم إن الضبع إذا لقيت قتيلاً قد ورم ركبت غرموله ثم أكلته .
3 ديوانه : القطعة 1 والترتيب فيه مختلف .
4 الشطر الثاني في رواية الديوان : وعبساً قتلناهم بجر بلادهم . سواد الليل في الديوان : جنان الليل . والرمث والأرطى : نباتان ، وذو الأرطى : موضع .
5 ديوانه : القطعة 40 .
6 أجرى إليها : قصد إليها . أوضع : الإيضاع ، ضرب من السير .

فتىً مثلَ مَتنِ السيفِ يَهتزُّ للنَّدى كعاليـةِ الرُّمحِ الرُّدَينـيِّ أروَعا[1]

وقال ابن الكلبي : قالت ريحانة بنت معد يكرب لدريد بن الصِّمَّة بعد حولٍ من مقتل أخيه : يا بني إن كنتَ عجزتَ عن طلب الثأر بأخيك فاستعِن بخالك وعشيرته من زبيد ، فأنِف من ذلك وحلَف لا يكتحِل ولا يَدَّهِن ولا يَمَسُّ طِيباً ولا يأكل لحماً ولا يشربُ خمراً حتى يُدرِك ثأره ، فغَزا هذه الغَزاة وجاءها بذُؤاب بن أسماء فقتله بفِنائها ، وقال : هل بلغتُ ما في نفسِك ! قالت : نعم مُتِّعتُ بك ! ورُويَ عن ابن الكلبي لريحانة في هذا المعنى أبياتٌ لم تَحضُرني وقد كتبتُ خبرها .

[مقتل أخيه قيس بن الصمّة]

وأما قتيل أبي بكر الذي ذكره دريد فإنه أخوه قيس بن الصمة ، قتله بنو أبي بكر بن كِلاب . وكان السبب في ذلك ، فيما أخبرني به هاشم بن محمد عن دَماذ عن أبي عبيدة ، أنه غزا في قومه بني خُزاعة من بني جُشَمَ ، فأغاروا على إبلٍ لبني كَعب بن أبي بكر بن كِلاب ، فانطلقوا بها . وخرج بنو أبي بكر بن كِلاب في طلبها حتى إذا دنَوا منهم قال عمرو بن سُفيان الكِلابي ، وكان حازماً عاقلاً ، امكثوا ، ومضى هو متنكراً حتى لقِيَ رجلاً من بني خُزاعة فسلَّم عليه واستسقاه فسقاه وانتسب له هِلالياً ، فسأله عن قومه وأين مَرعى إبلهم ، وأعلمه أنه جاء رائداً لقومه يريد مجاورتَهم ، فخبَّره الرجل بكل ما أراد ، فرجَع إلى قومه وقد عرف بُغيته ، فصبح القوم فظفرت بهم بنو كِلاب وقتلوا قيس بن الصمة ، وذهبوا بإبل بني خُزاعة وارتجعوا إبلَهم . وكان يقال لعمرو بن سفيان ذو السَّيفيْن ، لأنه كان يَلقى الحربَ ومعه سيفان خوفاً من أن يخونه أحدُهما . وإياه عَنى دريد بن الصِّمَّة بقوله[2] : [من البسيط]

إن امرءاً بـاتَ عمرٌو بين صِرمَتِه عمرُو بن سُفيانَ ذو السَّيفيْنِ مغرورُ[3]

يا آلَ سفيانَ مـا بـالي وبالكُمُو هل تَنتهونَ وباقي القـولِ مأثورُ ؟[4]

يا آل سُفيانَ مـا بـالي وبالكُمو أنتـم كبيرٌ وفي الأحلامِ عُصفورُ

---

1 متن في ل : نصل .

2 الديوان : القصيدة 29 وفيه اختلاف كبير في الترتيب والرواية .

3 الصرمة : القطيع من الإبل أو الغنم .

4 في الديوان بيت غير هذا :

يا آل سفيان إني قد شهدتكم أيـام أمكـمُ حمـراء مئشيرُ

والمئشير : البطرة .

هلاَّ نَهَيتُم أخاكم عن سَفاهتِهِ إذ تَشربون وغاوِي الخمر مدحورُ ؟
لا أعرِفَنْ لِمَّةً سَوداءَ داجِيةً تدعو كِلاباً وفيها الرمُحُ مكسورُ
لن تَسبِقوني ولو أمهلتُكم شَرَفاً عُقبَى إذا أبطأ الفُحجُ المَخاصِيرُ[1]

[الحرب بين بني عامر وبني جشم وبين أسد وغطفان]

وأخبرنا بخبر ابتداء هذه الحروب محمد بن العباس اليزيدي قال قرأت على أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي قال : أغارت بنو عامر بن صعصعة وبنو جُشَمَ بن معاوية على أَسَدٍ وغَطَفان ، وكان دريد بن الصمة وعمرو بن سفيان بن ذي اللِّحية مُتساندَين ، فدريد على بني جُشَم بن معاوية ، وعمرو بن سفيان على بني عامر . فقال عبد الله بن الصمة لأخيه : إني غيرُ مُعطِيكَ الرِّياسة ، ولكن لي في هذا اليوم شأناً . ثم اشترك عبدُ الله وشَراحِيلُ بن سفيان ، فلما أغار القوم أخذ عبدالله من نَعَم بني أَسَدٍ ستين وأصاب القومُ ما شاؤوا . وأدرك رجلٌ من بني جَذِيمة عبدَ الله بن الصِّمَّة فقال له عبد الله بن الصِّمَّة : ارجع فإني كنتُ شاركتُ شَراحِيلَ بن سُفيان ، فإن استطاع دريد فليأتِه وليأخذ مالي منه . وأقام دريدٌ في أواخر الحي فقال له عمرو : ارتَحِل بالناس قبل أن يأتيَك الصُّراخ[2] ، فقال : إني أنتظر أخي عبدَ الله . حتى إذا أطال عليه قال له : إن أخاك قد أدرك فوارسَ من الحُلَيفِيِّين يسوقون بظُعُنِهم فقتلوه . فانطلَقوا حتى إذا كانوا بحيث يفترقون قال دريد لشَراحِيل : إن عبد الله أنبأني ولم يَكذِبني قَطُّ أن له شَرِكةً مع شَراحِيلَ فأدُّوا إلينا شَرِكتَه . فقالوا له : ما شاركناه قطّ . فقال دريد : ما أنا بتارككم حتى أستحلِفكم عند ذي الخَلَصَة (وثنٍ من أوثانهم) . فأجابوه إلى ذلك وحلَفوا ، ثم جاء عبدُ الله بغَنيمةٍ عظيمة فجاءوه يَنشدونه الشِّركَ . فقال لهم دريد : ألم أُحَلِّفكم حين ظننتم أن عبد الله قد قُتل . فقالوا : ما حلَفنا وجعلوا يُناشِدون عبدَ الله أن يُعطيَهم ، فقال : لا ، حتى يرضى دريدٌ ، فأبى أن يَرضى فتوعَّدوه أن يَسرقوا إبلَه . فقال دريد في ذلك : [من البسيط]

هل مثلُ قلبِك في الأهواء معذورُ والحبُّ بعد مَشيبِ المرء مغرورُ

وذكر الأبياتَ التي تقدمت في الخبر قبل هذا وزاد فيها : [من البسيط]

إذا غلَبتم صديقاً تَبطِشون به كما تهدَّم في الماء الجَماهيرُ[3]

1 الفحج : جمع أفحج أو فحجاء ، والفحج : تباعد ما بين أوساط الساقين في الإنسان والدواب . والمخاصير : جمع مخصور وهو الذي يشتكي خصره . وفي الديوان : المحاصر .
2 الصراخ : الاستغاثة وفي ل : الصرخاء .
3 الجماهير : الرمال الكثيرة المتراكمة .

وأنتـــمُ مَعشرٌ في عِرقِكـــم شَنَجٌ … بُزخُ الظهورِ وفي الأَستاهِ تأخيرُ[1]
قـد علِـمَ القومُ أني من سَراتهمُ … إذا تَقبَّـض في البطـنِ المَذاكِيرُ[2]
وقـد أرُوعُ سَوامَ القوم ضاحيةً … بالجُردِ يَركُضُها الشُّعثُ المَغاويرُ
يَحمِلنْ كلَّ هِجانٍ صارِمٍ ذَكَـرٍ … وتحتهـم شُزَّبٌ قُـبٌّ مَضاميرُ[3]
أوعَدتُمـو إبـلي كـلاً سيمنعُها … بنـو غَزِيَّـةَ لا مِيـلٌ ولا صُورُ[4]

[مقتل أخيه عبد يغوث]

وأما عبد يَغُوثَ بن الصمة وخبرُ مقتله فإنه كان ينزل بين أظهُر بني الصَّادر فقتلوه . قـال أبـو عبيدة في خبَره : قتلـه مُجَمِّع بن مُزاحِم أخو شَجنةَ بنِ مُزاحِم وهو من بني يَربُوع بن غَيظ بن مُـرَّة . فقال دريد بن الصِّمَّة[5] : [من البسيط]

أبلِـغْ نُعَيماً وأَوفى إن لَقِيتَهما … إن لم يكن كان في سَمعَيهُما صَمَمُ
فمـا أخـي بأخي سَوءٍ فيَنقُصَه … إذا تَقارَبَ بابـن الصَّادِر القِسَمُ
ولن يَـزالَ شِهابـاً يُستضاءُ بـه … يَهدِي المَقانبَ ما لم تَهلِكِ الصِّمَمُ[6]
عاري الأشاجِـع مَعصوبٌ بلِمَّته … أمرُ الزَّعامـةِ ، في عِرنينِه شَمَمُ[7]

[مقتل أخيه خالد بن الصمّة]

قال أبو عبيدة : أما قوله «أو نَدِيمي خالد» ، فإنه يعني خالد بن الصمة ؛ فإن بني الحارث بن كعب غَزَت بني جُشَم بن معاوية ، فخرجوا إليهم فقاتلوهم فقتلت بنو الحارث خالد بن الصمة ، وإياه عنى . وقال غيرُ أبي عبيدة : خالد بن الحارث[8] الذي عناه دريد

1 العرق : الأصل . الشنج : التقلص والتقبض . بزخ الظهور : تقاعس الظهر وبروز أسفل البطن . أي هم مشوهو الأجسام .
2 أي من الخوف .
3 الهجان : الكريم . الشزب : جمع شازب ، وهو الضامر اليابس . والقب : جمع أقب وهم من الخيل الدقيق الخصر الضامر البطن .
4 ميل : جمع أميل وهو الجبان أو الذي لا رمح لـه . الصور : جمـع أصور وهو المائل العنق . وفي الديوان : ولا عـور .
5 ديوانه : القطعة 62 .
6 المقانب : جمع مقنب وهو الجماعة من الخيل تجتمع للغارة وفي عددها خلاف : (30–40 ، دون 100 ، نحو 300) . الصمم : جمع صمة وهو الشجاع .
7 الأشاجع : أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف ، واحدها أشجع .
8 كان أولى أن يقول «خالد الذي عناه دريد . . .» .

هو عمه خالد بن الحارث أخو الصمّة بن الحارث قتلته أَحْمَسُ (بطنٌ من شَنُوءةَ) وكان دريد بن الصِّمَّة أغار عليهم في قومه فظفر بهم واستاق إبلَهم وأموالهم وسبى نساءَهم وملأ يديه وأيدي أصحابه ، ولم يُصَب أحد ممن كان معه إلا خالد بن الحارث عمه ، رماه رجلٌ منهم بسهم فقتله ؛ فقال دريد بن الصمة يرثيه[1] : [من البسيط]

يا خالداً خالـدَ الأَيسارِ والنادي ... وخالدَ الرِّيحِ إذ هَبَّـتْ بصُرَّادِ[2]

وخالدَ القولِ والفعلِ المَعِيش بـه ... وخالدَ الحربِ إذ عَضَّتْ بأزرادِ[3]

وخالدَ الرَّكبِ إذ جَدَّ السِّفارُ بهم ... وخالدَ الحـيّ لمـا ضُـنَّ بالزادِ

وقال أبو عبيدة : قال دريد يرثي أخاه خالداً[4] : [من الطويل]

أُمَيمَ أَجِدِّي عافيَ الرُّزء واجشَمِي ... وشُدِّي على رُزءٍ ضلوعَكِ وابأَسي

حرامٌ عليها أن تَـرى في حياتِها ... كمثلِ أبي جَعدٍ فعُودِي أوِ اجلِسي

أعـفَّ وأَجـدى نائـلاً لعَشيرةٍ ... وأكرمَ مخلودٍ لـدى كلِّ مجلِسِ

وألْـينَ منـه صفحـةً لعَشيرةٍ ... وخيراً أبا ضيفٍ وخيراً لمجلسِ

تقولُ هِـلالٌ خـارجٌ من غَمامةٍ ... إذا جاء يَجرِي في شَلِيلٍ وقَونَسِ[5]

يَشُدُّ متـونَ الأَقرَبـينَ بهـاؤه ... ويُخبِثُ نفسَ الشانـىء المُتعبِّسِ

وليس بمِكبـابٍ إذا الليـلُ جَنَّـه ... نؤومٍ إذا مـا أُدلَجُوا في المُعَرَّسِ[6]

ولكنـه مِـدلاجُ ليـلٍ إذا سَرى ... يُنـدُّ سُراه كلَّ هـادٍ مُمَلّسِ[7]

هذه رواية أبي عبيدة .

[يوم ثيل]

وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد عن عمه عن العباس بن هشام عن أبيه أن خالد بن الصمة قُتل في غارة أغارتْها بنو الحارث بن كعب على بني نصر بن معاوية في يوم يقال له يوم

---

1 ديوانه : القطعة 18 .

2 الصراد : غيم رقيق لا ماء فيه .

3 الأزراد : الدروع . وفي رواية «غصت بأوراد» جمع ورد . وهو القطيع من الطير والجيش على التشبيه .

4 ديوانه : القطعة 35 .

5 الشليل : الغلالة تلبس تحت الدرع . القونس : أعلى بيضة الحديد وقيل مقدمها .

6 مكباب : كثير النظر إلى الأرض .

7 في الديوان : عملس وهو القوي الشديد على السفر .

ثيل[1] ، فأصابوا ناساً من بني نصر . وبلغ الخبر بني جُشَمَ فلحِقوهم ، ورئيس بني جُشَمَ يومئذٍ مالكُ بن حَزن ، فاستنقذوا ما كان في أيديهم من غنائم بني نصر ، فأصابوا ذا القَرن الحارثي أسيراً وفقؤوا عينَ شهاب بن أبان الحارثي بسهم ، وقُتل يومئذٍ خالد بن الصِّمَّة وكان مع مالك بن حزن ، وأصابت بنو جُشَم منهم ناساً ، وكان رئيس بني الحارث بن كعب يومئذٍ شهاب بن أبان ، ولم يشهد دريد بن الصمة ذلك اليوم ؛ فلما رجعوا قتلوا ذا القرن بخالد بن الصمة ، ولما قُدِّم لتُضرَب عُنُقُه ، صاح بأوس بن الصمة ، وكان له صديقاً ، ولم يكن أوس حاضراً ، فلم ينفعه ذلك ، وقُتل . فلما قَدِم أوسٌ غضِب وقال : أقتلتم رجلاً استجار باسمي ؟!

فقال عوف بن معاوية في ذلك : [من البسيط]

نُبِّئتُ أوساً بَكى ذا القَرنِ إذ شربا   على عُكاظ بكاءً غـالَ مجهودي

إنّي حلَفتُ بما جمَّعتُ من نَشَبٍ   ومـا ذَبحتُ على أنصابكَ السُّودِ

لتبكـينَّ قَتيـلاً منـكَ مُقترِبـاً   إنّـي رأيتُـكَ تبكـي للأباعيدِ

[خدع بالزواج بامرأة ثيب]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعي قال حدثنا أبو غسان دَماذ عن أبي عبيدة ، وأخبرني عبد الله بن مالك النحوي الضرير قال حدثنا محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال : تزوج دريد بن الصمة امرأةً فوجدها ثَيِّباً ، وكانوا قالوا له إنها بكر ، فقام عنها قبل أن يصل إليها ، وأخذ سيفه فأقبل به إليها ليضربها ، فتلقَّته أمها لتدفعَه عنها ، فوقف يدَيها (أي حَزَّهما ولم يقطعهما) فنظر إليها بعد ذلك وهي معصوبة فقال[2] : [من الوافر]

أَقَـرَّ العـينَ أن عَصَبَتْ يديها   وما إن تُعصَبانِ على خِضابِ

فأبقاهـنَّ أن لهـنَّ جَـداً   وواقيـةً كواقيـةِ الكلابِ[3]

قالوا : يريد أن الكلب يُصيبه الجُرح فيَلحس نفسه فيبرأ .

[بينه وبين عياض الثعلبي]

قال أبو عبيدة وابن الأعرابي جميعاً في هذه الرواية : أَسَر دريد بن الصّمة عِياضاً الثعلبي أحد بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان فأنعم عليه . ثم إن دريداً أتاه بعد ذلك يستثيبه . فقال له :

1 لعلها يوم ثيتل «وهو ماء قرب النباح كانت به وقعة مشهورة» (ياقوت) .

2 ديوانه : القطعة 8 .

3 المثل واقية كواقية الكلاب في مجمع الميداني 2 : 364 (المثل 4364) وانظر مستقصى الزمخشري 2 : 166 . قال الميداني : «وقاية كوقاية الكلاب على أولادها ، وهي أشد الحيوانات وقاية لأولادها» . وقال الثعالبي (ثمار القلوب رقم 632) يضرب مثلاً للخسيس إذا كان موقى واستشهد ببيتي دريد هذين .

إيتِ رَحلَك حتى أبعث إليك بثوابك ؛ فانصرف دريد . فبعث إليه بوَطب[1] نصفه لبن ونصفه بول . فغضب دريد ولم يلبث إلا قليلاً حتى أغار على بني ثعلبة ، واستاق إبل عياض ، وأفلتَ عياضٌ منه جريحاً ؛ فقال دريد في ذلك من قصيدة[2] : [من الطويل]

فإن تَنجُ يَدمَى عارضاكَ فإنّنا ... تركنا بنيكَ للضِّباعِ وللرُّخمِ

جزَيتُ عِياضاً كفرَه وعُقُوقَه ... وأخرجتُه من المُدفأة الدُّهمِ[3]

ألاَ هل أتاه ما ركبنا سَراتَهم ... وما قد عقَرنا من صَفيٍّ ومن قَرمِ[4]

[هجا عبد الله بن جدعان ثم مدحه]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعي قال حدثنا دَماذ عن أبي عبيدة قال : هجا دريد بن الصّمة عبد الله بن جُدعان التَّيمي تَيم قريش فقال[5] : [من البسيط]

هل بالحوادثِ والأيامِ من عَجَبِ ... أم بابنِ جُدعانَ عبدِ الله من كَلَبِ

استٌ حميتٌ وهي في عِكم ربته ... في يوم حرٌّ شديد الشرِّ والهَرَبِ[6]

إذا لقيتَ بني حَرب وإخوتَهم ... لا يأكلون عَطِينَ الجلدِ والأهُبِ[7]

لا يَنكُلُون ولا تُشوِي رماحُهمُ ... من الكُماةِ ذوي الأبدانِ والجُبَبِ[8]

فاقعُد بَطِيناً مع الأقوامِ ما قعدوا ... وإن غزوتَ فلا تُبعِد من النَّصَبِ

فلو ثَقِفتُكَ وَسطَ القومِ تَرصُدُني ... إذاً تلبَّس منكَ العِرضُ بالحَقَبِ[9]

وما سمعتُ بصَقرٍ ظَلَّ يرصُدُهُ ... مِن قبلِ هذا بجَنبِ المَرجِ مِن خرَبِ[10]

قال : فلقيه عبد الله بن جُدعان بعُكاظ فحياه وقال له : هل تعرفني يا دريد ؟ قال لا . قال :

---

1 وطب : وعاء للبن من جلد .
2 ديوانه : القطعة 58 .
3 المدفأة : الإبل الكثيرة الأوبار والشحوم .
4 الصفي : الناقة الغزيرة اللبن . القرم : الفحل .
5 ديوانه : القطعة 3 .
6 حميت : متين . عكم : عدل يجعل فيه المتاع ويشد عليه بالحبال . الشر في ل : الشل .
7 العطين : الجلد المدبوغ .
8 تشوي : تصيب الشوى (الأطراف) ولا تقتل . الأبدان : جمع بدن وهو هنا الدرع القصيرة . الجبب : جمع جبة وهي هنا الدرع أيضاً .
9 وسط في ل : حول . العرض هنا : الجسد ، والحقب : شيء تعلق به المرأة حليها وتجعله في وسطها .
10 المرج : لعلها المرخ وهو شجر سريع الوري يقتدح به . خرب : ذكر الحبارى أو الحبارى كلها .

فلِمَ هجوتَني ؟ قال : ومن أنت ؟ قال : أنا عبد الله بن جُدعان . قال : هجوتك لأنك كنتَ امرءاً كريماً ، فأحببتُ أن أضع شعري موضعَه . فقال له عبد الله : لئن كنتَ هجوتَ لقد مدحتَ ؛ وكساه وحمله على ناقة برَحلِها . فقال دريد يمدحه[1] : [من المتقارب]

إليكَ ابنَ جُدعانَ أعملتُها ... مخفَّفةً للسُّرى والنَّصَبْ
فلا خَفضَ حتى تُلاقي امرءاً ... جَوادَ الرِّضا وحَليمَ الغَضَبْ
وجَلداً إذا الحربُ مَرَّتْ به ... يُعِينُ عليها بجَزلِ الحَطَبْ
وجُلتُ البلادَ فما إن أَرى ... شَبيهَ ابن جُدعانَ وَسطَ العَرَبْ
سوى مَلِكٍ شامِخٍ ملكُه ... له البحرُ يَجرِي وعينُ الذَّهَبْ

[تهاجيه الخنساء]

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سَلام موقوفاً عليه لم يتجاوزه إلى غيره ، وحدثني حبيب بن نصر المهلَّبي وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا حدثنا عمر بن شبة عن الأصمعي وأبي عبيدة ، وأخبرني هاشم بن محمد الخُزاعي قال حدثنا أبو غسان دَماذ عن أبي عبيدة ، وأخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدثنا الزُّبير بن بكار قال حدثني عليٌّ بن المغيرة عن أبي عبيدة ، وأخبرني محمد بن خلَف بن المرزبان قال حدثني أبو بكر العامري قال حدثني ابن نوبة عن أبي عمرو الشَّيباني ، وأخبرني عمِّي قال حدثنا ثعلب عن ابن الأعرابي ، وقد جمعتُ أخبارَهم على اختلاف ألفاظهم في هذا الموضع ، أن دريد بن الصّمة مرَّ بالخَنساء بنت عمرو بن الشَّريد ، وهي تَهنَأ بعيراً لها وقد تبذَّلت حتى فرغت منه ، ثم نَضَت عنها ثيابَها فاغتسلت ودريد بن الصّمة يراها وهي لا تشعر به فأعجبته ؛ فانصرف إلى رحله وأنشأ يقول[2] : [من الكامل]

حَيُّوا تُماضِرَ واربَعوا صَحبي ... وقِفُوا فإن وقوفكم حَسبي
أخُناسُ قد هامَ الفؤادُ بكم ... وأصابَهُ تَبلٌ من الحُبِّ
ما إن رأيتُ ولا سمعتُ به ... كاليومِ طاليَ أينُقٍ جُربِ
متبذِّلاً تبدو محاسنُه ... يضعُ الهِناءَ مواضعَ النُّقبِ[3]
متحسِّراً نضَحَ الهِناءَ به ... نَضحَ العَبيرِ بِرَيطَةِ العَصبِ

1 ديوانه : القطعة 4 .
2 ديوانه : القطعة 5 .
3 الهناء : القطران . النقب : المواضع المتفرقة من الجرب .

فسَلِيهِمُ عنّي خُناسُ إذا ... عَضَّ الجميعَ الخَطبُ ما خَطبي

قالوا : وتُماضِرُ اسمُها . والخنساء لقبٌ غلَب عليها ، فلما أصبح غدا على أبيها فخطبها إليه . فقال له أبوها : مرحباً بك أبا قُرَّة ! إنك لَلكريمُ لا يُطعَن في حَسَبِه ، والسيِّد لا يُرَدُّ عن حاجته ، والفحل لا يُقرَع أنفُه . وقال أبو عبيدة خاصة مكان «لا يُطعن في حسبه» «لا يطعن في عيبه» ، ولكن لهذه المرأة في نفسها ما ليس لغيرها ، وأنا ذاكرُك لها وهي فاعلة . ثم دخل إليها وقال لها : يا خنساء ، أتاك فارسُ هوازن وسيِّد بني جُشَم دريد بن الصمة يخطبُك وهو مَن تعلمين ، ودريد يسمع قولهما . فقالت : يا أبت ، أتُراني تاركة بني عمي مثل عَوالي الرماح وناكحةً شيخ بني جُشم هامة اليوم أو غدٍ[1] ! . فخرج إليه أبوها فقال : يا أبا قُرَّة قد امتنعت ، ولعلَّها أن تُجيب فيما بعد . فقال : قد سمعتُ قولكما ، وانصرف . هذه رواية مَن ذكرتُ . وقال ابن الكلبي : قالت لأبيها : أنظِرني حتى أُشاور نفسي ، ثم بعثت خَلفَ دريد وليدةً فقالت لها : انظري دريداً إذا بال ، فإن وجدتِ بولَه قد خرق الأرض ففيه بقية ، وإن وجدته قد ساح على وجهها فلا فضلَ فيه . فاتَّبعته وليدتُها ثم عادت إليها فقالت : وجدتُ بولَه قد ساح على وجهِ الأرض ، فأمسكت . وعاود دريد أباها فعاودها فقالت له هذه المقالة المذكورة ، ثم أنشأت تقول[2] : [من الوافر]

أتخطُبني ، هُبِلتَ ، على دُرَيدٍ ... وقد أطرَدتَ سيِّدَ آلِ بَدرِ ![3]

مَعاذَ الله يَنكِحُني حَبَركَي ... يقال أبوه من جُشَمَ بنِ بكرِ[4]

ولو أمسيتُ في جُشَمٍ هَدِيّاً ... لقد أمسيتُ في دَنَسٍ وفقرِ[5]

فغضِب دريد من قولها وقال يهجوها[6] : [من الوافر]

وقاكِ اللهُ يا ابنَةَ آلِ عَمرٍو ... من الفِتيانِ أمثالي ونَفسي

فلا تَلِدِي ولا يَنكِحكِ مثلي ... إذا ما ليلةٌ طرَقتْ بنَحسِ

---

1 المثل في مجمع الميداني 2 : 405 ومستقصى الزمخشري : 389 .

2 ديوان الخنساء (صادر) : 77 وفيه أن المخاطب هو أخوها معاوية بن عمرو كما يدل البيت الأول من القطعة فيه ، وهو أقرب إلى الصواب إذ يستبعد أن تخاطب أباها بالدعاء عليه . وسيورد أبو الفرج هذا الخبر في ترجمة الخنساء فيما بعد .

3 أُطردت : أُمرت بطرد . الشطر الثاني في الديوان : أتكرهني . . . وقد أُحرمت .

4 الحبركى : الغليظ الطويل الظهر القصير الرجلين .

5 الهدي : العروس .

6 ديوانه : القصيدة 34 .

لقد علِمَ المَراضِعُ في جُمادى ... إذا استَعجَلْنَ عن حَزٍّ بنَهسِ[1]
بأنّي لا أَبيتُ بغيرِ لحمٍ ... وأَبدأُ بالأرامِلِ حينَ أُمسي
وأني لا ينالُ الحَيُّ ضَيفِي ... ولا جارِي يَبيتُ خبيثَ نفسِ[2]
إذا عُقَبُ القُدورِ تكُنَّ مالاً ... تَحُثُّ حلائلَ الأَبرام عِرسِي[3]
وأصفرَ من قِداح النَّبع صُلبٍ ... خفيِّ الوَسمِ في ضَرسٍ ولَمسِ[4]
دَفَعتُ إلى المُفيضِ إذا استقلُّوا ... على الرُّكُباتِ مَطلَعَ كلِّ شَمسِ[5]
فإن أَكدَى فتامِكَةٌ تُؤدَّى ... وإن أَربى فإني غيرُ نِكسِ[6]
وتزعُم أنني شيخٌ كبيرٌ ... وهلْ خبَّرتُها أني ابنُ أمسِ
تريدُ شَرَنبَثَ القدمين شَثناً ... يُبادِرُ بالجَدائِرِ كلَّ كِرسِ[7]
وما قَصُرتْ يدي عن عُظمِ أمرٍ ... أهُمُّ به ولا سَهمي بنِكسِ
وما أنا بالمُزَجَّى حين يسمو ... عظيمٌ في الأمورِ ولا بوَهسِ[8]

قال : فقيل للخنساء : ألا تُجيبينَه ؟ فقالت : لا أَجمَع عليه أن أَرُدَّه وأَهجُوَه .

[آخر أيامه]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا دَماذ عن أبي عبيدة قال : لما أَسَنَّ دريد جعل له قومه بيتاً مفرداً عن البيوت ، ووكَّلوا به أَمَةً تخدُمه ، فكانت إذا أرادت أن تُبعِدَ في حاجة قَيَّدته بقيد الفرس . فدخل إليه رجل من قومه فقال له : كيف أنت يا دريد ؟ فأنشأ يقول[9] : [من البسيط]

أصبحتُ أقذفُ أهدافَ المنون كما ... يَرمي الدَّرِيئةَ أدنى فُوقَةِ الوَتَرِ[10]

---

1 الحز : القطع . النهس : انتزاع اللحم عن العظم بمقدم الأسنان .
2 ينال في ل : يشاوي . وفي الأمالي : وأني لا يمر الضيف كلبي .
3 عقب القدور : ما التصق بها من الطعام . تحث : تعجل . الأبرام : جمع برم وهو اللئيم أو الذي لا يدخل مع القوم في الميسر .
4 ضرس السهم : عجمه .
5 المفيض : الضارب بالقداح .
6 أكدى : أخفق ولم يصب . تامكة : ناقة عظيمة السنام أو السنام نفسه . نكس : ضعيف لا خير فيه .
7 الشَّرنبث والشثن : الغليظ . الجدائر : جمع جديرة وهي الحظيرة . كرس : متراكب .
8 المزجى : الملصق بالقوم وليس منهم ، الناقص المروءة ، البخيل . الوهس : الذليل .
9 ديوانه : القطعة 23 .
10 الدريئة : حلقة يتعلم عليها الرامي الرمي . والفوقة : مشق رأس السهم حيث يقع الوتر .

في مَنصَفٍ من مَدى تسعينَ من مائة ... كرَمية الكاعبِ العَذراء بالحجرِ[1]
في منزلٍ نــازحٍ م الحـيِّ مُنتَبذٍ ... كمَربَط العَيرِ لا أدعَـى إلى خبرِ
كأنّنـي خَـرَبٌ قُصَّتْ قوادمُـه ... أو جُثّةٌ من بُغاثٍ في يَدَيْ خَصِرِ[2]
يُمضُون أمرَهمُ دوني وما فقدوا ... منّـي عزيمةَ أمرٍ مـا خَلا كِبَري
ونومةٌ لستُ أقضيها وإن مُتعتْ ... وما مضَى قبلُ من شأْوي ومن عُمُري
وأنني رابَنـي قيـدٌ حُبِستُ بـه ... وقد أكونُ وما يُمشَى على أَثَري
إنَّ السِّنينَ إذا قَرَّبـنَ من مائـةٍ ... لَوَينَ مِـرَّةَ أحـوالٍ على مِـرَرِ[3]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا دَماذ عن أبي عبيدة قال : قالت امرأة دريد له : قد أَسنَنتَ وضعُف جسمك وقُتل أهلك وفَنِيَ شبابك ، ولا مال لك ولا عُدة ، فعلى أي شيء تعوّل إن طال بك العمر أو على أي شيء تُخَلِّف أهلَك إن قُتِلتَ ؟ فقال دريد[4] : [من الوافر]

صوت

أعـاذلُ إنّمـا أفنَـى شَبابي ... ركوبي في الصَّريخِ إلى المُنادِي
مـع الفِتيانِ حتى كَلَّ جسمي ... وأقرَح عاتِقـي حَمـلُ النِّجادِ
أعـاذلُ إنـه مـالٌ طَريـفٌ ... أحَـبُّ إليَّ مـن مـالٍ تِلادِ
أعاذلُ عُـدَّتي بَـدَني وَرُمحي ... وكلُّ مقلَّـص شَكِس القِيادِ[5]
ويَبقى بعدَ حِلمِ القـوم حِلْمي ... ويَفنَى قبلَ زاد القـوم زادي

هذا الشعر رواه أبو عبيدة لدريد ، وغيره يرويه لعمرو بن معد يكرب ، وقول أبي عبيدة أصح . لابن محرز في هذه الأبيات ثاني ثقيلٍ بالخِنصر في مجرى البِنصر عن إسحاقَ . وذكر عمرو بن بانة أن لابن سُرَيج فيها ثانيَ ثقيلٍ بالبنصر . وخلَط المغنون بهذا الشعر قول عمرو بن معديكرب في هذين اللحنين : [من الوافر]

أريـدُ حياتَـه ويريـدُ قتلي ... عَذيرَك مِـن خليلكَ من مُرادِ

---

1 منصف الشيء : وسطه .
2 قصت في ل : حُصَّت . والخرب : ذكر الحباري . خصر في الديوان : هصر : أي حيوان مفترس .
3 المرة : طاقة الحبل .
4 ديوانه : القطعة 19 .
5 البدنة : الدرع . والمقلص : الفرس الطويل القوائم الضامر البطن .

ولـو لاقيتَنـي ومعـي سلاحي تكشَّف شَحمُ قلبِكَ عن سوادِ

[قتلت بنو يربوع الصمة أباه فغزاهم]

وقال أبو عبيدة فيما رويناه عن دماذ عنه : قتلت بنو يربوع الصمة أبا دريد غَدراً ، وأسروا ابن عمٍّ له ؛ فغزاهم دريد ببني نصر فأوقع ببني يربوع وبني سعدٍ جميعاً ، فقتَل فيهم . وكان فيمن قُتل عَمار بن كَعب ؛ وقال فيهم[1] : [من الوافر]

دعوتُ الحَـيَّ نصراً فاستَهلُّوا بشُبَّانٍ ذوي كَـرَمٍ وشِيبِ
على جُـردٍ كأمثـالِ السَّعالي ورَجـلٍ مثـلِ أهميـةِ الكَثِيبِ[2]
فمـا جَبُنـوا ولكنّـا نَصَبنا صـدورَ الشَّرعَبِيّـةِ للقلوبِ[3]
فكم غـادَرنَ من كابٍ صَرِيعٍ يَمُجُّ نَجِيـعَ جائفـةٍ ذَنُوبِ[4]
وتلكم عـادةٌ لبني رَبـابٍ إذا مـا كان موتٌ من قريبِ
فأجلَـوا والسَّوامُ لنا مُبـاحٌ وكلُّ كَريمـةٍ خَـودٍ عَرُوبِ
وقـد تُرِك ابنُ كَعب في مَكَرٍّ حَبِيساً بـين ضِبعانٍ وذيبِ

[أبوه شاعر]

قال أبو عبيدة : وكان الصّمة أبو دريد شاعراً ، وهو الذي يقول في حرب الفِجار التي كانت بينهم وبين قريش : [من المتقارب]

لاقـت قُرَيشٌ غَـداةَ العَقِيـ ـق أمـراً لهـا وجدَتهُ وَبِيلا
وجئنا إليهـم كموج الأَتِيِّ يعلـو النِّجاد ويَمـلا المَسِيلا[5]
وأعـددتُ للحَربِ خَيفانةً ورمحاً طويـلاً وسيفاً صقيلا[6]
ومُحكَمَـةً مـن دروعِ القُيو نِ تسمعُ للسيفِ فيها صليلا

[أخوه مالك شاعر]

قال : وكان أخوه مالك بن الصّمة شاعراً ؛ وهو القائل يرثي أخاه خالداً : [من الكامل]

---

1 ديوانه : القطعة 6 .
2 أهمية في ل : أهيلة .
3 الشرعبية : هنا الرماح الطويلة .
4 الجائفة : الطعنة التي تنفذ إلى الجوف . الذنوب : طويلة الشر والأذى .
5 الأتي : السيل لا يدرى من أين أتى .
6 الخيفانة : الفرس .

أَبني غَزِيَّـةَ إن شِلْـواً ماجِـداً وَسطَ البيوتِ السُّودِ مَدفَعَ كَركَرِ[1]
لا تَسقِني بيديـكَ إن لم ألتمسْ بالخيـلِ بـين هبولـةَ فالقَرقَرِ[2]

[تحالف مع معاوية بن عمرو بن الشريد]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا أبو غسان دَماذ عن أبي عبيدة قال : تحالف دريد بن الصّمة ومعاوية بن عمرو بن الشَّريد وتواثقا إن هلَك أحدهما أن يَرثيه الباقي بعده ، وإن قُتل أن يطلب بثأره[3] . فقُتل معاوية بن عمرو بن الشَّريد ، قتله هاشم بن حرملة بن الأشعر المُرِّي . فرثاه دريد بقصيدته التي أولها[4] : [من الوافر]

ألا هَبَّتْ تَلُـومُ بغير قَـدْرٍ وقد أحفظتِني ودخلتِ سِتري
وإلا تَترُكـي لَومِـي سَفاهـاً تُلُمك عليه نفسُكِ غيرَ عَصرِ

وفيها يقول :

فإنَّ الرُّزءَ يـوم وقفتُ أدعو فلم أُسمعْ معاويـةَ بـن عمرِو
ولـو أسمعتَـه لأتاكَ يسعَى حَثِيثَ السَّعيِ أو لأتاكَ يجري[5]
بشِكَّةِ حـازمٍ لا غَمزَ فيـه إذا لبِس الكُمـاةُ جلودَ نِمرِ[6]
عرفتُ مكانَـه فعطَفتُ زَوراً وأين مكانُ زَورٍ يا ابنَ بكرِ[7]
على إرَمٍ وأحجـارٍ ثِقـالٍ وأغصانٍ من السَلَماتِ سُمرِ[8]
وبُنيانُ القبـورِ أتـى عليهـا طَوالُ الدهرِ شهراً بعـدَ شهرِ

[خرفه]

أخبرني عبد الله بن مالك النحوي قال حدثنا محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال : وقف عارضٌ الجُشَمي على دريد وقد خَرِف وهو عُريان وهو يكوِّم كُوَمَ بَطحاءَ[9] بين رجليه يلعب

1 الشلو هنا : الجسد . كركر : موضع .
2 هبولة والقرقر : موضعان .
3 ل : بدمه .
4 ديوانه : القصيدة 25 وهناك اختلاف في الترتيب والرواية كبير .
5 يسعى في ل : ركضاً .
6 الشكة : السلاح . المثل «لبست (لبس) له جلد النمر» في مجمع الميداني 2 : 180 ومستقصى الزمخشري 28 : 178 وفصل المقال : 480 .
7 الزور : الجمل القوي ، ولعله هنا اسم جمله .
8 إرم : حجارة تنصب علماً في المفازة .
9 البطحاء هنا : الحجارة الصغيرة .

بذلك ؛ فجعل عارضٌ يتعجب مما صار إليه دريد . فرفع رأسه دريد إليه وقال : [من الرجز]

كأنَّنـــي رأسُ حَضَنْ في يــومِ غَيمٍ ودُجَنْ[1]
يا ليتني عهـــدَ زَمَنْ أنفُــضُ رأسي وذَقَنْ
كأنَّني فَحــلُ حُصُنْ أُرسِلَ في حَبــلِ عُنُنْ
أُرسلَ كالظَّبــيِ الأَرِنْ ألصَقَ أُذنــاً بــأُذُنْ

قال : ثم سقَط ؛ فقال له عارضٌ : انهض دريد ! فقال : [من الرجز]

لا نَهضَ في مثــلِ زمــاني الأولِ مُحنَّبَ الساقِ شديـدَ الأَعصَلِ[2]
ضخمَ الكراديسِ خَميصَ الأَشكلِ ذي حَنجَرٍ رحب وصُلبٍ أعدلِ[3]

[خروجه في حرب حنين]

حدثنا محمد بن جرير الطَّبَري قال حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق عن الزُّهري عن عبيد الله بن عبد الله قال : لما فتح رسول الله ﷺ مكة أقام بها خمسَ عشرة ليلةً يقصرُ الصلاة ، وكان فتحُها في عشر ليالٍ بَقِينَ من شهر رمضان . قال ابن إسحاق : وحدثني عمروُ[4] بن شُعَيب عن أبيه عن جدِّه قال : لما سمعت به هوازِنُ جَمَعَها مالك بن عمرو بن عَوف النَّصري ، فاجتمعت إليه ثَقيف مع هوازن ، ولم يجتمع إليه من قيس إلا هوازنُ وناسٌ قليلٌ من بني هلال ، وغابت عنها كعبٌ وكِلاب ، فجمعت نصرٌ وجُشَم وسعدٌ وبنو بكر وثقيف واحتشدت ، وفي بني جُشَم دريد بن الصمة شيخٌ كبيرٌ فانٍ ليس فيه شيء إلا التيمُّن برأيه ومعرفته بالحرب ، وكان شيخاً مجرَّباً ، وفي ثقيف في الأحلاف قارِبُ بن الأسود بن مسعود ، وفي بني مالك ذو الخِمار سُبَيع بن الحارث ، وجِماعُ أمر الناس إلى مالك بن عوف . فلما أجمع مالكٌ المسيرَ حَطَّ مع الناس أموالَهم وأبناءهم ونساءهم . فلما نزلوا بأَوطاس اجتمع إليه الناسُ وفيهم دريد بن الصِّمة في شجارٍ[5] له يُقاد به . فقال لهم دريد : بأي وادٍ أنتم ؟ قالوا : بأوطاس . قال : نِعم مجالُ الخيل ، ليس بالحَزن الضَّرِس ولا السَّهل الدَّهِس[6] . ما لي أسمع رُغاءَ الإبل ونَهيق الحمير وبكاء الصغير

---

1 حضن : اسم جبل . ودجن : جمع دجنة وهي الظلمة .
2 محنب الساق : معوجها ، وهو أشد لها . والأعصل : المعوج الصلب من كل شيء . يقال ناب أعصل .
3 الكراديس : جمع كردوس وهو كل عظم تام ضخم . خميص الأشكل : رقيق الخاصرة .
4 ل : أبو عمرو .
5 شجار : مركب أصغر من الهودج .
6 الضرس : الصعب . والدهش : اللين .

وثُغاء الشاء ؟ ! قالوا : ساق مالكُ بن عوف مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالَهم . فقال : أين مالكٌ ؟ فدُعي له به . فقال له : يا مالك ، إنك قد أصبحتَ رئيس قومك ، وإن هذا اليوم كائن له ما بعده من الأيام ! . ما لي أسمع رُغاء البعير ونهيقَ الحمير وبكاء الصِّبيان وثُغاء الشاء ؟! قال : سُقتُ مع الناس نساءَهم وأبناءهم وأموالهم . قال : ولِمَ ؟ قال : أردتُ أن أجعل مع كل رجل أهلَه ومالَه ليقاتل عنهم . قال : فانقضَّ به ووبخه ولامه ، ثم قال : راعِي ضأنٍ والله (أي أحمق)[1] ! وهل يَرُدُّ المنهزِمَ شيء ! إنها إن كانت لك لم يَنفعك إلا رجل بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فُضِحتَ في أهلك ومالك . ثم قال : ما فعلت كعبٌ وكِلاب ؟ قال : لم يَشهَدها أحدٌ منهم . قال : غاب الحَد والجِدّ ! لو كان يومَ عَلاءٍ ورفعة لم تَغِب عنه كعب وكِلاب ! ولوَدِدتُ أنكم فعلتم مثلَ ما فعلوا . فمَن شَهِدها منهم ؟ قالوا : بنو عمرو بن عامر وبنو عوف بن عامر . قال : ذانِك الجَذَعانِ[2] من عامر لا ينفعان ولا يَضُرَان . ثم قال : يا مالك إنك لم تصنع بتقديم البيضة[3] بيضة هوازن إلى نُحور الخيل شيئاً . ارفعهم إلى أعلى بلادهم وعلياء قومهم ثم القَ القوم بالرجال على مُتون الخيل ، فإن كانت لك لَحِق بك مَن وراءَك ، وإن كانت عليك كنتَ قد أحرزتَ أهلَك ومالَك ولم تُفضَح في حَريمك . قال : لا والله ما أفعل ذلك أبداً ! إنك قد خَرِفتَ وخَرِفَ رأْيُك وعلمُك . والله لتُطيعنني يا معشر هوازن أو لأتَّكِئَن على هذا السيف حتى يخرج من وراء ظهري ، فنفِس على دريد أن يكون له في ذلك ذكرٌ ورأيٌ ، فقالوا له : أطَعناكَ وخالفنا دريداً . فقال دريد : هذا يوم لم أشهَده ولم أغِب عنه . ثم قال[4] : [من منهوك الرجز]

يا ليتَني فيهـا جَذَعْ أخُبُّ فيهـا وأضَعْ[5]
أقُـود وَطفـاءَ الزَّمَعْ كأنَّهـا شاةٌ صَدَعْ[6]

قال : فلما لَقِيهم رسول الله ﷺ انهزم المشركون فأتَوا الطائفَ ومعهم مالك بن عوف ، وعسكر بعضُهم بأَوطاس وتوجَّه بعضُهم نحو نَخلة[7] ، وتبعت خيلُ رسول الله ﷺ مَن سلك

---

1 المثل [أجهل من] راعي ضأن في مجمع الميداني 1 : 189 والدرة الفاخرة : 1 : 107 .
2 الجذع : الشاب الحدث .
3 بيضة القوم : أصلهم ومجتمعهم .
4 ديوانه : القطعة 42 .
5 يعني يسير كالخيل الشابة في عدوها الخفيف والسريع .
6 وطفاء الزمع : كناية عن فرس طويلة شعر الرسغ كأنها شاة قوية فتية . والصدع : الفتي الشاب القوي من الأوعال والظباء والإبل والحمر .
7 نخلة : المراد نخلة اليمانية ، وهي واد .

نخلة ، فأدرك ربيعةُ بن رُفَيع السُّلَمي أحدُ بني يربوع بن سمال[1] بن عوف دريد بن الصِّمَّة فأخذ بخِطام جمله وهو يظن أنه امرأة ، وذلك أنه كان في شجار له ، فأناخ به فإذا هو برجلٍ شيخ كبير ولم يعرفه الغلامُ . فقال له دريد : ماذا تريد ؟ قال : أقتُلُك . قال : ومن أنتَ ؟ قال : أنا ربيعة بن رُفَيع السُّلَمي . فأنشأ دريد يقول[2] : [من المتقارب]

وَيَحَ ابن أكْمَةَ ماذا يُريدُ … من المُرْعَشِ الذّاهب الأدرَدِ[3]

فأُقْسِمُ لو أنَّ بي قوةً … لوَلّتْ فرائصُه تُرعَدُ

ويا لَهفَ نفسيَ ألا تكونَ … معي قوةُ الشارخِ الأمرَدِ[4]

ثم ضربه السُّلَميُّ بسيفه فلم يُغنِ شيئاً . فقال له : بئس ما سلَّحتك أُمُّك ! خذ سيفي هذا من مؤخَّر رحلي في القِراب فاضرِب به وارفَع عن العظام واخفِض عن الدِّماغ ، فإني كذلك كنتُ أفعل بالرجال[5] ، ثم إذا أتيتَ أُمَّك فأخبِرها أنك قتلتَ دريد بن الصّمة ، فرُبَّ يومٍ قد منعتُ فيه نساءَك ! . فزعمت بنو سُلَيم أن ربيعة قال : لما ضربته بالسيف سقَط فانكشف ، فإذا عِجانُه وبطن فخذيه مثلُ القراطيس من ركوب الخيل أعراء . فلما رجع ربيعةُ إلى أمه أخبرها بقتله إياه ؛ فقالت له : لقد أعتق قتيلُك ثلاثاً من أمهاتك . وبعث رسول الله ﷺ في آثار من توجه قبل أوطاس أبا عامر الأشعري ابن عم أبي موسى الأشعري ، فهزمَهم الله جلَّ وعزَّ وفتح عليه . فيزعمون أن سلمة بن دريد بن الصمة رماه بسهم فأصاب ركبته فقتله (يعني أبا عامر) .

فقالت عمرة بنت دريد ترثيه : [من الوافر]

جَزى عنّا الإلهُ بني سُلَيمٍ … وأعقبهم بما فعلوا عَقاقِ[6]

وأسقانا إذا سِرنا إليهم … دماءَ خِيارِهم يومَ التَّلاقي

فرُبَّ مُنَوِّهٍ بكَ من سُلَيمٍ … أُجيبَ وقد دعاك بلا رِماقِ[7]

ورُبَّ كريمةٍ أعتقتَ منهم … وأُخرى قد فككتَ من الوَثاقِ

---

1 ل : سماك .

2 ديوانه : القطعة 20 .

3 ابن أكمة : في سيرة ابن هشام (2 : 852) أن ربيعة ابن رفيع يقال له ابن الدغنة وهي أمه ، ويقال ابن لذعة .

4 الشارخ في ل : الشامخ . والشارخ : الشاب .

5 ل : أضرب الرجال .

6 عقاقِ : مبني على الكسر ، العقوق .

7 الرماق : ما يمسك الرمق .

وقالت عمرة ترثيه أيضاً : [من البسيط]

قالوا قتلنا دريداً قلتُ قد صدَقوا ... وظَلَّ دمعــي على الخدَّين يَبتدرُ
لولا الذي قهَــر الأقــوامَ كلَّهمُ ... رأتْ سُلَيمٌ وكَعــبٌ كيفَ تأتَمِرُ
إذاً لصبَّحهــم غِبّــاً وظاهِـرةً ... حيثُ استقرَّ نواهـم جَحفَلٌ ذَفِرُ[1]

[قوله في بني الحارث وجواب عبدالله بن عبد المدان]

ونسختُ من كتاب مترجَمٍ بأنه نُسخ من نسخة عمرو بن أبي عمرو الشيباني يأثُره عن أبيه قال قال محمد بن السائب الكلبي : كان دريد بن الصّمة يوماً يشرب مع نَفَرٍ من قومه ، فقالوا له : يا أبا ذُفافة ، وكان يُكنى بأبي ذُفافة وبأبي قُرة ، أينجو بنو الحارث بن كعبٍ منك وقد قتَلوا أخاك خالداً !؟ فقال لهم : إن القوم جَمرةُ[2] مَذحِج ، وهم أكفاءُ جُشَمَ ، ولا يَجمُل بي هجاؤهم . فأَحفظُوه بكثرة القول وأغضبوه ، فقال[3] : [من الرمل]

يا بنــي الحارثِ أنتم مَعشَرٌ ... زَندُكم وارٍ وفي الحربِ بُهَمْ[4]
ولكــم خيــلٌ عليهـا فتيةٌ ... كأُسُودِ الغابِ يَحمِينَ الأَجَمْ
ليس في الأرضِ قَبِيلٌ مثلُكم ... حين يَرفَضُّ العِدا غيرَ جُشَمْ
لستُ للصِّمَّـةِ إن لم آتِكم ... بالخَناذيذ تَبارى في اللُّجُمْ[5]
فتَقَــرُّ العــينُ منكم مــرةً ... بانبعاثِ الحُــرّ نَوحاً تَلتَدِمْ[6]
وتُــرى نَجرانُ منكم بَلقعاً ... غيرَ شَمطاءَ وطفلٍ قـد يَتِمْ
فانظُروهـا كالسَّعـالي شُزَّبـاً ... قبلَ رأسِ الحَوْلِ إن لم أُختَرَمْ

قال : فنُمِي قولُه إلى عبد الله بن عبد المَدان ، فقال يُجيبه : [من البسيط]

نُبِّئــتُ أن دُريــداً ظَــلَّ مُعترِضاً ... يُهدِي الوَعيدَ إلى نَجرانَ من حَضَنِ[7]
كالكلبِ يَعـوِي إلى بيداء مُقفِرةٍ ... من ذا يُواعِدُنا بالحربِ لم يَحِنِ[8]

---

1 الذفر : متغير الرائحة .
2 جمرة : أهل منعة وشدة يصبرون للقتال دون أن يحالفوا غيرهم .
3 ديوانه : القطعة 64 .
4 بهم : جمع بهمة وهو الشجاع .
5 الخناذيذ : جياد الخيل ، واحدها خنذيذ .
6 تلتدم : تضرب صدرها في النياحة .
7 حضن : جبل بنجد .
8 لم يحن : لم يهلك .

إن تَلقَ حَـيَّ بَنـي الدَّيَّانِ تَلقَهمُ — شُمَّ الأنـوفِ إليهم عِـزَّةُ اليمنِ
وما كان في الناس للدَّيَّان من شَبَهٍ — إلا رُعَـينٌ وإلا آلُ ذي يَـزَنِ
أغمِضْ جفونَـكَ عمَّا لستَ نائلَه — نحنُ الذيـنَ سبقْنا الناسَ بالدمنِ
نحـنُ الذيـنَ تركنـا خالداً عَطِباً — وَسطَ العَجاجِ كأنَّ المـرءَ لم يَكُنِ
إن تَهجُنا تَهـجُ أنجاداً شَرامِحةً — بِيضَ الوجوهِ مَرافِيداً على الزمنِ[1]
أوْرَى زِيـادٌ لنـا زَنـداً ووالدُنا — عبدُ المَدان وأُورى زنـدَه قَطَنُ[2]

[حمى أسماء بن زنباع ظعينته منه]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا أبو بكر العامري عن ابن الأعرابي قال : أغار دُرَيد بن الصّمة في نفر من أصحابه ، فمروا بأسماءَ بن زِنباع الحارثي ومعه ظَعينتُه زينب ، فأحاطوا به ليتنزعوها من يده ، فقاتلهم دونَها فقتَل منهم وجرح ، ثم اختلف هو ودريد طعنتين : فطعنه دريد فأخطأه ، وطعنه أسماءُ فأصاب عينه ، وانهزم دريد ولَحِق بأصحابه ؛ فقال دريد في ذلك[3] : [من البسيط]

شَلَّتْ يميني ولا أشرَبْ معتَّقةً — إذ أخطأ الموتُ أسماءَ بن زِنباعِ

قال : وهي قصيدة .

[قصته مع أنس بن مدركة الخثعمي ويزيد بن عبد المدان]

ونسختُ من كتاب أبي عمرو الشَّيباني الذي ذكرتُه يأثُره عن محمد بن السائب الكلبي قال : جاور رجلٌ من ثُمالةَ عبدَ الله بن الصّمة ، فهلَك عبد الله وأقام الرجل في جِوار دريد . وأغار أنسُ بن مُدرِكةَ الخَثعَمي على بني جُشَمَ ، فأصاب مالَ الثُّمالي وأصاب ناساً من ثُمالةَ كانوا جيراناً لدُرَيد ؛ فكفَّ دريدٌ عن طلب القوم وشُغِل بحرب من يَلِيه ، وقال لجاره ذلك : أمهِلنِي عامي هذا . فقال الثمالي : قد أمهَلتُك عامين .

وخرج دريدٌ ليلةً لحاجته وقد أبطأ في أمر الثُّمالي ، فسمعه يقول : [من الطويل]

كساك دُريدُ الدَّهرَ ثـوبَ خَزايةٍ — وجَدَّعَـكَ الحامـي حقيقتَه أَنَسْ
دَعِ الخيلَ والسُّمرَ الطِّوالَ لخَثعَمٍ — فما أنتَ والرُّمحُ الطويل وما الفَرَسْ

---

1 الشرامحة : جمع شرمح وهو القوي والطويل .
2 في هذا البيت إقواء .
3 هذا البيت في الديوان : رقم 39 .

وما أنت والغزوَ المُتابَع للعِدا — وهَمُّكَ سَوقُ العَودِ والدَّلْوُ والمَرَسْ[1]
فلو كان عبدُ الله حياً لردَّها — وما أصبحتْ إبلي بنَجرانَ تُحتبَسْ
ولا أصبحتْ عِرسي بأشقى معيشةٍ — وشيخٌ كبيرٌ من ثُمالةَ في تَعَسْ
يُراعي نجومَ الليل من بعد هَجعةٍ — إلى الصبح محزوناً يُطاوله النَّفَسْ
وكنتُ وعبدُ اللهِ حيٌّ وما أُرى — أُبالي من الأعداء مَن قام أو جلسْ
فأصبحتُ مهضوماً حزيناً لفقده — وهل من نَكيرٍ بعد حولين تَلتَمِسْ

قال : فضاق دريدٌ ذَرعاً بقوله ، وشاور أُولي الرأي من قومه ؛ فقالوا له : ارحَل إلى يزيد بنِ عبد المَدان ؛ فإن أَنَساً قد خلَّف المالَ والعِيالَ بنَجرانَ للحرب التي وقعت بين خثعَم ، وإن يزيد يردُّها عليك . فقال دريد : بل أُقدِّم إليه قبل ذلك مِدحةً ثم أنظر ما مَوقِعي من الرجل ، فقال هذه القصيدةَ وبعث بها إلى يزيد[2] : [من الوافر]

بني الدَّيَّانِ رُدُّوا مالَ جاري — وأَسرى في كُبُولهمُ الثِّقالِ
ورُدُّوا السَّبيَ إن شئتم بمَنٍّ — وإن شئتم مُفاداةً بمالِ
فأنتم أهلُ عائدةٍ وفضلٍ — وأيدٍ في مواهبكم طِوالِ
متى ما تَمنعوا شيئاً فليست — حبائلُ أخذه غيرَ السؤالِ
وحربُكُمُ بني الدَّيَّانِ حربٌ — يَغَصُّ المرءُ منها بالزُّلالِ
وجارتُكم بني الدَّيَّان بَسلٌ — وجارُكُم يُعَدُّ من العِيالِ[3]
حَذا عَبدُ المَدان لكم حِذاءً — مُخَصَّرةَ الصدورِ على مِثالِ
بَني الدَّيَّانِ إن بني زِيادٍ — همُ أهلُ التكرُّمِ والفَعالِ
فأَولُوني بني الدَّيَّانِ خيراً — أُقِرّ لكم به أُخرى الليالي

قال : فلما بلَغ يزيد شعره قال : وجب حقُّ الرجل ! فبعث إليه أن أَقدم علينا . فلما قدِم عليه أكرمه وأحسن مَثواه . فقال له دريد يوماً : يا أبا النَّضر ، إني رأيتُ منكم خِصالاً لم أَرَها من أحد من قومكم : إني رأيتُ أبنيتَكم متفرِّقة ، ونِتاجَ خيلكم قليلاً ، وسَرحَكُم يجيء مُعَتَّماً ، وصبيانَكم يَتَضاغَون من غير جوع . قال : أجَل ! أما قلة نِتاجنا فنِتاجُ هَوازِنَ يكفينا وأما تفرُّق

1 العود : المسن من الإبل . والمرس : الحبل .
2 ديوانه : القطعة 49 .
3 بسل : حرام .

أبنيتنا فللغَيرة على النساء . وأما بكاء صبياننا فإنا نبدأ بالخيل قبل العِيال . وأما تَمَسُّنا بالنَّعَم فإن فينا الغرائبَ والأراملَ ، تخرج المرأة إلى ما لها حيث لا يراها أحدٌ . قال : وأقبلتْ طلائعُهم على يزيد ، فقال شيخ منهم : [من المتقارب]

أَتَتـكَ السلامـةُ فارعَ النَّعَـمْ ولا تَقُـلِ الدَّهـرَ إلا نَعَـمْ

وسَرِّحْ دُرِيداً بنُعمَـى جُشَمْ وإن سالَكَ المرءِ إحدى القُحَمْ

فقال له دُريد : من أين جاء هؤلاء ؟ فقال : هذه طلائعُنا لا نَسرَحُ ولا نَصطَبِحُ حتى يرجعوا إلينا . فقال له : ما ظَلَمكم مَن جعلكم جمرة مَذحج . ورد يزيدُ عليه الأسارى من قومه وجيرانه ، ثم قال له : سَلني ما شئتَ ؛ فلم يسأله شيئاً إلا أعطاه إياه . فقال دريد في ذلك[1] : [من المتقارب]

مدَحتُ يزيدَ بن عبد المَدان فأَكرِمْ بـه من فتىً مُمتَدَحْ

إذا المـدحُ زانَ فتى مَعشَرٍ فـإنَّ يزيـدَ يَزيـنُ المِدَحْ

حلَلـتُ بـه دونَ أصحابه فـأَورى زِنـاديَ لمـا قَدَحْ

ورَدَّ النساءَ بـأطهارِها ولـو كان غيرُ يزيـدٍ فضَحْ

وفَكَّ الرجـالَ وكلُّ امرئٍ إذا أَصلحَ اللهُ يومـاً صلَحْ

وقلـتُ لـه بعد عِتق النساء وفَـكَّ الرجـال وردَّ اللِّقَحْ

أَجِر فـوارسَ مـن عامـرٍ فأَكـرِمْ بنَفحتـه إذ نَفَـحْ

ومـا زلتُ أعرفُ في وجهه بكَرِّي السؤالَ ظهورَ الفرحْ

رأيـتُ أبا النَّضر في مَذحِجٍ بمنزلةِ الفجـرِ حينَ اتَّضَحْ

إذا قارَعـوا عنـه لم يُقرَعوا وإن قدَّمـوه لكَبشٍ نطَـحْ

وإن حضَر الناسَ لم يُخزِهـم وإن وازَنـوه بقِـرنٍ رجَحْ

فـذاكَ فتاهـا وذو فضلهـا وإن نابـحٌ بفَخـارٍ نَبحْ

[مع مسهر بن يزيد الحارثي]

قال وقال ابن الكلبي : خرج دريـد بن الصِّمة في فـوارس مـن قومـه في غَزاة له ، فلَقِيه مُسهِر بنِ يزيد الحارثي ، الذي فَقَأَ عين عامر بن الطُّفَيل ، يقود بامرأته أسماء بنت حَزن الحارثية . فلما رآه القوم قالوا : الغنيمةَ ، هذا فارسٌ واحد يقود ظَعِينةً ، وخليقٌ أن يكونَ الرجل قرشياً . فقال دريد : هل منكم رجل يمضي إليه فيقتله ويأتينا به وبالظَّعينة ؟ فانتَدب إليه رجلٌ من القوم

1 ديوانه : القصيدة 12 .

فحمَل عليه ، فلقيه مُسْهِر فاختلفا طعنتين بينهما ، فقتله مُسهِر بن الحارث . ثم حمل عليه آخر فكانت سبيلُه سبيلَ صاحبه ؛ حتى قتَل منهم أربعةَ نفر . وبَقي دريد وحدَه فأقبل إليه ، فلما رآه ألقى الخِطام من يده إلى المرأة وقال : خُذي خِطامَك ؛ فقد أقبل إليَّ فارسٌ ليس كالفُرسان الذين تقدَّموه ؛ ثم قصد إليه وهو يقول : [من الرجز]

أما ترى الفارسَ بعد الفارسْ أرداهُمُ عامِلُ رمحٍ يابسْ

فقال له دريد : من أنت لله أبوك ؟ قال : رجلٌ من بني الحارث بن كعب . قال : أنت الحُصَين ؟ قال لا . قال : فالمُحجَّل هَوذَة ؟ قال لا . قال : فمن أنت ؟ قال : أنا مُسهِر بن يزيد . قال : فانصرف عنه دريد وهو يقول[1] : [من الطويل]

أمن ذِكْر سَلمى ماءُ عينيك يَهمِلُ كما انهلَّ خَرَزٌ من شُعَيبٍ مُشَلشِلُ[2]
وماذا تُرَجِّي بالسلامةِ بعدَ ما نأتْ حِقَبٌ وابيضَّ منكَ المُرَجَّلُ
وحالتْ عَوادِي الحربِ بيني وبينها وحربٌ تَعُلُّ الموتَ صِرفاً وتُنهلُ
قِراها إذا باتتْ لَدَيَّ مُفاضَةٌ وذو خُصَلٍ نَهدُ المَراكِلِ هَيكلُ[3]
كَميشٌ كتَيسِ الرَّملِ أخلَصَ مَتنَه ضَريبُ الخَلايا والنَّقيعُ المعجَّلُ[4]
عَتِيدٌ لأيامِ الحروبِ كأنَّه إذا انجابَ رَيعانُ العَجاجةِ أجدَلُ[5]
يُجاوِبُ جُرداً كالسَّراحِينِ ضُمَّراً تَرُود بأبوابِ البيوتِ وتَصهَلُ
على كلِّ حَيٍّ قدْ أطلَّتْ بغارةٍ ولا مثلَ ما لاقى الحِماسُ وزَعبَلُ

الحِماس وزَعبَل : قبيلتان من بني الحارث بن كعب .

غَداةَ رأونا بالغريفِ كأنّنا حَبِيٌّ أدَرَّتْه الصَّبا متهلِّلُ[6]
بمُشعَلَةٍ تدعو هوازنَ ، فوقها نسيجٌ من الماذِيِّ لأْمٌ مُرَفَّلُ[7]
لدى مَعرَكٍ فيها تركنا سَراتَهم يُنادُون ، منهم مُوثَقٌ ومُجَدَّلُ

---

1 ديوانه : القصيدة 52 .
2 شلشل الماء : قطر .
3 المفاضة : الدرع . ذو خصل : يعني فرساً . نهد المراكل : واسع الجوف . هيكل : ضخم .
4 كميش : سريع . ضريب الخلايا : لبن النوق المخلاة للحلب .
5 الأجدل : الصقر .
6 الحبي : السحاب المتراكم .
7 الماذي : الدروع اللينة . اللأم : الدروع ، واحدتها لأمة . المرفل : المسبغ .

نَجُــذُّ جِهاراً بالسيوف رؤوسَهم ... وأرماحُنــا منهــم تَعُــلُّ وتَنهَلُ
تَرى كلَّ مسودِّ العِذارَين فارسٍ ... يُطِيف بــه نَسرٌ وعَرفاءُ جَيأَلُ[1]

قال مؤلّف هذا الكتاب : هذه الأخبار التي ذكرتُها عن ابن الكلبي موضوعةٌ كلُّها ، والتوليدُ بيّن فيها وفي أشعارها ، وما رأيتُ شيئاً منها في ديوان دُريد بن الصمة على سائر الروايات . وأعجبُ من ذلك هذا الخبرُ الأخيرُ ؛ فإنه ذكرَ فيه ما لحِقَ دريداً من الهُجنة والفضيحة في أصحابه وقتل من قُتِل معه وانصرافَه منفرداً ، وشعرُ دريد هذا يفخر فيه بأنه ظفِر ببني الحارث وقتلَ أماثِلَهم ؛ وهذا من أكاذيب ابن الكَلبي . وإنما ذكرتُه على ما فيه لئلا يسقطَ من الكتاب شيء قد رواه الناسُ وتَداوَلُوه .

1 العرفاء : الضبع . والجيألُ : من أسماء الضبع أيضاً .

[157] ـ أخبار المُعتَضِد في صنعة هذا اللحن وغيره من الأغاني

ـ دون أخباره في غير ذلك لأنها كثيرة تخرج عن حد الكتاب ـ وشيء من أخباره مع المغنِّين وغيرهم يصلح لما هاهنا

[لحن يجمع النغم العشر]

حدثني محمد بن خَلَف بن المَرزُبان قال حدثني عُبَيد الله بن عبد الله بن طاهر أن المعتضد بعث إليه ، لما صنعت جاريتُه شاجِي اللحنَ الذي يجمع النَّغَمَ العشرَ ، بظَبي وحبيب جاريتَي أخيه سليمان بن عبد الله بن طاهر حتى أخذَتا اللحنَ عنه ونقلتاه إليه وأَلقَتاه على جواريه . قال : ولم يزل يُراسِلُني مع عبد الله بن أحمد بن حمدون في أمر النَّغَم العشر ويسألني عنها وأشرحُها له ، حتى فهِمها جيِّداً وجمَعها في صوتٍ صنعه في شعر دُريد بن الصمة : [من منهوك الرجز]

يا ليتني فيها جَـذَعْ أَخُـبُّ فيهـا وأَضَعْ

وألقاه عليهما حتى أدَّتاه إليَّ مستعلِماً بذلك هل هو صحيحُ القِسمة والأجزاء أم لا ، فعرَّفتُه صحتَه ودللتُه على ذلك حتى تيقَّنه فسُرَّ بذلك ؛ وهو لَعَمري من جيِّد الصنعة ونادرها . وقد صنع المُعتضد ألحاناً في عدة أشعار قد صنع فيها الفحول من القدماء والمُحدَثِين وعارضَهم بصنعته فأحسن وشاكَل وضاهى ، فلم يَعجِز ولا قصَّر ولا أتى بشيء يُعتذر منه . فمن ذلك أنه صنع في : [من البسيط]

أمَّا القَطاةُ فإني سوفَ أنعتُها نَعتاً يوافقُ نعتي بعضَ مـا فيها

لحناً من الثقيل الأول بالبنصر في نهاية الجودة ، سمعت إبراهيم بن القاسم بن زُرزُور يُغَنِّيه ، فكان من أحسنِ ما صُنع في هذا الصوت على كثرة الصنعة فيه واشتراك القدماء والمُحدَثين في صنعته مثل معبد ونشيطٍ ومالك وابن مُحرِز وسِنانٍ وعُمَر الوادي وابن جامع وإبراهيم وابنه إسحاق وعلويه . وأظرفُ من ذلك أنه صنع في : [من الطويل]

تَشَكَّى الكُمَيتُ الجَريَ لمّا جهَدتُه وبَيَّنَ لـو يَسْطيـعُ أنْ يتكلَّمـا

لحناً من الثقيل الأول[1] بالوسطى ، وقد صنع قبله ابن سُريج لحناً هو من الألحان الثلاثة المختارة من الغناء كلِّه ، فما قصَّر في صنعته ولا عَجَز عن بلوغ الغاية فيها ؛ هذا بعد أن صنع إسحاقُ فيها لحناً من الثقيل الثاني عارض ابنَ سُرَيج به في لحنه ، فما امتنع من أن يتلو مثل هذين ولا نظيرَ لهما في القدماء والمُحدثين ، ثم جوَّد غاية التجويد فيما اتبعهما به وعارضهما فيه . هذا مع أُصوات له صنَعها تُزاهي المائة صوت ، ما فيها ساقطٌ ولا مَرذُول ، وسأذكر منها ما يَصلُح ذكرُه في موضعه إن شاء الله تعالى .

ومن نادر صنعة المعتضد : [من الطويل]

صوت

أَناةً فإن لم تُغـــنِ عقَّب بعدَها وَعِيداً ، فإن لم يُغنِ أغنتْ عَزائمُه

الشعر لإبراهيم بن العباس ، والغناء للمعتضد ثقيلٌ أول . هذا بيتٌ قاله إبراهيم وهو لا يعلم أنه شعر ، وإنما كتب به في رسالة عن المعتصم إلى بعض أصحاب الأطراف فقال في فصل منه : «وإن عند أمير المؤمنين في أمرك أَناةً ، فإن لم تُغنِ عقَّب بعدها وعيداً ، فإن لم يُغنِ أَغنَت عزائمُه» . فلما تأمله رأى أنه شعر وأنه بيتٌ نادر فأخرجه في شعره .

1 ل : الثاني .

[158] ـ أخبار إبراهيم بن العباس ونسبه[1]

[نسبه]

إبراهيم بن العباس بن محمد بن صُول ، وكان صُولٌ رجلاً من الأتراك ، ففتح يزيد بن المهلَّب بلدَه وأسلم على يديه ، فهم موالي يزيد . ولما دعا يزيد إلى نفسه لَحِق به صُولٌ لينصرَه فصادفه قد قُتل . وكان يقاتل كلَّ مَن بينه وبين يزيد من جيش بني أمية ويكتب على سهامه : صُولٌ يدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه . فبلغ ذلك يزيد بن عبد الملك ، فاغتاظ وجعل يقول : وَيلي على ابن الغَلفاء ! وماله وللدُّعاء إلى كتاب الله وسنة نبيه ؟! ولعله لا يَفقَه صَلاتَه ! . وكان ابنه محمد بن صُول من رجال الدولة العباسية ودُعاتها . وقد كان بعضُ أهليهم ادعَوا أنهم عربٌ وأن العباس بن الأحنف خالُهم . وأما صول فإن خالد بن خِداش ذكر عن أهله قالوا : كان صولٌ وفَيروزُ أخوين مَلَكا على جُرجان ، وكانا تركيَّين تمجَّسا وتشبَّها بالفُرس . فلما حضر يزيد بن المهلب جُرجان أمّنهما ، فأسلم صُولٌ على يديه ولم يزل معه حتى قُتل يوم العَقر[2] . وكان محمد بن صول يُكنى أبا عُمارة ، أحد الدُّعاة ، وقتله عبد الله بن علي لما خالف مع مُقاتل بن حكيم العَكي[3] وعِدَّةٍ آخرين . وأما إبراهيم بن العباس وأخوه عبد الله فإنهما كانا من وجوه الكُتاب ، وكان عبد الله أسنَّهما وأشدَّهما تقدُّماً ، وكان إبراهيم آدَبهما وأحسنَهما شعراً ، وكان يقول الشعر ثم يختاره ، ويُسقط رَذله ، ثم يُسقط الوسطَ ، ثم يسقط ما يُسبَق إليه ، فلا يَدَع من القصيدة إلا اليسيرَ ، وربما لم يَدَع منها إلا بيتاً أو بيتين ؛ فمن ذلك قوله[4] : [من الوافر]

ولكنَّ الجوادَ أبا هشامٍ وفيُّ العهدِ مأمونُ المَغيبِ

وهذا ابتداء يدُل على أن قبله غيرَه ؛ وقولُه في أخيه[5] : [من الطويل]

---

1 ترجمة إبراهيم بن العباس الصولي في معجم الأدباء لياقوت (عباس) 1 : 70–86 والفهرست : 136 وتاريخ بغداد 6 : 117 ومروج الذهب : 23–28 وابن خلكان 1 : 44 وإعتاب الكتّاب : 746 والوافي 6 : 24 والنجوم الزاهرة 2 : 315 وله أخبار منثورة في كتب الأدب ، وديوانه مضمن في الطرائف الأدبية 126–194 بعناية عبد العزيز الميمني .

2 يوم العقر : مكان بين واسط وبغداد قتل فيه يزيد بن المهلب سنة 102هـ .

3 أحد قواد أبي مسلم الخراساني .

4 الطرائف الأدبية : 184 .

5 الطرائف الأدبية : 136 .

ولكنَّ عبدَ اللهِ لما حوَى الغنى وصارَ له من بين إخوته مالُ

وهذا أيضاً ابتداء يدل على أن قبله غيرَه . وكان إبراهيم وأخوه عبد الله من صنائع ذي الرِّياستين ، اتَّصلا به فرفع منهما . وتنقَّل إبراهيم في الأعمال الجليلة والدواوين إلى أن مات وهو يتقلد ديوان الضِّياع والنفقات بسُرّ مَنْ رأى في سنة ثلاث وأربعين ومائتين للنصف من شعبان .

قال محمد بن داود وحدثني أحمد بن سعيد بن حسان قال حدثني ابن إبراهيم قال سمعت دِعبِلاً يقول : لو تكسَّب إبراهيم بن العباس بالشعر لتركنا في غير شيء . قال : ثم أنشدنا له ، وكان يستحسن ذلك من قوله[1] : [من السريع]

إنَّ امرأً ضنَّ بمعروفهِ عنّي لمبذولٌ له عذري

ما أنا بالراغبِ في عُرفهِ إن كان لا يرغبُ في شكري

[هجاؤه محمد بن عبد الملك الزيات]

وكان إبراهيم بن العباس صديقاً لمحمد بن عبد الملك الزيات ، ثم آذاه وقصده وصارت بينهما شَحناء عظيمة لم يمكن تلافيها ، فكان إبراهيم يهجوه ؛ فمن قوله فيه[2] : [من الطويل]

أبا جعفرٍ خَفْ خَفضةً بعد رِفعةٍ وقصِّرْ قليلاً عن مدَى غُلَوائكا

لئن كان هذا اليومُ يوماً حوَيتَه فإن رجائي في غدٍ كرجائكا

وله فيه أيضاً[3] : [من الطويل]

دعوتك في بَلوى أَلَمَّتْ صروفُها فأوقدتَ من ضِغنٍ عليَّ سعيرَها

فإنِّي إذا أدعوكَ عندَ مُلِمَّةٍ كداعيةٍ عندَ القبورِ نَصيرَها

وقال فيه لما مات[4] : [من الرجز]

لما أتاني خَبَرُ الزيات وأنه قد صار في الأمواتِ

أيقنتُ أن موتَه حياتي

[صديق منافق]

أخبرني جحظة قال حدثني ميمون بن هارون قال : لما انحرف محمد بن عبد الملك الزيات

---

1 الطرائف الأدبية : 185 .
2 الطرائف الأدبية : 161 .
3 الطرائف الأدبية : 184 .
4 الطرائف الأدبية : 182 .

عن إبراهيم تحاماه الناس أن يلقوه ، وكان الحارث بن بُسخُنَّر صديقاً له مصافياً ، فهجره في من هجره من إخوانه ؛ فكتب إليه[1] : [من الطويل]

تَغَيَّر لي في مَـنْ تغيَّر حـارثُ   وكم مِن أخٍ قد غيَّرتـه الحوادثُ
أحارثُ إن شوركتُ فيك فطالما   غَنينا ومـا بيني وبينكَ ثالثُ

وقد قيل : إن هذه الأبيات لإسحاق بن إبراهيم الموصلي .

ومن جيِّد قولِ إبراهيم بن العباس وفيه غناء[2] : [من مجزوء الكامل]

صوت

خـلِّ النِّفـاقَ لأهلـه   وعليك فـالتمس الطَّريقا
واذهَبْ بنفسكَ أن تُرى   إلا عـدواً أو صديقـا[3]

الغِناء لأبي العَنْبَس بن حمدون ، ثقيلٌ أول .

[هوي قينة فنغصه تأخرها]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهرويه قال : كان إبراهيم بن العباس يهوى قَينة بسُرَّ مَنْ رأى ، فكان لا يكاد يفارقها . فجلس يوماً للشرب ومعه إخوان له ، ودعا جماعةً من جواري القيان ، ودعاها فأبطأت ، فتنغص عليهم يومُهم لِما رأَوا من شُغل قلبه بتأخُّرها ، ثم وافت فسُرِّيَ عنه وطابت نفسه وشرب وطرِب ، ثم دعا بدواة فكتب[4] : [من المتقارب]

ألم تَرنـا يومَنـا إذ نأتْ   فلم تأتِ مـن بين أترابها
وقد غمرتْنا دواعي السرور   بإشعالهـا وبـإلهابها
ومَـدَّتْ علينا سماءَ النعيم   وكلُّ المُنى تحـت أطنابها
ونحنُ فُتـورٌ إلى أن بدتْ   وبدرُ الدُّجى بـين أثوابها
فلمّا نـأتْ كيفَ كُنَّا لها   ولما دَنَتْ كيفَ صِرنا بها

وأمر من حضر فقرأ عليها الأبيات ، فتجنَّت[5] وقالت : ما القصة كما وصفتَ ، وقد كنتم في

1 الطرائف الأدبية : 182 .
2 الطرائف الأدبية : 161 .
3 واذهب في الطرائف الأدبية : وارغب .
4 الطرائف الأدبية : 140 .
5 معجم الأدباء : فتغضبت .

قَصفكم مع مَن حضر ، وإنما تجمَّلتم لي لما حَضَرتُ . فأنشأ يقول[1] : [من المجتث]

يا مَـــن حنيني إليــه ومـــن فـؤادي لديه
ومَن إذا غابَ من بيـ ـنهـم أسِفـــتُ عليه
إذا حضرتِ فما مِنـ ـهُمُ مَـــنَ أصبُو إليه
من غاب غيرُكِ منهم فأمـــرُه في يــديه[2]

قال : فرضيت عنه ، وأتممنا يومَنا على أحسن حال .

[أجازه دعبل في شعر]

وقال محمد بن داود حدثني محمد بن القاسم قال حدثني إبراهيم بن المدبر قال حدثني إبراهيم بن العباس ، قال حدثني به دِعبِلٌ أيضاً فكانا متفقَين في الرواية ، قال : كنا نطلبُ جميعاً بالشعر ، فخرجنا وكنا في مَحمِل ، فابتدأتُ أقول في المطَّلب بن عبد الله بن مالك :

أمطَّلِـــبٌ أنــتَ مُستَعــذِبٌ

فقال دِعبِل : [من المتقارب]

لسمٍّ الأفاعـــي ومُستَقتِـــلُ

فقلت :

فإن أشفِ منــك تكن سُبَّةً

فقال دِعبل :

وإن أعفُ عنــك فمــا تفعلُ

[الأخفش يستحسن أبياتاً له]

أنشدني الأخفش لإبراهيم بن العباس وكان يُفضِّلها ويستجيدها[3] : [من الوافر]

أميل مــع الذِّمامِ على ابنِ أمِّي وآخُــذ للصديـقِ مــن الشقيقِ
وإن ألفَيتَنــي حُــراً مُطاعــاً فإنك واجِـدي عبـدَ الصديقِ
أفــرِّق بــين معــروفي ومَنِّي وأجمـعُ بـين مـالي والحقوقِ

[جوابه لمعتذر]

أخبرني عمي قال حدثني أبو الحسن بن أبي البَغل قال حدثني عمي قال : اجتاز محمد بن علي

---

1 الطرائف الأدبية : 152 .

2 فأمره في الطرائف الأدبية : فإذنه .

3 الطرائف الأدبية : 154 .

برد الخيار على أبي أيوب ابن أخت الوزير وهو متولّي ديار مُضَر فلم يتلقّه ، ونزل الرَّقّة فلم يصل إليه ولم يَبَرَّه ، وخرج عنها فلم يُشيِّعه . فلامه إخوانُه وقالوا : يشكوك إلى إبراهيم بن العباس . فكتب إلى إبراهيم يعتذر مما جرى بعلّةٍ . فكتب إليه إبراهيم على ظهر كتابه[1] : [من الرمل]

أبداً مُعتَـذِرٌ لا يُعـذَرُ ورَكُـوبٌ للتي لا تُغفَرُ
ومُلَقّـى بمساوٍ كلّهـا منـه تبدو وإليه تصدُرُ
هي من كلّ الورى مُنكَرَةٌ وهي منه وحده لا تُنكَرُ

[الجارية «سامر» تهدي له جاريتين]

أخبرني عمي قال حدثني ابن برد الخيار عن أبيه قال : كان إبراهيم بن العباس يهوى جارية لبعض المغنّين بسُرَّ مَن رأى يقال لها سامر[2] ، وشُهِر بها ، فكان منزله لا يخلو منها . ثم دُعِيت في وليمة لبعض أهلها فغابت عنه أياماً ثم جاءته ومعها جاريتان لمولاتها . وقالت له : قد أهديتُ صاحبتَيَّ إليك عِوَضاً من مَغيبي عنك ؛ فأنشأ يقول[3] : [من البسيط]

صوت

أقبلنَ يَحفُفنَ مثلَ الشمسِ طالعةً قـد حسَّنَ اللهُ أُولاها وأُخراها
ما كنتِ فيهنَّ إلا كنتِ واسطةً وكنَّ دونكِ يُمناهـا ويُسراها

الغناء لسَلسَل مولى بني هاشم ، ثاني ثقيلٍ بالوسطى مطلقٌ . وليس لسلسل خبر يُدوَّن ولا هو من المشهورين ولا ممن خدم الخلفاء أو دُوِّن له حديث . وذكر حَبَش أنه لسلسل مولاة محمد بن حرب الهِلالي . وسَلسَل هذه كانت من أحسن الناس وجهاً وغِناءً ، وكانت لبعض المغنّين بالبصرة ، وكان محمد بن حرب هذا يتعشّقها ولم تكن مولاته . فأخبرني الحرمي بن أبي العَلاء قال حدثنا إسحاق بن محمد النَّخَعي قال حدثني حماد بن إسحاق قال : أتى أبانُ بن عبد الحميد الشاعر رجلاً بالبصرة وله قَينة يقال لها سَلسَل ، فصادف عندها محمد بن قَطَن الهلالي وعثمان بن الحَكَم بن صخر الثَّقَفي فقال[4] : [من الرمل]

فتنتْ سَلسَلُ قلبَ ابنِ قَطَنْ ثم ثَنَّتْ بابن صخر فافتتنْ
فأتيتُ اليـومَ كـي أُنقِذَهم فإذا نحـنُ جميعاً في قَرَنْ

فأظُن الغَلَطَ وقع على حَبَش من هاهنا أو سمع هذا الخبر فتوهَّم أنها مولاة محمد بن حرب .

1 الطرائف الأدبية : القطعة 111 . وفيه اختلاف .
2 معجم الأدباء : ساهر .
3 معجم الأدباء : 75 .
4 الطرائف الأدبية : القطعة 39 .

[يركب مع دعبل حمير أهل الشوك]

أخبرني عمي ووكيع قالا حدثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزي قال حدثني محمد بن عيسى بن عبد الرحمن قال : خرج إبراهيم بن العباس ودِعبِل بن علي وأخوه رَزِين في نُظَرائهم من أهل الأدب رَجَّالةً إلى بعض البساتين في خلافة المأمون ، فلقِيَهم قوم من أهل السواد من أصحاب الشَّوك ، فأعطَوهم شيئاً وركِبوا تلك الحميرَ ؛ فأنشأ إبراهيم يقول[1] : [من الهزج]

أعِيضَتْ بعدَ حَمل الشَّو ... كِ أحمالاً من الحرفِ
نَشاوَى لا من الصَّهبا ... ءِ بلْ من شِدّةِ الضّعْفِ

فقال رزين : [من الهزج]

فلو كنتم على ذاك ... تؤولونَ إلى قَصفِ
تساوتْ حالُكم فيه ... ولم تَبقَوْا على خَسفِ

فقال دعبل : [من الهزج]

وإذ فاتَ الذي فاتَ ... فكونوا من بني الظَّرفِ
ومُرُّوا نَقصِفُ اليومَ ... فإني بائعٌ خُفّي

فانصرفوا معه فباع خُفَّه وأنفقه عليهم .

[رثاؤه لابنه]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مَهرويه قال قال لي علي بن الحسين الإسكافي : كان لإبراهيم ابنٌ قد يَفَع وترعرَعَ ، وكان مُعجباً به فاعتلّ عِلَّة لم تَطُل ومات ؛ فرثاه بمراثٍ كثيرة ، وجزِع عليه جَزَعاً شديداً . فممّا رثاه به قوله[2] : [من مجزوء الكامل]

كنتَ السوادَ لمُقلتي ... فبكى عليكَ الناظرُ
مَن شاءَ بعدَكَ فَلْيَمُتْ ... فعليكَ كنتُ أُحاذِرُ

فيه رمل لابن القصار . ومن مراثيه إياه قوله[3] : [من المتقارب]

---

1 ديوان دعبل (نجم) : 110 .

2 الطرائف الأدبية : 169 والبيت :

أتت السواد لمقلة ... تبكي عليك وناظر

وفي رواية أخرى :

كنت السواد لناظري ... فعمي عليك الناظر

3 الطرائف الأدبية : 179 .

وما زلتُ مُذ لَدُ أُعطِيتُه ... أُدافعُ عنه حِمامَ الأَجَلْ
أُعوِّذه دائباً بالقُرانِ ... وأرمي بطرفي إلى حيث حَلْ
فأضحتْ يدي قصدُها واحدٌ ... إلى حيثُ حلَّ فلم يَرتَحِلْ

[عاتبه أبو واثلة على العهد]

وقال أحمد بن أبي طاهر حدثني أبو واثِلةَ قال: قلت لإبراهيم بن العباس: قد أخملتَ نفسك ورضِيتَ أن تكون تابعاً أبداً لاقتصارك على القَصف واللعب؛ فأنشأ يقول: [من مجزوء الخفيف]

إنّما المرءُ صورةٌ ... حيثُ حلَّتْ تَناهتِ
أنا مذ كنتُ في التصرُّ ... فِ لي حالُ ساعتي

[أخوه عبد الله يقاسمه وأخته ماله]

أخبرنا محمد بن يحيى الصولي قال حدثني ابن السَّخِي قال: وهَب عبد الله بن العباس لأخيه إبراهيم ثُلُثَ ماله، ووهب لأخته الثلث الآخر، فسار مساوياً لهما في الحال؛ فقال إبراهيم: [من الطويل]

ولكنَّ عبدَ الله لما حَوى الغنى ... وصار له من بين إخوته مالُ
رأى خَلَّةً منهم تُسَدُّ بماله ... فساهَمهم حتى استوتْ بهمُ الحالُ

وهذا مما عِيبَ على إبراهيم قولُه ابتداءً «ولكن عبد الله». وقد كرَّره في شعره فقال: [من الوافر]

ولكنَّ الجوادَ أبا هاشم ... وفيُّ العهدِ مأمونُ المَغيبِ
بَطِيءٌ عنكَ ما استغنيتَ عنه ... وطَلاَّعٌ عليك مع الخطوبِ

والسبب في ذلك اختيارُه شعرَه وإسقاطُه ما لم يَرضَه منه.

[عزله عن الأهواز]

وقرأت في بعض الكتب: لما عُزِل إبراهيم بن العباس عن الأَهواز في أيام محمد بن عبد الملك الزيات اعتُقِل بها وأُوذِي، وكان محمد قَبل الوزارة صديقَه، وكان يؤمِّل منه أن يُسامحه ويُطلِقَه، فكتب إليه[1]: [من الطويل]

فلو إذ نَبا دهرٌ وأُنكِر صاحبٌ ... وسُلِّط أعداءٌ وغابَ نصيرُ
تكونُ عن الأَهوازِ داري بنَجوةٍ ... ولكنْ مقاديرٌ جرتْ وأمورُ

1 الطرائف الأدبية: القطعة 17 وفيه اختلاف.

وإني لأرجو بعدَ هذا محمداً لأفضلِ ما يُرجى أخٌ ووزيرُ

فأقام محمد على قصدِه وتكشُّفِه والإساءة إليه حتى بلغ منه كلَّ مكروه ، وانفرجت الحال بينهما على ذلك ، وهجاه إبراهيم هجاءً كثيراً .

[تحامل ابن الزيات عليه]

وأخبرني محمد بن يحيى الصُّولي قال حدثني أبو عبد الله الباقطاني أو الطَّالقاني قال حدثني علي بن الحسين بن عبد الأعلى قال : وجَّه محمد بن عبد الملك بأبي الجَهم أحمد بن سيف إلى الأهواز ليكشِف إبراهيم بن العباس ، فتحامل عليه تحاملاً شديداً . فكتب إبراهيم إلى محمد بن عبد الملك يُعَرِّفه ذلك ويشكوه إليه ويقول له : أبو الجهم كافرٌ لا يُبالي ما عمِل ، وهو القائل لما مات غلامُه يخاطب مَلَكَ الموت : [من المتقارب]

وأقبلتَ تسعى إلى واحدي ضِراراً كأنِّي قتلتُ الرسولا

تركتَ عَبِيدَ بني طاهرٍ وقد ملئوا الأرضَ عَرْضاً وطولا

فسوفَ أُدِينُ بتركِ الصلاة وأصطَبِحُ الخمرَ صِرفاً شَمولا

فكان محمد لعصبيَّته على إبراهيم وقَصدِه له يقول : ليس هذا الشعر لأبي الجَهم ، إنما إبراهيم قاله ونَسَبَه إليه .

[مدح المتوكل ببيتين]

أخبرني أحمد بن جعفر بن رفعة قال حدثني أبي قال دعاني إبراهيم بن العباس وقال : قد مدحتُ أمير المؤمنين المتوكِّل ببيتين ، فغنِّ فيهما وأشِعهما ، ودعا لي بطِيب كثير فأعطانيه ، وخلَع عليَّ خِلعة سَرِيَّة ، فغنيتُ فيهما . والبيتان : [من مجزوء الكامل]

صوت

ما واحدٌ من واحدٍ أولى بفضلٍ أو مُرُوّهْ

ممن أبوه وجَدُّه بين الخلافةِ والنُّبُوهْ

وأشَعتُهما وغُنِّي فيهما المتوكل فاستحسنهما ووصله صِلَةً سنية .

لحنُ جعفر بن رفعة في هذين البيتين رَمَلٌ بالبِنصر .

[مدح الرضا لما عقدت ولاية العهد]

أخبرني محمد بن يونس الأنباري قال حدثني أبي : أن إبراهيم بن العباس الصُّولي دخل على الرِّضا لما عقَد له المأمون وولاَّه العهدَ ، فأنشده قوله[1] : [من الطويل]

1 لم ترد في ديوانه .

أزالَت عَزاءَ القلبِ بعدَ التجلُّدِ مصارعُ أولاد النبـيِّ محمـدِ

ﷺ ، فوهب له عشرة آلاف درهم من الدراهم التي ضُربت باسمه . فلم تزل عند إبراهيم ، وجعل منها مُهور نسائه ، وخلَّف بعضَها لكَفَنه وجَهازه إلى قبره .

[آذى إسحاق ابن أخي زيدان فهدده]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولي قال حدثني أبو العباس بن الفُرات والباقطاني قالا : كان إسحاق بن إبراهيم ابن أخي زيدان صديقاً لإبراهيم بن العباس ، فأنسخه شعرَه في مدح الرِّضا ، ثم وليَ إبراهيمُ بن العباس في أيام المتوكِّل ديوانَ الضِّياعِ ، فعزله عن ضِياع كانت بيده بحُلوان ، وطالبه بمال وجب عليه ، وتباعَد بينهُما . فقال إسحاق لبعض من يثِق به : قل لإبراهيم بن العباس : والله لئن لم يَكفُف عما يفعله فيَّ لأخرجنَّ قصيدتَه في الرضا بخطه إلى المتوكِّل . فأحجم عنه إبراهيم وتلافاه ، ووجَّه من ارتجع القصيدةَ منه وجعله على ثقةٍ من أنه لا يُظهرها ، ثم أفرج عنه وأزال ما كان يطالبه به .

[نادرته في ثقيل]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا إبراهيم بن المُدبِّر قال : راكَبت إبراهيمَ بن العبَّاس ، فلَقِينا رجلٌ كان إبراهيم يستثقله ، فسلَّم عليه . فلمَّا مضى قال : يا أبا إسحاق إنه جَرمي . فقلت : ما كان عندي إلا أنه من أهل السَّواد . فضحِك وقال : إنما أردتُ قولَ الشاعر[1] : [من مجزوء الوافر]

تُسائِل عن أخي جَـرم ثقيـلٌ والذي خَلَقَـهْ

[كتابه في شفاعة]

أخبرني الصُّولي قال حدثني محمد بن السَّخِي قال حدثني الحسن بن عبد الله الصُّولي قال : كتب عمِّي إبراهيمُ بن العباس شفاعة لرجلٍ إلى بعض إخوانه : فلان ممن يَزكُو شكره ، ويحسُن ذكرُه ، ويعنيني أمرُه ، والصنيعةُ عنده واقعةٌ موقِعَها ، وسالكةٌ طريقَها[2] . [من الطويل]

وأفْضَلُ ما يأتيه ذو الدِّين والحِجا إصابةُ شكـرٍ لم يَضِعْ مَعَهُ أجرُ

[مدحه عبيد الله بن يحيى عند المتوكل]

أخبرني عمي عن أبي العيناء قال : كان عبيد الله بن يحيى يقول للمتوكِّل : يا أمير المؤمنين ، إن إبراهيم بن العباس فضيلةٌ خبَأها الله لك ، وذخيرةٌ[3] ذَخرها لدولتك .

---

1 معجم الأدباء : 77 .

2 معجم الأدباء : 77 .

3 ل : وحسنة .

[وصف القدور الإبراهيمية]

وذُكر عن علي بن يحيى : أن المتوكل بعث إلى إبراهيم بن العباس يأمره أن يصف له القُدورَ الإبراهيمية ، وكان ابتدعها ؛ فكتب له صِفَتَها ، وكتب في آخرها في ذكر الأبازِير : «ووزن دانَقٍ» ونسيَ أن يكتب من أي شيء . فلما وصلتْ إليه الصفةُ اغتاظ ثم قال لعلي بن يحيى : احلفْ بحياتي أن تقول له ما آمُرك به ، ففعل . فقال له : قل وزنُ دانق من أي شيء ؟ أمِن بظْر أمك ! قال علي بن يحيى : فدخلتُ إليه فقلت : إني جئتك في رسالة عزيز عليَّ أن أُؤدِّيها ؛ فقال : هاتها ، فأديتُها . قال : فارجِع إليه وقل له عني : يا سيدي ، إن علي بن يحيى أخي وصديقي وقد أدَّى الرسالة ؛ فإن رأيت أن تجعل وزن الدانق من بَظْر أمي وبَظْر أمِّهِ جميعاً تفضلتَ بذلك . فقلت : قَبحك الله ! وأنا أيْش ذنبي ! قال : قد أديتَ الرسالة وهذا جوابُها . فدخلتُ إلى المتوكل فقال : إيهِ ما قال لك ؟ فقلتُ : قَبَح الله ما جئتُك به ! وأخبرته بالجواب ؛ فضحِك حتى فَحَص برجله وجعل يَشْرب عليه بقيَّةَ يومِه . وإذا لَقِيتُه قال لي : يا علي ، وزن دانق أيْشٍ ! فأقول : لعنة الله على إبراهيم .

[مداعبته الحسن بن وهب]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني محمد بن موسى بن حماد قال : دعا الحسنُ بنُ وَهْب إبراهيمَ بن العباس ؛ فقال له : أرْكَبُ وأجيئك عشياً فلا تنتظرني بالغَداة . فأبطأ عليه ، وأسرع الحسنُ في شُرْبه فسكِر ونام ، وجاء إبراهيم فرآه على تلك الحال ، فدعا بدواة وكتب[1] : [من البسيط]

رُحْنا إليك وقد راحتْ بك الرَّاحُ ... وأسرعتْ فيكَ أوتارٌ وأقداحُ

قال : وحدثني محمد بن موسى قال : نظر إبراهيم بن العباس الحسنَ بنَ وَهْبٍ وهو مخمورٌ فقال له[2] : [من مجزوء الكامل]

عيناكَ قدْ حَكَتا مَبيـ ... ـتَكَ كيفَ كنتَ وكيفَ كانا

ولَرُبَّ عينٍ قد أرتـ ... ـكَ مَبيتَ صاحبها عِيانا

فأجابه الحسن بن وهب بعشرين بيتاً وطالبه بمثلها ؛ فكتب إليه بأربعة أبيات وطالبه بأربعين بيتاً . وأبياتُ إبراهيمَ[3] : [من الكامل]

1 الطرائف الأدبية : القطعة 171 .
2 الطرائف الأدبية : 175 .
3 الطرائف الأدبية : القطعة 166 .

أأبا عليٍّ خيرُ قولك ما ... حصَّلتَ أنجعَه ومُخْتصرَهْ
ما عندنا في البيعِ من غَبَنٍ ... للمُسْتَقِلٌ بواحدٍ عَشَرَهْ
أنا أهلُ ذلك غيرَ مُحْتَشِمٍ ... أرْضى القديمَ وأقتفي أثرهْ
ها نحنُ وفَّيناكَ أربعةً ... والأربعونَ لديكَ مُنتظَرهْ

أخبرني الصُّولي قال حدثني القاسم بن إسماعيل قال: سمعتُ إبراهيمَ بنِ العباس وقد لبِس سوادَه يوماً يقول: يا غلامُ هاتِ ذلك السيفَ الذي ما ضرَّ الله به أحداً قطٌّ غيري.

[استثقاله ابن أخيه]

قال: وسأل يوماً عن ابن أخيه طماس وهو أحمد بن عبد الله بن العباس فقيل له: هو مشغول بطبيب ومُنجِّم عنده، وكان يستثقله، فقال قل له يا غلام: والله ما لك في الناس طَبْعٌ؛ ولا في السماء نجم، فما لك تَكَلُّفُ هذا التكلف.

أخبرني الصولي قال حدثني أحمد بن السَّخي قال: أمر إبراهيم بن العباس أن يُجْمَع كلٌّ أعور يَمرٌّ في الطريق، فجمعوهم ووقَفُوهم وخرج ومعه طماس، فلما رأى العُورَ مجتمعين قال لطماس: كلُّهم مثلُك، فاترك هذا الصَّلَف فإنه داعية إلى التَّلف.

أخبرني الصُّولي قال حدثني ميمون بن موسى قال: قال الحسن بن وَهْب لإبراهيم بن العباس: تعالَ حتى نَعُد البُغَضاء؛ قال: ابدأ بي أولاً من أجل ابن أخي طماس ثم ثَنٍّ بمن شئتَ.

[أمر الحسن بن مخلد بأمر فابطأ]

أخبرني الصُّولي قال قال جعفر بن محمود: ركِبتُ بين يَدَي إبراهيم بن العباس. فأمَر الحسنَ بن مُخَلَّد بأمرٍ فاستبطأه فيه فنظر إليه فقال[1]: [من مجزوء الخفيف]

مُعْجبٌ عندَ نفسِه ... وهو لي غير مُعْجِبِ
إن أَقُلْ لا يَقُلْ نعم ... عاتبٌ غيرُ مُعْتِبِ
مُولَعٌ بالخلافِ لي ... عامداً والتجنُّبِ
قلتُ فيه بضدّ ما ... قيل في أمِّ جُنْدُبِ

يريد قولَ امرىء القيس: [من الطويل]

«خليليَّ مُرّا بي على أمِّ جُنْدُبِ

أي فأنا لا أريد أن أمرَّ بك.

1 البيت الأول فقط في الطرائف الأدبية: القطعة 150 ومعه بيت ليس مما هنا.

[تنادر بابن الكلبي عند المتوكل]

قال وأخبرني الصُّولي قال حدثنا أحمد بن يزيد المُهَلَّبي عن أبيه قال[1] : كان المتوكل قد ولَّى ابنَ الكلبي البريدَ ، وأحلَفه بالطلاق ألا يَكتُمَه شيئاً من أمر الناس جميعاً ولا من أمره هو في نفسه . فكتب إليه يوماً أن امرأته خرجت مع حُبَّتها في نُزْهة ، وأن حُبتها عَرْبَدتْ عليها فجرحتْها في صُدْغها . فقرأه إبراهيم بن العباس على المتوكِّل ثم قال له : يا أمير المؤمنين ، قد صحّف ابنُ الكلبي ، إنما هو : «جرحتْها في صدعها» ، فضحك المتوكِّل وقال : صدقتَ . ما أظن القصة إلا هكذا . قال : ولم يكن ابن الكلبي هذا من العرب ، إنما كان أبوه يُلَقَّب «كلب الرَّحْل» فقيل له الكلبي .

[استعطافه محمد بن عبد الملك الزيات]

أخبرني عمِّي قال حدثنا ميمون بن هارون قال : كتب إبراهيم بن العباس إلى محمد بن عبد الملك يستعطفه : كتبت إليك وقد بلغت المُدْيةُ المَحزَّ ، وعَدَتِ الأيامُ بك عليَّ ، بعد عَدْوِي بك عليها ، وكان أَسْوأ ظني وأكثر خوفي ، أن تسكُنَ في وقت حركتِها ، وتكُفَّ عند أذاها ، فصرتَ عليَّ أضرَّ منها ، وكفَّ الصديقُ عن نُصْرتي خوفاً منك ، وبادر إليَّ العدوُّ تقرُّباً إليك . وكتب تحت ذلك[2] : [من مجزوء الوافر]

أخٌ بيني وبين الدَّهـ ـر صاحَبَ أيَّنا غَلَبا
صديقي ما استقامَ فإن نبا دهـرٌ عـليَّ نبا
وثَبْتُ على الزمانِ به فعـادَ بـه وقد وثبا
ولو عـادَ الزمانُ لنا لعـادَ بـه أخاً حَدِبا

قال وكتب إليه : أما والله لو أمِنتُ ودَّك لقلت ؛ ولكني أخاف منك عَتْباً لا تُنصفني فيه ، وأخشى من نفسي لائمةً لا تحتملها لي . وما قد قُدِّر فهو كائن ، وعن كل حادثة أُحدوثة . وما استبدلت بحالةٍ كنتُ فيها مغتبطاً حالةً أنا في مكروهها وألَمها أشدَّ علي من أني فزِعت إلى ناصري عند ظلمٍ لَحِقني ، فوجدتُ من يظلمني أخفَّ نية في ظُلْمي منه ، وأحمَدُ الله كثيراً . ثم كتب في أسفلها[3] : [من المتقارب]

وكنتَ أخي بإخـاء الزمـانِ فلمـا نَبـا صرتَ حَرْباً عَوانا

1 نقل صاحب التذكرة الحمدونية هذه الحكاية .
2 الطرائف الأدبية : القطعة 101 وفيه اختلاف .
3 الطرائف الأدبية : 166 .

وكنتُ أذُمُّ إليكِ الزمانَ ... فأصبحتُ فيكَ أذُمُّ الزمانا
وكنتُ أعِدُّك للنائباتِ ... فأصبحتُ أطلبُ منكَ الأمانا

[هجاؤه محمد بن عبد الملك]

أخبرني الصُّولي قال أخبرني الحسين بن فَهْم قال : كان محمد بن عبد الملك قد أغْرى الواثقَ بإبراهيم بنِ العباس ، وكان إبراهيم يُعاتبه على ذلك ويُداريه ، ثم وقف الواثق على تحامُله عليه فرفَع يدَه عنه وأمر أن يُقْبَل منه ما رفَعه ، وردَّه إلى الحَضْرة مَصُوناً ، فلما أحسَّ إبراهيمُ بذلك بسَط لسانَه في محمد ، وحسُن ما بينه وبين ابن أبي دُواد . وهجا محمدَ بن عبد الملك هِجاء كثيراً ؛ منه قوله[1] : [من الطويل]

قدَرتَ فلم تَضْرُرْ عدواً بقدرةٍ ... وسُمْتَ بها إخوانَك الذُّل والرَّغْما
وكنتَ مليئاً بالتي قد يَعافها ... من الناسِ من يأبى الدَّنيئةَ والذمَّا

[بينه وبين أبي تمام]

أخبرني الصُّولي قال حدثنا ابن السَّخِي قال حدثني الحسين بن عبد الله قال : سمِعتُ إبراهيم بن العباس يقول لأبي تَمام الطائي وقد أنشده شعراً له في المعتصم : يا أبا تَمام ، أمراءُ الكلام رعيةٌ لإحسانك . فقال له أبو تَمام : ذلك لأني أستضيء بك وأرِدُ شريعتَك .

[اعتذر له إبراهيم ابن المدبر عن أخيه]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولي قال سمعت إبراهيم بن المُدَبّر يقول : جرى بين إبراهيم بن العباس وبين أخي أحمد بن المدبر شيء ، وكان يوَدُّني دون أخي ؛ فَلَقيتُه فاعتذرتُ إليه عنه ؛ فقال لي : يا أبا إسحاق : [من مجزوء الكامل]

صوت

خلِّ النِّفاقَ لأهلِه ... وعليكَ فالتمِسَ الطَّرِيقا
واذهبْ بنفسكَ أن تُرى ... إلا عدواً أو صديقا

الغناء لأبي العَنْبَس .

[احتال على المتوكل لينجي بعض عماله]

أخبرني الصُّولي قال حدثني القاسم بن إسماعيل قال : انصرف إبراهيم بن العباس يوماً من دار المتوكِّل فقال لنا : أنا والله مسرورٌ بشيء مغمومٌ منه . فقلنا له : وما ذاك أعزك الله ؟ قال : كان أحمد بن المُدَبر رفَع إلى أمير المؤمنين أن بعض عُمالي اقتطع مالاً ، وصدَق في الذي قاله ،

1 الطرائف الأدبية : القطعة 139 .

وكنتُ قد رأيت هلال الشهر ونحن مع أمير المؤمنين على وجهة فدعوتُ له ، وضحِك إليّ فقال لي : إن أحمد قد رَفَع على عاملك كذا وكذا فاصدُقْني عنه ؛ فضاقت عليّ الحُجة ، وخِفتُ أن أحقّق قولَه إن اعترفت ، ثم لا أرجع منه إلى شيء فيعود عليّ الغُرْم ، فعدَلْت عن الحُجَّة إلى الحيلة فقلت : أنا في هذا يا أمير المؤمنين كما قلتُ فيك[1] : [من الخفيف]

صوت

رَدَّ قولي وصدَّق الأقوالا   وأطاعَ الوُشاةَ والعُذالا
أتُراه يكونُ شهرَ صدودٍ   وعلى وجهه رأيتُ الهلالا

قال : لا يكون والله ذلك بحياتي يا إبراهيم ! رَوِّ هذا الشعرَ بَناناً حتى يُغَنِّيَني فيه . فقلت : نعم يا سيدي على ألا يُطلَبَ صاحبي بقول أحمد . فقال للوزير : تقبَّل قولَ صاحبه في المال . فسُررتُ بالظَّفَر ، واغتممتُ لبُطلان هذا المال وذَهابه بمثل هذه الحيلة ، ولعله قد جُمع في زمن طويل وتعب شديد .

[سرق ابن دريد وابن الرومي شعره]

أنشدتُ عمي رحمه الله أبياتاً لابن دُرَيْد يمدح رجلاً من أهل البصرة : [من الكامل]

يا مَن يُقبِّل كفَّ كلِّ مُخرقٍ   هذا ابنُ يحيى ليس بالمِخْراقِ
قَبِّلْ أناملَه فلسنَ أناملا   لكنهنّ مَفاتحُ الأرزاقِ

فقال : يا بُنَيَّ هذا سرقَه هو وابنُ الرُّومي جميعاً من إبراهيم بن العباس ؛ قال إبراهيم بن العباس يمدح الفضلَ بنَ سَهْل[2] : [من مجزوء المتقارب]

لفضلِ بنِ سهلٍ يدٌ   تَقاصَر عنها الأمَلْ
فباطِنُها للندى   وظاهرُها للقُبَلْ
وبَسْطتُها للغِنى   وسطوتُها للأجَلْ

وسرقه ابن الرُّومي فقال : [من الكامل]

أصبحتُ بين خَصاصةٍ ومَذَلةٍ   والحُرُّ بينهما يموت هَزِيلا
فامدُدْ إليَّ يداً تعوَّد بطنُها   بَذْلَ الندى وظهورُها التَّقبيلا

---

1 الطرائف الأدبية : القطعة 77 .
2 الطرائف الأدبية : 153 .

[رأي ثعلب في شعره]

أخبرني الصُّولي قال سمعتُ أحمدَ بن يحيى ثَعْلَباً يقول : كان إبراهيم بن العباس أشعرَ المُحدَثين . قال : وما روى ثعلبٌ شعرَ كاتبٍ قطُّ قال : وكان يَستحسنُ كثيراً قولَه[1] : [من الطويل]

لنـا إبـلٌ كُومٌ يَضيق بها الفَضا ... ويَفتـرُّ عنهـا أرضُهـا وسمـاؤُها

فمـن دونهـا أن تُستباح دماؤُنا ... ومن دوننـا أن تُستباحَ دماؤُها[2]

حِمى وقِرًى فالموتُ دون مَرامِها ... وأيسرُ خطبٍ يـوم حَـقٍّ فناؤُها

ثم قال : والله لو كان هذا لبعض الأوائل لاستُجيد له .

[مدح الحسن بن سهل]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد قال سمعتُ الحسن بن رَجاء يقول : كنا بفَمِ الصُّلْح[3] أيامَ بَنى المأمونُ ببُورانَ بنتِ الحسن بن سَهْل ؛ فقدِم إبراهيم بن العباس علينا ودخل إلى الحسن بن سَهْل فأنشده : [من الطويل]

لِيَهْنِئكَ أصهـارٌ أذلَّـتْ بعزِّهـا ... خدوداً وجدَّعتَ الأنوفَ الرَّواغِما

جمعتَ بها الشمْلَيْنِ من آل هاشمٍ ... وحُـزتَ بهـا للأكرمِينَ الأكارما

بَنُوك غَـدَوْا آلَ النبي ووارِثو الـ ... ـخلافةِ والحاوُونَ كِسْرى وهاشما

فقال له الحسن : «شِنْشِنَة أعرِفها من أَخْزَم»[4] أي إنك لم تزل تمدحنا ، ثم قال له : أحسَنَ الله عنا جزاءك يا أبا إسحاق ؛ فما الكثير من فِعْلنا بك بجزاءٍ لليسير من حقِّك .

[سامر غضبت عليه]

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : أنشدني إبراهيم بن العباس لنفسه في قَيْنة اسمها سامِر كان يهواها فغضبتْ عليه[5] : [من الطويل]

وعلَّمتني كيـف الهـوى وجَهلتِه ... وعلَّمكم صبري على ظُلمكم ظُلْمي

وأعلـم مـا لي عندَكـم فيردّني ... هوايَ إلى جهلٍ فأقصِر عن عِلْمي

---

1 الطرائف الأدبية : القطعة 92 .

2 تستباح في ل : تستذم .

3 فم الصلح : نهر كبير فوق واسط .

4 المثل في مجمع الميداني 1 : 361 ومستقصى الزمخشري 2 : 134 وفصل المقال : 219 وغيرها .

5 الطرائف الأدبية : 150 واسم القينة : ساهر .

[شعره في قصر الليل]

أخبرني الصُّولي قال : سمعتُ عبيد الله بن عبد الله بن طاهر يقول : لا يُعْلَم لقديمٍ ولا لُمحْدثٍ في قِصَر الليل أحسن من قول إبراهيم بن العباس[1] : [من الرجز]

وليلـةٍ مـن الليـالي الزُّهْـرِ   قابلـتُ فيهـا بدرَهـا ببدرِ
لم تـكُ غيرُ شَفَقٍ وفجـرِ   حتى تولَّـتْ وهي بِكْر الدَّهرِ

[تنكر له ابن الزيات لصلته بابن أبي دواد]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمَّار قال حدثني أحمد بن بِشْر المَرْثَدِي قال : كان إبراهيم بن العباس يوماً عند أحمد بن أبي دُواد ، فلما خرج من عنده لَقِيَه محمد بنُ عبد الملك الزيات وهو خارج من داره ؛ فتبين إبراهيمُ في وجه محمدٍ الغضبَ فلم يخاطبه في العاجل بشيء . فلما انصرف إلى منزله كتب إليه[2] : [من مجزوء الكامل]

دَعْنِـي أُواصِل مَـنْ قطعـ   ـتَ يراك بي إذ لا يَراكا
إنِّـي متـى أهجُـرْ لهجـ   ـرك لا أضرَّ بـه سواكا
وإذا قطعتُـك في أخيـ   ـك قطعتُ فيك غداً أخاكا
حتـى أُرى مُتَقَسَّمـاً   يومِـي لـذا وغَدِي لذاكا

[المال فرع والقلم أصل]

أخبرني الصُّولي ، قال حدثني أبو العَيناء قال : كنت عند إبراهيم بن العباس وهو يكتب كتاباً ، فنقَّط من القلم نقطةً مُفسِدةً فمَسحها بكمه ، فتعجَّبتُ من ذلك ؛ فقال : لا تَعْجَبْ ، المال فرع والقلم أصلٌ ، ومن هذا السَّواد جاءت هذه الثياب ، والأصل أحوج إلى المُراعاة من الفرع . ثم فكر قليلاً وقال[3] : [من الوافر]

إذا ما الفكرُ ولَّدَ حُسْنَ لفظٍ   وأسلَمه الوجـودُ إلى العِيانِ
ووشَّـاه فنَمْنَمَـه مُسِدٌّ   فصيحٌ في المقـالِ بـلا لسانِ
تـرى حُلَلَ البيـانِ مُنَشَّرات   تجلَّـى بينهـا صُوَرُ المعاني[4]

---

1 الطرائف الأدبية : 145 .
2 الطرائف الأدبية : 188 .
3 الطرائف : القطعة 210 .
4 تجلَّى في الطرائف : حلى . منشرات في ل : مرحلات .

[اتهمه المأمون بإفشاء سر مقتل الفضل بن سهل]

أخبرني الصولي قال حدثني محمد بن صالح بن النطَّاح قال : لما عزَم المأمون على الفتك بالفضْل بن سَهْل ، وندَب له عبدَ العزيز بن عمران الطائي ، ومُؤْنِساً البصْري ، وخلفاً المصري وعلي بن أبي سَعْد ذا القلمين ، وسِراجاً الخادمُ ، نُمِيَ الخبرُ إلى الفضل ، فأظهره للمأمون وعاتبه عليه . فلما قُتِل الفضلُ وقتَل المأمون قَتَلَتَه ، سأل من أين سقَط الخبر إلى الفضل ؟ فعُرِّف أنه من جهة إبراهيم بن العباس ، فطلبه فاستتر . وكان إبراهيم عرَف هذا الخبرَ من جهة عبد العزيز بن عِمران ، وكان الفضل استكتب إبراهيمَ لعبد العزيز بن عِمران ، فأخبر به الفضلَ . قال : وتحمَّل إبراهيمُ بالناس على المأمون ، وجرَّد في أمره هشاماً الخطيبَ المعروفَ بالعبَّاسي وكان جريئاً على المأمون لأنه ربَّاه ، وشخص إليه إلى خُراسان في فتنة إبراهيم بن المهدي ، فلم يُجبه المأمون إلى ما سأل . فلقِيَه إبراهيم مستتراً وسأله عما عمِل في حاجته . فقال له هشام : قد وعدَني في أمرك بما تُحِبُّ . فقال له إبراهيم : أظن أن الأمر على غير هذا ! قال : وما تظن ؟ قال : محلُّك عند أمير المؤمنين أجلُّ من أن يَعِدَك شيئاً فترضى بتأخيره ، وهو أكرم من أن يَعِد مثلَك شيئاً فيؤخِّرَه ، ولكنّك سمعتَ ما لا تحب فيَّ فكرِهت أن تغُمَّني به فقلت لي هذا القولَ ، وأحْسَنَ الله على كل الأحوال جزاءك ، فمضى هشام إلى المأمون فعرَّفه خبرَ إبراهيم ، فعجِب من فِطْنته وعفا عنه . قال : وفي هشام يقول إبراهيم بن العباس[1] : [من السريع]

مَــنْ كانت الأموالُ ذُخْراً له ... فإن ذُخْـري أَمَـلي في هشامْ
فتىً يَقِي اللاَّمــةَ عــن عِرْضِه ... وأنهــبَ المــالَ قضاءَ الذِّمامْ[2]

[مدح الفضل بن سهل]

أخبرني عمي قال حدثني أبو الحسين بن أبي البغل قال : دخل إبراهيم بن العباس على الفضل بن سهل فاستأذنه في الإنشاد ، فقال هاتِ فانشده[3] : [من الكامل]

يُمضِــي الأمــورَ على بديهته ... وتُريــه فكرتُــه عـواقبَها
فيَظـلُّ يُصدِرُهــا ويُوردُهـا ... فيَعُـمُّ حاضِرَهــا وغـائبَها
وإذا ألَمَّتْ صَعْبَــةٌ عظُمــتْ ... فيهــا الرزيَّــةُ كان صاحبَها

1 الطرائف الأدبية : القطعة 36 .
2 يقي في الطرائف : نفى .
3 الطرائف الأدبية : 128 وانظر معجم الأدباء : 79 .

المستقِلّ بها وقد رَسَبَتْ ولوتْ على الأيام جانبَها
وعدَلْتَها بالحقّ فاعتدلَتْ ووسِعت راغبَها وراهبَها
وإذا الحروبُ غَلَتْ بعثتَ لها رأياً تَفُلُّ به كتائبَها
رأياً إذا نَبَتِ السيوفُ مضى عزمٌ بها فشفى مَضارِبَها
أَجْرى إلى فئةٍ بدولتها وأقامَ في أخرى نوادبَها[1]
وإذا الخطوبُ تأثَّلتْ ورَسَتْ هَدَّتْ فواصلُه نوائبَها
وإذا جرتْ بضميره يَدُه أبدتْ به الدنيا مناقبَها

وأنشدني عمي لإبراهيم بن العباس في الفضل بن سهل وفيه غِناء[2] : [من المتقارب]

صوت

فلو كان للشكر شخصٌ يَبِين إذا ما تأَمَّله الناظرُ
لمَثَّلتُه لكَ حتى تَراه فتعلم أني امرؤ شاكرُ

الغناء لأبي العَنْبَس ثقيل أول . وفيه لرَذاذ ثاني ثقيل . حدثني أبو يعقوب إسحاق بن يعقوب النُوبَختي قال حدثني جماعة من عُمومتي وأهلِنا أن رَذاذاً صنع في هذين البيتين لحناً أُعجب به الناس واستحسنوه ، فلما كثُر ذلك صنع فيه أبو العَنْبَس لحناً آخر ، فسقَط لحنُ رذاذ واختار الناس لحنَ أبي العَنْبَس .

[مدح المتوكل وولاة العهود]

أخبرني حنظلة قال حدثني ميمون بن هارون قال : لما عَقَد المتوكِّلُ لولاة العهود من وَلَده ركِب بسُرَّ مَنْ رأى رَكْبَةً لم يُر أحسنُ منها ، وركب ولاةُ العهود بين يديه ، والأتراكُ بين أيديهم أولادُهم يمشون بين يدَي المتوكل بمناطق الذهب ، في أيديهم الطَّبْرزِينات[3] المُحَلاَّة بالذهب ، ثم نزل في الماء فجلس فيه والجيش معه في الجوانحيات[4] وسائر السفن ، وجاء حتى نزل في القصر الذي يقال له العَروس ، وأذِن للناس فدخلوا إليه . فلما تكاملوا بين يديه ، مَثَل إبراهيم بن العباس بين الصفين ، فاستأذن في الإنشاد فأذِن له ، فقال[5] : [من المتقارب]

---

1 نوادبها في ل : منادبها .
2 الطرائف الأدبية : القطعة 192 .
3 الطبرزين : آلة من السلاح تشبه الفأس .
4 الجوانحيات : نوع من السفن .
5 الطرائف الأدبية : القطعة 24 .

ولما بـدا جعفـرٌ في الخميـ ـس بين المطـلِّ وبين العَروسِ
بـدا لابساً بهمـا حُلـةً أُزيلتْ بهـا طالعاتُ النُّحوسِ
ولمـا بـدا بـين أحبابـه وُلاةِ العهـودِ وعـزِّ النفوسِ
غـدا قمـراً بـين أقمـاره وشمساً مُكلَّلـةً بالشموسِ
لإيقـاد نـارٍ وإطفائِهـا ويـومٍ أنيـقٍ ويـومٍ عَبوسِ

ثم أقبل على ولاة العهود فقال[1] : [من الكامل]

أضحتْ عُرى الإسلام وهي منوطةٌ بالنَّصـرِ والإعـزازِ والتأييدِ
بخليفـةٍ مـن هاشمٍ وثلاثـةٍ كَنَفوا الخلافـةَ من وُلاةِ عهودِ
قمـرٌ توافـتْ حولَـه أقمـارُه فحففْـن مطلـعَ سعده بسعودِ
رفَعتهـمُ الأيـامُ وارتفعـوا بـه فسعَـوْا بـأكرمِ أنفُسٍ وجدودِ

قال : فأمَر له المتوكّل بمائة ألف درهم ، وأمر له وُلاةُ العهود بمثلها .

[رأي ابن برد الخيار في شعره]

أخبرني عمي قال : اجتمعت أنا وهارون بن محمد بن عبد الملك وابن برد الخيار في مجلس عبيد الله بن سليمان قبل وزارته ، فجعل هارون يُنشد من أشعار أبيه محاسنها ، ويفضلها ويقدِّمها . فقال له ابن برد الخيار : إن كان لأبيك مثلُ قول إبراهيم بن العباس[2]: [من الرمل]

أسدٌ ضـارٍ إذا هيَّجتَـه وأبٌ بَـرٌّ إذا مـا قَـدَرا
يعرِفُ الأبعـدَ إن أثْرى ولا يعـرِفُ الأدْنى إذا مـا افتقرا

أو مثلُ قوله[3] : [من الكامل]

تلِج السنون بيوتَهم وتَرى لهم عن جار بيتهم ازورارَ مَناكبِ
وتراهـمُ بسيوفهم وشِفارهـم مُسْتَشرِفين لراغـبٍ أو راهبِ
حامِـين أو قارين حيثُ لقِيتَهم نَهْبَ العُفـاةِ ونُهْـزَةً للرّاغبِ

فاذكُرْه وافخَرْ به ، وإلا فأقْلِل من الافتخار والتَّطاول بما لا طائل فيه ؛ فخجل هارون . وقال عبيد الله بن سليمان : لَعَمْري ما في الكُتاب أشعر من أبي إسحاق وأبي علي ، (يعني عمَّه

1 الطرائف الأدبية : القطعة 13 .
2 الطرائف الأدبية : القطعة 20 .
3 الطرائف الأدبية : القطعة 6 .

الحسن بن وَهْب) ثم أمر بعضَ كُتابه بكَتْب المقطوعتين اللتين أنشدهما ابن برد الخيار .

[هنأ الحسن بن سهل بصهر المأمون]

أنشدني علي بن سليمان الأخفش لإبراهيم بن العباس يُهنِّىء الحسن بن سهل بصِهْر المأمون[1] : [من البسيط]

هَنَتْكَ أكرومـةٌ جُلِّلتَ نعمتَها أعلتْ وليَّك واجتثَّتْ أعاديكا

مـا كان يحيا بها إلا الإمامُ وما كانت إذا قُرنتْ بالحقِّ تعدوكا

[هجا محمد بن عبد الملك الزيات]

أخبرني عمِّي قال حدثني محمد بن داود بن الجرَّاح قال حدَّثني أبو محمد الحسن بن مَخْلَد قال : أُودِعَ محمد بن عبد الملك الزيات مالاً عظيماً وجوهراً نفيساً ، وقد رأى تغيُّراً من الواثق فخافه وفرق ذلك في ثِقاته من أهل الكَرْخ ومُعامِليه من التُّجار . وكان إبراهيم بن العباس يُعاديه ويرصُد له بالمكاره لإساءته إليه ، فقال أبياتاً وأشاعها حتى بلغت الواثقَ يُغرِيه به[2] : [من مخلع البسيط]

نصيحـةٌ شانَهـا وزيرُ مُستَحْفَظٌ سارقٌ مُغِيرُ[3]

ودائـعٌ جَمَّـةٌ عِظام قد أُسبِلتْ دونَها السُّتورُ

تسعةُ آلافِ أَلْفِ أَلْفٍ خِلالَها جوهـرٌ خطيرُ

بجانب الكَرْخ عندَ قومٍ أنتَ بما عندَهم خبيرُ

والمَلِكُ اليـوم في أُمورٍ تَحْدُثُ من بعدِها أمورُ

قـد شَغَلته مُحَقَّراتٌ وصاحبُ الكارَةِ الوزيرُ

[مدح المعتز]

أنشدني علي بن سليمان الأخفش لإبراهيم بن العباس يمدح المعتز وفيه غناء[4] :

[من مجزوء الوافر]

سَحُورُ مَحاجِرِ الحَدَقـهْ مليـحٌ والـذي خَلَقَهْ

سَواءٌ في رِعايتـــه مُجانبُه ومَـنْ عَشِقَهْ

---

1 الطرائف الأدبية : القطعة 28 .

2 الطرائف الأدبية : القطعة 108 .

3 شانَها في الطرائف : أيها الوزير .

4 الطرائف الأدبية : القطعة 26 .

لعينـــي في محاسنــه رياضُ محاسن أنقَهْ
فأحيانـــاً أُنزِّههـا وطوراً في دمٍ غَرِقَهْ

يقول فيها في مدح المعتز بالله :

فيـا قمـراً أضاء لنـا يُلألِـىء نـورُه أُفُقَهْ
يُشبِّهـه سنا المعتـزِّ ذو مِقَـةٍ إذا رَمَقَهْ
أميـرٌ قلَّـد الرحـ ـمنُ أمـر عباده عُنُقَهْ
وفضَّلـه وطيَّبـه وطهَّـر في الورى خُلُقَهْ

في الأربعة الأبيات الأوَل رَمَلٌ ذكر الهشامي أنه لابن القَصَّار ، ووجدتُه في بعض الكتب لِعَريب .

[هنأه أحمد بن المدبر وكان يحرض عليه]

أنشدني الأخفش لإبراهيم بن العباس يقولها لأحمد بن المُدبر وقد جاءه بعد خلاصه من النكبة مهنِّئاً ، وكان استعان به في أمر نكبته فقعد عنه ، وبلغه أنه كان يحرِّض عليه ابنَ الزيات[1] : [من الطويل]

وكنتَ أخي بالدَّهـرِ حتى إذا نَبا نَبَوْتَ فلما عـاد عُدْتَ مع الدَّهرِ
فـلا يـومَ إقبال عَدَدْتُك طائلاً ولا يـومَ إدبارٍ عددتُـك في وِتْرِ
ومـا كنتَ إلا مثـلَ أحلام نائمٍ كِلا حالَتَيْكَ من وفاءٍ ومن غَدْرِ

[رده على عتاب ابن المدبر له]

وأنشدني الصولي له في أحمد بن المدبر أيضاً وقد عاتبه أحمد بن المدبر على شيء بلغه فقال[2] : [من المجتث]

هَـبِ الزمانَ رمـاني الشأنُ في الخُـلانِ
فيمَـنْ رمـانيَ لمّـا رأى الزمـانَ رمـاني
ومن ذَخَرتُ لنفسي فصار ذُخـرَ الزمانِ
لو قيـل لي خُذْ أماناً مـن أعظـم الحَدَثانِ
لَمـا أخـذتُ أمانـاً إلا مـن الإخـوانِ

1 الطرائف الأدبية : 158 .
2 الطرائف الأدبية : 166 .

ومن أخبار المعتضد بالله الجارية مَجرى هذا الكتاب

[المعتضد وغلامه بدر]

حدثني عمي عن جَدي رحمهما الله قال قال لي عبيد الله بن سليمان ، وكان يأنس بي أنساً شديداً لقديم الصُّحبة وائتلاف المَنْشأ : دعاني المعتضد يوماً فقال : ألا تُعاتب بدراً على ما لا يزال يستعمله من التخرق في النفقات والإثابات والزيادات والصِّلات ! وجعل يؤكِّد القول عليَّ في ذلك ؛ فلم أخرج عن حضرته حتى دخل إليه بدر فجعل يَستأمره في إطلاقات مُسرِفةٍ ونفقات واسعة وصِلات سنية وهو يأذن له في ذلك كلِّه . فلما خرج رأى في وجهي إنكاراً لما فعله بعد ما جرى بيني وبينه ؛ فقال لي : يا عبيد الله قد عَرفتُ ما في نفسك ، وأنا وإياه كما قال الشاعر : [من البسيط]

صوت

في وجهــه شافعٌ يمحــو إساءته ... من القلــوب مطاعٌ حيثما شَفَعا
مُسْتقبَلٌ بالذي يَهْوى وإن كثُرتْ ... منــه الإساءةُ مغفورٌ لمــا صَنَعا[1]

وفي هذين البيتين خفيف رمل .

[المعتضد يطرب لغناء في شعر الوليد بن يزيد]

حدثني محمد بن إبراهيم قريض قال حدثني أحمد بن العلاء قال : غنَّيتُ المعتضد : [من مجزوء الرمل]

كلِّــلاني توِّجــاني ... وبشعــري غنِّيــاني
أطلِقاني من وثاقي ... واشدُداني بعِنــاني

فاستحسنه جداً ، ثم قال لي : ويحك يا أحمد ! أما ترى زَهْوَ المُلك في شعره وقولِه : [من مجزوء الرمل]

كلِّــلاني توِّجاني ... وبشعــري غنِّياني

واستعاده مِراراً ، ثم وصَلَني كلَّ مرَّة استعاده بعشرة آلاف دِرهم ، وما وصل بها مغنِّياً قبلي ولا بعدي . قال : واستعاده منِّي ستَّ مرَّاتٍ ووهب لي ستِّينَ ألفاً . وقال النُّوشجاني : بل وصَله بعشرة آلاف درهم مرَّةً واحدة .

---

1 مغفور لما في ل : معذور بما .

[159] ـ صنعة أولاد الخلفاء الذُّكور منهم والإناث

فأولُهم وأتقنهم صنعةً وأشهرهم ذِكراً في الغِناء إبراهيم بن المهدي[1] ؛ فإنه كان يتحقق به تحقُّقاً[2] شديداً ويبتذِل نفسَه ولا يستتر منه ولا يُحاشي أحداً . وكان في أول أمره لا يفعل ذلك إلا من وراء سِتر وعلى حال تصوُّنٍ عنه وتَرفُّع ، إلا أن يدعوَه إليه الرشيد في خَلْوة والأمينُ بعدَه . فلما أمَّنه المأمونُ تَهتَّك بالغِناء وشُرْبِ النَّبيذ بحضرته والخروجِ من عنده ثَمِلاً ومع المغنِّين ، خوفاً منه وإظهاراً له أنه قد خلع رِبْقَةَ الخلافة من عُنُقه وهتَك سِتْرَه فيها حتى صار لا يصلُح لها . وكان من أعلم الناس بالنَّغَم والوَتَر والإيقاعات وأطبعِهم في الغِناء وأحسنِهم صوتاً . وهو من المعدودين في طِيبِ الصَّوت خاصةً ؛ فإن المعدودين منهم في الدولة العباسية : ابن جامع وعمرو بن أبي الكَنَّات وإبراهيم بن المهدي ومُخارق . وهؤلاء من الطبقة الأولى ، وإن كان بعضهم يتقدَّم . وكان إبراهيم مع علمه وطبعه ومعرفته مُقَصِّراً عن أداء الغِناء القديم وعن أن ينحوَه في صنعته ، فكان يَحذِف نَغَم الأغاني الكثيرةَ العمل حذفاً شديداً ويُخفِّفها على قَدْر ما يَصلح له ويَفِي بأدائه . فإذا عِيب ذلك عليه قال : أنا مَلِكٌ وابن ملك ، أُغنِّي كما أشتهي وعلى ما ألتذ . فهو أول من أفسد الغِناء القديمَ ، وجعل للناسِ طريقاً إلى الجَسارة على تغييره . فالناس إلى الآنَ صنفان : من كان منهم على مذهب إسحاق وأصحابه ممن كان يُنكر تغييرَ الغِناء القديم ويُعْظِم الإقدام عليه ويَعيب مَنْ فعله ، فهو يُغنِّي الغِناء القديمَ على جهته أو قريباً منها . ومن أخذ بمذهبَ إبراهيم بن المهدي أو اقتدى به مثل مُخارق وشارِيةَ ورَيِّق ومن أخذ عن هؤلاء إنما يغنِّي الغِناء القديم كما يشتهي هؤلاء لا كما غناه من يُنْسب إليه ، ويجد على ذلك مساعدين ممن يشتهي أن يَقْرُب عليه مأخذُ الغِناء ويكره ما ثقُل وثقُلت أُدواره ، ويستطيل الزمانَ في أخذ الغِناء الجيد على جهته بقِصَر معرفته . وهذا إذا اطرد فإنما الصنعة لمن غنى في هذا الوقت لا للمتقدمين ؛ لأنهم إذا غيروا ما أخذوه كما يرَوْن وقد غيره مَنْ أخذوه عنه وأخذ ذلك

1 أخبار إبراهيم المهدي في كتب التاريخ ، انظر مثلاً الطبري (حوادث 201–210) وأشعار أولاد الخلفاء : 17–49 وابن خلكان 1 : 39–43 و385–390 .

2 لعلها يتحفى به تحفياً . . .

أيضاً عمن غيره ، حتى يَمضي على هذا خمسُ طبقات أو نحوُها ، لم يتأدّ إلى الناس في عصرنا هذا من جهة الطبقة غِناء قديم على الحقيقة البتَّة . وممن أفسد هذا الجنسَ خاصَّةً بنو حَمْدون بن إسماعيل فإن أصلهم فيه مُخارق ، وما نفع الله أحداً قط بما أخذ عنه ، وزِرياب الواثقية فإنها كانت بهذه الصورة تُغَيِّر الغِناء كما تريد ، وجواري شارية ورَيِّق . فهذه الطبقة على ما ذكرتُ . ومَنْ عداهم من الدُّورِ مثل دُورِ غرِيب ودُورِ جواريها والقاسم بن زُرْزُور وولده ودُورِ بَذْل الكبرى ومن أخذ عنها ، وجواري البرامكة وآل هاشم وآل يحيى بن مُعاذ ودُورِ آل الرَّبيع ومن جرى مجراهم ممن تمسك بالغِناء القديم وحمله كما سمعه ، فعسى أن يكون قد بقي ممن أخذ بذلك المذهب قليلٌ من كثير على أن الجميع من الصحيح والمُغَيَّر قد انقضى في عصرنا هذا .

فمن مشهور غِناء إبراهيم بن المهدي : [من الكامل]

صوت

هل تَطمِسون من السماء نجومَها ... بأكُفِّكُم أو تَستُرون هلالَها

أو تدفعونَ مقالةً من ربِّكم ... جِبريلُ بلَّغها النبيَّ فقالَها

طرقَتْك زائرةً فحيِّ خيالَها ... زهراءُ تخلِط بالدَّلالِ جمالَها

الشعر لمروان بن أبي حَفْصة . والغِناء لإبراهيم بن المهدي ، ثقيلٌ أوَّل بالبنصر ، وذكر حَبَش أن فيه لابن جامعٍ لحناً ماخورياً .

[160] ـ أخبار مروان بن أبي حفصة ونسبه[1]

[نسبه]

هو مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة . ويُكنى أبا السِّمط . واسم أبي حفصة يزيد . وذكر النوفلي عن أبيه أنه كان يهودياً ، فأسلم على يَدَيْ مروان بن الحكَم . وأهلُه يُنكرون ذلك ويذكرون أنه من سَبْي إصْطَخْر ، وأن عثمان اشتراه فوهبه لمروان بن الحكم . وأخبرنا يحيى بن علي بن يحيى قال حدثنا محمد بن إدريس بن سليمان بن يحيى ابن أبي حفصة بمثل ذلك . قال : وشهِد أبو حفصة الدارَ[2] مع مولاه مروان بن الحكم ، وقاتل قتالاً شديداً وقَتل رجلاً من أَسْلَمَ يقال له بَنان . وجُرح مروان يومئذٍ ، أصابته ضربةٌ قطعتْ عِلْباءه[3] فسقط ، فوثب عليه أبو حفصة واحتمله ، فجعل يحمله مرَّة على عنه ومرة يجرُّه ، فيتأوه ؛ فيقول له : اسكتْ واصْبِر ؛ فإنه إن علموا أنك حيٌّ قُتِلتَ . فلم يزل به حتى أدخله دار امرأة من عَنزة فَداواه فيها حتى بَرىء ؛ فأعتقه مروان ونزل له عن أُمٍّ ولد له يقال لها سُكّر كانت له منها بنت يقال لها حَفصة ؛ فحضنها ، فكُنِيَ أبا حفصة ؛ فحفصة بنت مروان . قال : وكان مروان إذا وَلِيَ المدينةَ وجه أبا حفصة إلى اليمامة ، وكانت مُضافة إلى المدينة ، ليجمع ما فيها من المال ويحمله إليه . قال : فمر أبو حفصة بقرية من قُرى اليمامة يقال لها العِرْض ، فوقف على باب فاستسقى ماء ، فخرجت إليه جارية معصِرٌ[4] فسَقَتْه فأعجبته ؛ فسأل عنها ليشتريها ؛ فقيل له : هي حرة وهي مولاةٌ لبني عامر بن حنيفة . فمضى حتى قدِم حُجْراً[5] ، ثم تبعتْها نفسُه فتزوجها ، فلم يخرج من اليمامة حتى حَمَلتْ بيحيى بن أبي حفصة ، ثم حمَلَتْ بمحمد ثم بعبد الله ثم بعبد العزيز . فلما وقَعَتْ فتنة ابن الزُّبير خرج أبو حفصة مع مروان إلى الشام .

قال محمد بن إدريس وحدثني أبي قال كان مروان بن أبي الجَنُوب يقول : أُم يحيى بن

---

1 ترجمة مروان بن أبي حفصة في الشعر والشعراء 2 : 649–651 ومعجم المرزباني : 396 والموشح : 251 وطبقات ابن المعتز : 42–54 وابن خلكان 5 : 189–193 وتاريخ بغداد 13 : 142 وشذرات الذهب وانظر بروكلمان 2 : 21 . وقد جمع شعره قحطان رشيد التميمي (مطبعة النعمان ، النجف ، 1972) .

2 يعني دار عثمان بن عفان ، سمي يوم مقتله يوم الدار لأنه لزم داره فقتل فيها .

3 العلباء عصبة في صفحة العنق ، وفي ل : علباويه .

4 معصر : بلغت عصر شبابها وأدركت .

5 حجر : حاضرة اليمامة .

أبي حفصة لحناء[1] بنت ميمون من ولد النابغة الجعدي ، وإن الشعر أتى آل أبي حفصة بذلك السبب . قال : وشَهِد أبو حفصة مع مروان يوم الجَمَل وقاتل قتالاً شديداً . فلما ظفر علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، لجأ مروان إلى مالك بن مِسْمَع فدخل دارَه ومعه أبو حفصة ، فقال لمالك : أغلِقْ بابك . فقال له مالك : إن لم أَمْنَعك والبابُ مفتوحٌ لم أمنعك والبابُ مُغلق . فطلب علي رضي الله عنه مروان منه ، فلم يدفعه إليه إلا برَهينة ، فدفع مالكٌ الرهينة إلى أبي حفصة ، ومضى مروان إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وقال لأبي حفصة : إن حَدث حَدَثٌ بصاحبك فعليك بالرَّهينة . فلما أتى مروانُ علياً كساه كُسْوةً ، فكساها مروانُ أبا حفصة ، فغدا فيها أبو حفصة . وبلغ علياً رضي الله عنه ذلك فغضِب وقال : كسوته كُسْوةً فكساها عبداً ! . وشهِد أبو حفصة مع مروان مَرْجَ راهِط ، وكان له بلاء . وكان أبو حفصة شاعراً .

قال أبو أحمد قال لي محمد بن إدريس أخبرني أبي أن أبا السِّمْط مروان بن أبي الجَنُوب أنشده لأبي حفصة يوم الدار : [من الطويل]

وما قلتُ يومَ الدَّار للقومِ صالِحُوا أَجَلْ لا ، ولا اخترتُ الحياةَ على القتلِ
ولكنَّني قـد قلتُ للقومِ جالِدوا بأسيافكم لا يُخْلَصَنَّ إلى الكهلِ

قال : وأنشدني لأبي حفصة أيضاً : [من الرجز]

لستُ على الزحامِ بالأصَرِّ[2] إني لَـوَرَّادٌ حيـاضَ الشرِّ
مُعاوِدٌ للكرِّ بعدَ الكرِّ

قال يحيى وأخبرني محمد بن إدريس قال : عُكْلٌ تدّعي أن أبا حفصة منهم ، يقولون : هو من كِنانة بن عَوْف بن عبد مَناةَ بن طابِخة بن إلياس بن مُضَر ، وقد كانوا استَعْدَوْا عليه مروانَ بن الحَكَم ، وقالوا : إنما باعته عمَّته لمجاعةٍ ؛ فأبى هو أن يُقرَّ لهم بذلك . ثم استعدوْا عليه عبد المَلك بن مروان أيضاً ؛ فأبى إلا أنه رجل من العجم من سَبْي فارس ، نَشأ في عُكْل وهو صغير . قال محمد بن إدريس : ووَلَدُ السَّمَوْأل بن عادِياء يدَّعُونَه ، والسموأل من غسان . قال محمد : وزعم أهل اليمامة وعُكْلٌ وغيرهم أن ثلاثةَ نَفرٍ أَتَوْا مروان بن الحَكَم وهو أبو حفصة ورجل من تميم ورجل من سُلَيْم ، فباعوا أنفسَهم منه في مجاعة نالتهم ، فاستعدى أهلُ بيوتاتهم عليهم ، فأقرَّ أحدُهم وهو السُّلَميُّ أنه إنما أتى

1 في وفيات الأعيان 5 : 193 : تحيا .
2 يقال : صر الرجل إذا صاح صياحاً شديداً .

مروان فباعه نفسه وأنه من العرب ؛ فدسَّ إليه مروانُ مَن قتله . فلما رأى ذلك الآخران ثَبَتا على أنهما مَوليان لمروان .

فأخبرني الحَسَن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال : زعم المدائني أنه كان لأبي حفصة ابنٌ يقال له مروان سماه مروان بن الحَكَم باسمه ، وليس بالشاعر ، وأنه كان شجاعاً مجرباً ، وأمدَّ به عبد الملك بن مروان الحجاج وقال له : قد بعثنا إليك مولاي ابنَ أبي حفصة وهو يَعْدِل ألف رجل . فشهد معه محاربة ابن الأَشْعث ، فأَبْلى بلاءً حسناً وعُقِرتْ تحته عدَّةُ خيول ، فاحتَسب بها الحجَّاج عليه من عطائه . فشكاه إلى عبد الملك وذمَّ الحجَّاجَ عنده ؛ فعوّضه مكان ما أغرمَه الحجاج .

وكان يحيى جدّ مروان بن سليمان جواداً مُمَدَّحاً .

[جرير يودعه ابنه]

أخبرنا محمد العباس اليزيدي قال حدثنا أبو سعيد السُكَّري عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال : أراد جرير أن يوجِّه ابنه بلال بن جرير إلى الشام في بعض أمره ، فأتى يحيى ابن أبي حفصة فأودعه إياه ، ثم بلغ بلالاً أن بعض بني أمية يريد الخروج ، فقال لأبيه : لو كَلَّفتَ هذا القرشي أمري ! فقال له جرير[1] : [من الطويل]

أزاداً سوى يحيى تريدُ وصاحباً ... ألاَ إنَّ يحيى نِعمَ زادُ المسافرِ
وما تأمَنِ الوَجْناءُ وقعةَ سيفه ... إذا أَنْفَضُوا أو قَلَّ ما في الغرائرِ[2]

[زواجه من بنت زياد بن هوذة]

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثني الحسن بن عُليل العنزي قال : تزوج يحيى بن أبي حفصة بنتَ زياد بن هوذة بن شماس بن لأي بن أَنْف الناقة ؛ فاستعدى عليه عمَّاها عبدَ الملك بن مروان وقالا : أينكح إبراهيمُ بن عَدِي وهو من كنانة منك وإليك بنتَها ، ويَنكِح هذا العبدُ هذه ؟! فقال عبد الملك : بل العبد ابن العبد والله إبراهيمُ بن عدي ، وكان مغمور النسب في الإسلام ، والله لَهذا أشرفُ منه ، وإن لأبيه من البلاء في الإسلام ما ليس لأبيها ولا لأبيكما ، وما أُحِبُّ أن لي بيحيى ألفاً منكما . والله لو تزوج بنتَ قيس بن عاصم ما نزعتُها منه . ومَنْ زوجه فقد زوج ابني هذا ، وأشار إلى ابنه سليمان . فخرجا وتخلَّف يحيى بعدهما ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنهما قد أَنْضَيا رِكابَهما ، وأخلقا

---

1 ديوان جرير (صادر) : 183 .

2 الوجناء : الناقة الشديدة . أنفض القوم : فني زادهم .

ثيابهما ، والتزما مؤونةً في سفرهما ، فإن رأى أميرُ المؤمنين أن يعوضهما عِوَضاً ! فقال : أَبْعَدَ ما قالا فيك !! قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : بل أُعطيك أنت ما سألتَ لهما وتُعطيهما ما شئتَ . فكساه ووصَله وحمله . فخرج يحيى إليهما ففرق ذلك عليهما ، وزوج ابنَه سليمان بنتَ أحدهما ، وولدتْ بنتُ زياد منه أولاداً .

[يهنيء الوليد بن عبد الملك ويعزيه]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا الفضل اليزيدي قال حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال حدثني مروان بن أبي حفصة قال : دخل يحيى بن أبي حفصة على الوليد بن عبد الملك لما بُويع له بالخلافة بعد أبيه ، فهنأه وعزاه وأنشده : [من الكامل]

إن المنايـا لا تغادرُ واحداً ... يمشي بيزَّتِـه ولا ذا جُنّهْ
لو كان خَلْقٌ للمنايا مُفْلِتاً ... كان الخليفةُ مُفْلِتاً منهنَّهْ
بكتِ المنابرُ يومَ ماتَ وإنما ... بكتْ المنابرُ فَقْدَ فارسِهُنَّهْ
لـمّا علاهُنَّ الوليدُ خليفةً ... قلـنَ ابنُـه ونظيرُه فسَكَنَّهْ
لـو غيرُه قَرَع المنابرَ بعدَه ... لَنَكِرْنَـه فطَرَحْنَـه عنهنَّهْ

[زوج بنيه من بنت مقاتل المنقري وأختيه فهجاه القلاح]

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا العَنزي قال : خطب يحيى بن أبي حفصة إلى مُقاتل بن طُلْبة بن قيس بن عاصم المِنقري ابنتَه وأُختَيْه ، فأنعَمَ له بذلك . فبعث يحيى إلى بنيه سليمان وعمر وجميل ، فأتَوْه بالجَفْر فزوجهن بَنِيه ثلاثتَهم ، ودخلوا بهنَّ ثم حملوهن إلى حَجْر . فقال القُلاح بن حَزن المِنقري في ذلك : [من الطويل]

سلامٌ على أوصال قيس بن عاصمٍ ... وإن كُنَّ رَمْساً في التراب بَوالِيا
أضيَّعتموا خيلاً عِراباً فأصبحتْ ... كواسدَ لا يَنْكِحـن إلا المَواليا
فلـم أَرَ أبـراداً أجَـرَّ لخزيـةٍ ... وألأَمَ مكسُـــوّاً وألأَم كاسيا
من الخَزِّ واللائي بحَجْـرٍ عليكمُ ... نُشِرْنَ فكـنَّ المُخزِيـاتِ البواقيا

فقال يحيى يرد عليه : [من الطويل]

ألا قَبَـح اللهُ القُـلاحَ ونِسْوَةً ... على البئرُ يعطِشْنَ الكلابَ من النَّتْنِ
نَكَحْنا بناتِ القَرْم قيسِ بن عاصم ... وعمداً رغِبنا عن بنات بني حَزْنِ
أبـاً كان خيراً مـن أبيك أُرُومةً ... وأوسطَ في سَعْدٍ وأرجحَ في الوَزْنِ

لِبيْتِ بني حَزْن مـن الذُلّ وَهْنَةٌ كوهنةِ بيتِ العنكبوتِ التي تَبْني
ولم تَـرَ حَزْنِيّاً ، ولو ضَمَّ أربعاً وأَبْرَزَ ، في فرجٍ يَعِفُّ ولا بطنِ[1]
وضيفُ بني حَزْنٍ يجوعُ وجارُهم إذا أَمِنَ الجيرانُ نـاءٍ من الأمنِ

[شعره في ابن المهلب وقومه]

أخبرنا يحيى بن علي قال أنشدني محمد بن إدريس ليحيى يذكر خروجَ يزيد بن المُهَلَّب ويتأسَّف على الحَجاج : [من البسيط]

لا يُصلِحُ الناسَ إلا السيفُ إذ فُتِنوا لَهْفِي عليـكَ ولا حَجَّاجَ للدينِ
لو كان حياً غداةَ الأَزْد إذ نكَثوا لم يُحْصِ قتلاهُمُ حسَّابُ ديرينِ
لم تأته الأَزْدُ عنـدَ البابِ تَرْبُصه مثـلَ الجـرادِ تَنزَّى في التَّبابـينِ[2]
من كلِّ أَفحَج ذي حَنْفٍ مُخالفةً أرفَتْ به السُّفْنُ عِلْجاً غير مَجْنونِ[3]

[شعره في والي اليمامة]

قال أبو أحمد : وأنشدني ليحيى في سفيان بن عمرو والي اليمامة : [من البسيط]

لقد عَصاني ابن عمرو إذ نَصَحتُ له ولو أطِعْـتُ لمـا زلَّتْ بـه القَدَمُ
لو كنتُ أنفُخَ في فحمٍ لقد وقَدتْ ناري ولكـن رمـادٍ ما لـه حَمَمُ

[بخل مروان بن أبي حفصة]

وليحيى أشعارٌ كثيرة ؛ وإنما ذكرنا هاهنا منها ما ذكرنا لنعرِف أعراقَ مروان في الشعر . وكان مروان أبخَل الناس على يساره وكثرة ما أصابه من الخلفاء ، لا سيما من بني العباس ، فإنه كان رسمهم أن يُعطوه بكل بيت يمدحهم به أَلفَ درهم .

أخبرنا أحمد بن عمار قال حدثنا علي بن محمد النَّوفلي قال سمعت أبي يقول : كان المهدي يُعطي مروان وسَلْماً الخاسر عطيَّة واحدة ، وكان سَلْمٌ يأتي بابَ المهدي على البِرْذَوْن قيمتُه عشرة آلاف درهم ، والسَّرج واللجامِ المُقَذْوذين[4] ؛ ولباسُه الخَزُّ والوَشْي وما أشبه ذلك من الثياب الغالية الأثمان ، ورائحةُ المسك والغالية والطِّيب تفوح منه ، ويجيء مروان بن أبي

1 أبرز : اتخذ الإبريز وهو الذهب الخالص ، كناية عن كثرة المال .
2 تربصه : تنتظره . التبابين : جمع تبان وهو سراويل صغير .
3 الفحج : تداني صدور القدمين وتباعد العقبين . الحنف : اعوجاج الرجل إلى الداخل . أرفت السفينة : دنت من الشاطىء . وغير مجنون : غير مغطى .
4 المقذوذ : المزين .

حفصة وعليه فَرْوُ كبشٍ ، وقميصُ كَرابيس[1] وعمامةُ كرابيس ، وخُفّا كَبْلٍ[2] وكساءٌ غليظٌ مُنْتِنُ الرائحة ، وكان لا يأكل اللَّحم بخلاً حتى يَقْرَم إليه ، فإذا قَرِم أرسل غلامه فاشترى له رأساً فأكله . فقيل له : نَراك لا تأكل إلاَّ الرؤوسَ في الصَّيف والشتاء ، فلم تختار ذلك ؟ قال : نعم ! الرأس أعرف سعره ، ولا يستطيع الغلام أن يغبِنَني فيه ، وليس بلحم يطبُخه الغلام فيقدِر أن يأكل منه ، إن مسَّ عيناً أو أذُناً أو خَداً وقفتُ عليه ، فآكل منه ألواناً ، آكل عينيه لوناً ، وأذُنيه لوناً ، وغَلْصَمته لوناً ، ودماغه لوناً ، وأُكفى مؤونةَ طَبْخِه ، فقد اجتمعتْ لي فيه مرافق .

أخبرنا يحيى بن علي قال أخبرنا أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر عن أبي العَلاء المِنْقَرِي قال حدثني موسى بن يحيى قال : أوْصَلْنا إلى مروان بن أبي حفصة في وقت من الأوقات سبعين ألف درهم ، وجمع إليها مالاً حتى تمَّت مائةَ ألف وخمسين ألف درهم ، وأودَعها يزيد بن مَزْيَد . قال : فبينا نحن عند يحيى بن خالد إذ دخل يزيد بن مَزْيَد ، وكانت فيه دُعابة ، فقال : يا أبا علي أودَعَني مروان خمسين ومائة ألف درهم وهو يشتري الخبز من البقَّال . قال فغضِب يحيى ثم قال : عليَّ بمروان ، فأُتِيَ به . فقال له : أخبرَني أبو خالد بما أوْدَعته من المال وما تبتاعه من البقال ، والله لَما يُرى من أثَر البخل عليك أضرُّ من الفقر لو كان بك .

أخبرنا يحيى قال وحدثني عمر بن شبَّة عن أبي العَلاء المِنْقَري عن موسى بهذا الخبر ، إلا أنه قال : فقال له يحيى : يا مروان ، والله البُخلُ أسْوأ عليك أثراً من الفقر لو صرتَ إليه ، فلا تَبْخَل .

أخبرنا يحيى قال حدثني عمر بن شبة قال : بلغني أن مروان بن أبي حفصة قال ما فَرِحتُ بشيء قط فَرَحي بمائة ألف وهبها لي أمير المؤمنين المهدي ، فوزنتُها فزادتْ درهماً فاشتريتُ به لحماً .

أخبرنا يحيى قال حكى أبو غسان عن أبي عبيدة عن جَهْم بن خَلَف قال : أتينا اليمامة فنزلنا على مروان بن أبي حفصة ، فأطعمنا تمراً ، وأرسل غلامَه بفَلْس وسُكُرُّجَة ليشتري له زيتاً . فلما جاء بالزَّيت قال لغلامه : خُنْتَني ! قال : من فَلْس كيف أخونك ؟ قال : أخذتَ الفَلْس لنفسك واستوهبت الزيتَ .

أخبرنا يحيى قال أخبرنا أصحاب التَّوَّزي عنه قال : مرَّ مروان بن أبي حفصة في بعض سَفَراته وهو يريد مِنىً بامرأة من العرب فأضافته ، فقال : لله عليَّ إن وهب لي الأمير مائة ألف أن أهب لكِ درهماً ، فأعطاه ستين ألف درهم ، فأعطاها أربعة دَوانق .

1 الكرابيس : جمع كرباس وهو الثوب الخشن .
2 الكبل : الكثير الصرف .

أخبرنا يحيى قال أخبرني أبي عن أبي دِعامة قال : اشترى مروان لحماً بنصف درهم ، فلما وضعه في القِدْر وكاد أن ينضَج ، دعاه صديق له ، فردَّه على القَصَّاب بنُقصان دانِقَ . فشكاه القصابُ وجعل ينادي : هذا لحم مروان ، وظن أنه يأنَف لذلك . فبلغ الرشيد ذلك فقال : ويلك ! ما هذا ؟ قال : أكره الإسراف .

أخبرنا يحيى قال أخبرني أبي عن أبي دِعامة قال : أُنْشِدتُ لرجل من بني بكر بن وائل في مروان : [من الطويل]

وليس لمروانٍ على العِرْسِ غَيْرةٌ ... ولكنَّ مرواناً يَغـارُ على القِدْرِ

[قصته مع أبي الشمقمق]

أخبرنا يحيى قال أخبرني أبو هِفَّان قال حدثني يحيى بن الجَوْن العَبْدِي قال : فرَّق المهديُّ على الشعراء جوائزَ ، فأعطى مروانَ ثلاثين ألفاً . فجاءه أبو الشمقمق فقال له : أجزِْني من الجائزة . فقال له : أنا وأنتَ نأخذ ولا نُعْطِي . قال : فاسمع مني بيتين . قال : هاتِ . فقال أبو الشمقمق : [من السريع]

لِحْيَةُ مروانَ تَقـِـي عَنْبرا ... خالَط مسكاً خالصاً أذْفَرا

فما يُقيمــانِ بهـا ساعـةً ... إلا يَعُـودانِ جميعاً خَرا

فأمر له بدرهمين . وأخبرني بهذا الخبر أحمد بن جعفر جَحظة عن أبي هِفَّان فذكر مثل الخبر الماضي وزاد فيه . فأعطاه عشرة دراهم ، فقال له خذ هذه ولا تكن راويةَ الصِّبيان .

[الهادي يداعبه في المعجل والمؤجل]

أخبرني محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر قال حدثنا الزُّبير بن بكار قال حدثني عمِّي مُصعَب عن جدِّي عبدِ الله بن مصعب قال : دخل مروان بن أبي حفصة على موسى الهادي ، فأنشده قولَه فيه :

تَشابـه يومـا بأسِه ونوالِـــه ... فما أحدٌ يدري لأيِّهما الفضلُ

فقال له الهادي : أيما أحب إليك : أثلاثون ألفاً مُعَجَّلةً أم مائةُ ألف تدوَّن في الدواوين ؟ فقال له : يا أمير المؤمنين أنت تُحسن ما هو خير من هذا ولكنَّك نَسِيتَه ، أفتأذَن لي أن أُذَكِّرك ؟ قال نعم . قال : تُعَجِّل لي الثلاثين ألفاً وتدوِّن المائة الألف في الدَّواوين . فضحِك وقال : بل يعجَّلان جميعاً ؛ فحُمِل المالُ إليه أجمع .

[بينه وبين اليزيدي]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويَه قال حدثني سليمان بن جعفر قال حدثني أحمد بن عبد الأعلى قال : اجتمع مروان بن أبي حفصة وأبو

محمد اليزيدي عند المهدي ؛ فابتدأ مروان يُنشد : [من الكامل]

طَرَقَتْكَ زائرةً فحيٍّ خيالَها

فقال اليزيدي : لَحن والله وأنا أبو محمد . فقال له مروان : يا ضعيف الرأي أهذا لي يقال ! ثم قال : [من الكامل]

بيضاءُ تخلِط بالجمال دلالَها

فقال له بعض من حضر : يا أمير المؤمنين أَيتكنّى في مجلسك ! (يعني اليزيدي) فقال : اعذِروا شيخَنا ، فإن له حُرْمة .

[سؤال الرشيد عن الوليد بن يزيد]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق الموصلي قال أخبرني مروان بن أبي حفصة قال قال لي الرشيد : هل دخلتَ على الوليد بن يزيد ؟ فقلت : نعم دخلتُ مع عمومتي إليه . قال : فأخبِرْني عنه . قال : فذهبتُ أتزحزَح . فقال لي : إن أمير المؤمنين لا يكره ما تقول ، فقل ما شئت . فقلت : يا أمير المؤمنين ، كان من أجمل الناس وأشدهم وأشعرهم وأجودهم . دخلتُ عليه مع عُمومتي ولي لِمَّةٌ فَيْنانة ، فجعل يغمِز القضيبَ فيها ويقول لي : يا غلام ولَدَتْك سُكَّر ؟ ، وهي أُمُّ وَلَدٍ لمروان بن الحَكَم فوهبها لجَدي أبي حفصة فولَدتْ منه ، فقلت له : نعم . قال لي الرشيد : فهل تحفَظ من شعره شيئاً ؟ قلت : نعم ، سمعتُه يُنشد في خلافته وذكر هشاماً وتَحامُلَه عليه وما كان يريد من نَقْض أمره وولايته[1] : [من السريع]

ليتَ هشاماً عاشَ حتى يَرى	مِكْتَلَـه الأوفـرَ قـد أُتْرِعا
كِلْنا لـه الصاعَ التـي كالهـا	ومـا ظلَمناه بهـا أُصْوُعا
ومـا أَتَيْنا ذاكَ عـن بِدْعـةٍ	أحلَّـه الفُرْقـانُ لي أجمعا

فقال الرشيد : يا غلامُ ، الدواةَ والقرطاسَ ، فأُتِيَ بهما ، فأمر بالأبيات فكُتبت .

[رأي خلف الأحمر في شعره]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلَّبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني خَلاَّدٌ الأَرْقَط قال : جاءنا مروان بن أبي حفصة إلى حَلْقة يونس ، فأخذ بيد خَلَف الأحمر فأقامه ، وأخذ خَلَفٌ بيدي فقمنا إلى دار أبي عُمَيْر[2] فجلسنا في الدهليز . فقال مروان

1 في هذه الأبيات روايات مختلفة (انظر شعر الوليد بن يزيد ـ عطوان ، مكتبة الأقصى ، عمان) ولكنها لا تخرج عن مدلولها هنا .

2 ل : ابني عمير .

لخَلَفٍ : نَشَدْتُكَ اللهَ يا أبا مُحْرِزٍ إلا نصحتني في شعري فإن الناس يُخْدَعون في أشعارهم ، وأنشده قولَه : [من الكامل]

طرقَتْك زائرةً فحــيٍّ خيالَها بيضاءُ تخلِط بالجمالِ دلالَها

فقال له : أنت أشعر من الأعشى في قوله :

رَحَلــتْ سُمَيَّةُ غُدْوةً أجْمالَها

فقال له مروان : أَتَبْلُغ بيَ الأعشى هكذا ! ولا كُل ذا ! قال : ويحك ! إن الأعشى قال في قصيدته هذه :

فأصابَ حَبَّــةَ قلبهــا وطِحالها

والطِّحال ما دخل قطُّ في شيء إلا أفسده ، وأنت قصيدتُك سليمة كلها . فقال له مروان : إني إذا أردتُ أن أقول القصيدة رفعتُها في حول ، أقولها في أربعة أشهر ، وأنتخلها في أربعة أشهر ، وأَعْرِضُها في أربعة أشهر .

[رأي يونس في شعره]

وأخبرني بهذا الخبر هاشم بن محمد الخُزاعي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل عن محمد بن سَلام قال أبو دُلَف هاشم بن محمد وحدثني به الرِّياشي عن الأصمعي قال : جاء مروان بن أبي حفصة إلى حلقة يونس ، فسلَّم ثم قال لنا : أَيُّكم يونس ؟ فأَوْمأنا إليه . فقال له : أصلحك الله ! إني أرى قوماً يقولون الشعر ، لأن يَكْشِف أحدهم سوءته ثم يمشيَ كذلك في الطريق أحسنُ له من أن يُظهر مثلَ ذلك الشعر . وقد قلتُ شعراً أَعْرِضُه عليك ، فإن كان جيِّداً أظهرتُه ، وإن كان رديئاً سترتُه . فأنشده قوله : [من الكامل]

طرقَتْكَ زائــرةً فحــيِّ خيالَها

فقال له يونس : يا هذا اذْهَبْ فأظْهِر هذا الشعر فأنت والله فيه أشعر من الأعشى في قوله :

رحَلتْ سُمَيَّةُ غُـدْوَةً أجْمالَها

فقال له مروان : سررتني وسُؤْتني . فأما الذي سررتني به فارتضاؤك الشعر . وأما الذي ساءني فتقديمُك إياي على الأعشى وأنت تعرف محلَّه . فقال : إنما قدَّمتُك عليه في تلك القصيدة لا في شعره كله لأنه قال فيها :

فأصابَ حبَّــة قلبَهــا وطِحالَها

والطِّحال لا يدخل في شيء إلا أفسده . وقصيدتُك سليمة من هذا وشِبْهه .

[رأي الأصمعي فيه]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثني العباس بن ميمون طائع قال : سمِعتُ الأصمعي ذكَر مروان بن أبي حفصة فقال : كان مولَّداً ، لم يكن له علم باللغة .

[من أشعر الناس]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثني أحمد بن عُبيد الله عن العُتْبي قال حدثني بعض أصحابنا قال : أنشدَنا مروانُ بن أبي حفصة يوماً شعر زهير ثم قال : زُهَيْر والله أشعر الناس ، ثم أَنْشد للأعشى فقال : الأعشى أشعر الناس ، ثم أَنْشد شعراً لامرىء القيس فقال : امرؤ القيس أشعر الناس ، ثم قال : والناسُ واللهِ أشعرُ الناس . أي إن أشعر الناس من أنشدتُ له فوجدته قد أجاد ، حتى يُنْتَقل إلى شعر غيره .

[اشترى من أعرابي شعراً]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن محمد النَّوفلي قال حدثني أبي قال : اجتاز مروان بن أبي حفصة برجل من باهلة من أهل اليمامة وهو يُنشد قوماً كان جالساً إليهم شعراً مدح به مروان بن محمد ، وإنه قُتل قبل أن يلقاه ويُنشدَه إيَّاه ، أوله : [من الكامل]

مَرْوانُ يا ابنَ محمدٍ أنتَ الذي ... زِيدَتْ بـه شَرَفاً بنـو مروانِ

فأعجبتْه القصيدة ، فأمهل الباهليَّ حتى قام من مجلسه ، ثم أتاه في منزله فقال له : إني سمعتُ قصيدتَك وأعجبتْني ، ومروان قد مضى ومضى أهلُه وفاتَك ما قد رُمتَه عنده ؛ أتبيعني القصيدةَ حتى أنتحلَها ، فإنه خير لك من أن تَبقى عليك وأنت فقير ؟ قال نعم . قال : بكم ؟ قال : بثلثمائة درهم . قال : قد ابتعتُها ؛ فأعطاه الدراهم وحلَّفه بالطلاق ثلاثاً وبالأيمان المُحْرِجة ألا يَنْتحلها أبداً ولا ينسُبها إلى نفسه ولا يُنْشدَها ، وانصرف بها إلى منزله ، فغيَّر منها أبياتاً وزاد فيها ، وجعلها في مَعْن ، وقال في ذلك البيت : [من الكامل]

مَعْنُ بن زائدةَ الذي زِيدَتْ به ... شرفـاً إلى شرف بنـو شَيْبانِ

ووفَد بها إلى مَعْن بن زائدة فملأ يديه ، وأقام عنده مدةً حتى أَثْرى واتَّسعت حالُه . فكان معنٌ أوَّلَ من رفَع ذكره ونَوَّه به . قال : وله فيه مدائح بعد ذلك شريفة ومَراثٍ حسنةٌ .

[معن والعبد الذي أطلقه تكرماً]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن نُعَيم البَلْخي أبو يونس قال حدثني مروان بن أبي حفصة وكان لي صديقاً قال : كان المنصور قد طلب معن بن زائدة طلباً شديداً ، وجعل فيـه مـالاً ؛ فحدثنـي معن بن زائدة باليمن أنه اضطُر لشدَّة الطلب إلى أن قام في الشمس حتى لوَّحتْ وجهَه ، وخفَّف عارضيه ولِحْيته ، ولبِس جُبَّة صوف

غليظة ، وركِب جملاً من الجمال النَّقَّالة ليمضيَ إلى البادية فيُقيمَ بها ، وكان قد أَبْلى في حرب يزيد بن عمر بن هُبَيْرة[1] بلاء حسناً غاظ المنصور وجدَّ في طلبه . قال مَعْنٌ : فلما خرجتُ من باب حَرْب[2] تَبِعني أسودُ متقلِّداً سيفاً ، حتى إذا غِبتُ عن الحرس قبض على خطام جملي فأناخه وقَبض عليَّ ؛ فقلت له : ما لكَ ؟ قال : أنت طِلبةُ أمير المؤمنين . قلت : ومن أنا حتى يطلبني أمير المؤمنين ! قال : مَعْنُ بن زائدة . فقلت : يا هذا اتقِ الله وأين أنا من معن ! قال : دَعْ هذا عنك فأنا والله أعْرَفُ به منك . فقلت له : فإن كانت القصة كما تقول فهذا جوهرٌ حملتُه معي يَفِي بأضعاف ما بذله المنصور لِمَن جاءه بي ، فخُذه ولا تَسفِكْ دمي . قال : هاتِه فأخرجتُه إليه ؛ فنظر إليه ساعة وقال : صدَقتَ في قيمته ، ولستُ قابِلَهْ حتى أسألك عن شيء ، فإن صدَقْتني أطلقتُك . فقلت : قُلْ . قال : إن الناس قد وصفوك بالجود ، فأخبِرْني هل وهبتَ قط مالَك كلَّه ؟ قلت لا . قال : فنصفَه ؟ قلت لا . قال : فثُلُثَه ؟ قلت لا . حتى بلغ العُشْر فاستحيَيْتُ فقلت : أظن أني قد فعلتُ هذا . فقال : ما أراك فعلتَه ! أنا والله راجل ، ورزقي من أبي جعفر عشرون درهماً ، وهذا الجوهر قيمتُه آلافُ دنانير ، وقد وهبتُه لك ، ووهبتُك لنفسك ولجودك المأثور عنك بين الناس ، ولتعلَم أن في الدنيا أجود منك ، فلا تُعْجِبْك نفسُك ولتَحْقِرْ بعد هذا كلَّ شيء تفعله ، ولا تتوقف عن مكرمة . ثم رمى بالعقد في حِجْري وخلَّى خطامَ البعير وانصرف . فقلت : يا هذا قد والله فضحتَني ، ولَسَفْكُ دمي أهونُ عليَّ مما فعلتَ ، فخذ ما دفعتُه إليك فإني غنيٌّ عنه . فضَحِك ثم قال : أردتَ أن تكذِّبني في مَقامي هذا ، والله لا آخذه ولا آخذ بمعروف ثمناً أبداً ، ومضى . فوالله لقد طلبتُه بعد أن أمِنتُ وبذلتُ لِمَن جاءني به ما شاء فما عرَفتُ له خبراً ، وكأن الأرض ابتلعتْه .

[بلاء معن يوم الهاشمية]

قال : وكان سبب رضا المنصور عن مَعْن أنّه لم يزل مستتِراً حتى كان يومُ الهاشمية ، فلما وثَب القومُ على المنصور وكادوا يقتلونه ، وثَب مَعْن وهو متلثِّم فانتضى سيفَه وقاتل فأبلى بلاءً حسناً ، وذبَّ القومَ عنه حتى نجا وهم يُحاربونه بعدُ ، ثم جاء والمنصور راكبٌ على بغلة ولجامُها بيد الرَّبيع ؛ فقال له : تَنَحَّ فإني أحقُّ باللِّجام منك في هذا الوقت وأعظمُ فيه غَناء . فقال له المنصور : صدَق فادفعه إليه ؛ فأخذه ولم يزل يقاتل حتى انكشفت تلك الحال . فقال له المنصور : مَن أنتَ لله أبوك ؟ قال : أنا طَلِبتُك يا أمير المؤمنين مَعْنُ بن زائدة . قال : قد

1 هو أحد رجالات بني أمية وولاتهم قتله أبو جعفر المنصور سنة 132 (انظر ترجمته في ابن خلكان 6 : 313-321) .

2 موضع ببغداد ينسب إلى حرب البلخي : أحد قواد المنصور .

أمَّنك الله على نفسك ومالك ، ومثلك يُصْطَنع . ثم أخذه معه وخلَع عليه وحَباه وزيَّنه . ثم دعا به يوماً وقال له : إني قد أمَّلتك لأمر ، فكيف تكون فيه ؟ قال : كما يحب أمير المؤمنين ، قال : قد ولَّيتك اليمنَ ، فابسُط السيفَ فيهم حتى يُنْقَض حِلفُ ربيعةَ واليمن ، قال : أَبْلُغُ من ذلك ما يحب أمير المؤمنين . فولاَّه اليمَن وتوجَّه إليها فبسط السيفَ فيهم حتى أسرف .

[معن يكرمه لمدحه المنصور]

قال مروان : وقدِم مَعْن بعقِب ذلك فدخل على المنصور فقال له بعد كلام طويل : قد بلغ أميرَ المؤمنين عنك شيءٌ لولا مكانُك عنده ورأيُه فيك لغضِب عليك . قال : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ فوالله ما تعرضتُ لك منك ، قال : إعطاؤك مروان بن أبي حفصة ألفَ دينار لقوله فيك[1] : [من الكامل]

مَعْنُ بن زائدةَ الذي زِيدَتْ به شرفـاً إلى شرف بنو شَيْبانِ

إن عُـدَّ أيـامُ الفعـالِ فإنما يومـاه يـومُ ندًى ويومُ طِعانِ

فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أعطيتُه ما بلغك لهذا الشعر ، وإنما أعطيته لقوله : [من الكامل]

مـا زلتَ يـومَ الهاشميَّةِ مُعْلِماً بالسيفِ دونَ خليفـةَ الرحمنِ

فمنعتَ حَوْزَتَـه وكنتَ وِقاءه من وَقْـع كلِّ مُهَنَّـدٍ وسِنانِ

فاستحيا المنصور وقال : إنما أعطيتَه ما أعطيتَه لهذا القول ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ! والله لولا مخافة النقمة[2] عندك لأمْكَنْتُه من مفاتيح بيوت الأموال وأبحته إياها ، فقال له المنصور : لله درُّك من أعرابي ! ما أهْوَنَ عليك ما يَعَزُّ على الرجال وأهل الحزم !

[مدح المهدي فرده لمدحه معناً]

أخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني عبد الله بن محمد بن موسى قال أخبرني محمد بن موسى بن حمزة قال أخبرني الفضل بن الرَّبيع قال : رأيت مروانَ بن أبي حفصة وقد دخل على المهدي بعد وفاة معن بن زائدة في جماعة من الشعراء فيهم سَلْمٌ الخاسر وغيرُه ، فأنشده مديحاً فيه ، فقال له : ومن أنت ؟ قال : شاعرُك يا أمير المؤمنين وعبدُك مروان بن أبي حفصة . فقال له المهدي : ألست القائل[3] : [من الوافر]

أقَمْنـا باليمامـةِ بعـدَ مَعْـنٍ مُقامـاً لا نُريـدُ بـه زَوالا[4]

1 ديوانه : 281 .

2 في ل : الشفعة .

3 ديوانه : 270–275 .

4 باليمامة في ل : المدينة .

وقُلْنا أيــنَ نرحــلُ بعدَ مَعْــنٍ وقــد ذهبَ النَّوالُ فــلا نوالا

قد ذهب النَّوالُ فيما زعمتَ ، فلِم جئتَ تطلب نوالَنا ؟ لا شيء لك عندنا ، جُرُّوا برجله ؛ فجَروا برجله حتى أُخرِج . قال : فلما كان من العام المقبل تلطَّف حتى دخل مع الشعراء ، وإنما كانت الشعراءُ تدخل على الخلفاء في كل عام مرة ، فمثَل بين يديه وأنشده بعد رابع أو بعد خامس من الشعراء[1] : [من الكامل]

طَرَقَتْـكَ زائـرةً فحــيِّ خيالَهـا بيضاءُ تخلِـطُ بالجمـالِ دلالَها[2]

قـادتْ فـؤادَكَ فاستقادَ ومثلُهـا قـادَ القلــوبَ إلى الصِّبـا فأمالها

قال : فأنصت الناسُ لها حتى بلغ إلى قوله : [من الكامل]

هلْ تَطْمِسونَ من السماءِ نجومَها بأكُفِّكــم أو تَستــرون هــلالَها

أو تَجْحَدون مقالــةً عن ربِّكم جبريــلُ بلَّغهــا النَّبــيَّ فقــالها

شَهِدتْ مــن الأنفالِ آخــرُ آيــةٍ بتُراثِهـــم فأَرَدْتُـــم إبْطالَهـــا

قال : فرأيت المهديَّ قد زحف من صدر مُصَلَّاه حتى صار على البِساط إعجاباً بما سمع ، ثم قال : كم هي ؟ قال : مائة بيت . فأمر له بمائة ألف درهم . فكانت أول مائةِ ألف درهم أُعطيها شاعرٌ في أيام بني العباس .

[مدح الرشيد فرده لمدحه معناً]

قال : ومضت الأيام ووليَ هارون الرشيدُ الخلافة ، فدخل إليه مروان ؛ فرأيته واقفاً مع الشعراء ثم أنشده قصيدة امتدحه بها . فقال له : من أنت ؟ قال : شاعرُك وعبدُك يا أمير المؤمنين مروانُ بن أبي حفصة . قال له : ألستَ القائل في مَعْن بن زائدة ! وأنشده البيتين اللذيْن أنشده إياهما المهدي ، ثم قال : خذوا بيده فأَخْرِجوه ، لا شيء لك عندنا ، فأُخرِج . فلما كان بعد ذلك بأيام تلطَّف حتى دخل ؛ فأنشده قصيدته التي يقول فيها[3] : [من الطويل]

لَعَمْرُك مـا أَنْسى غَداةَ المُحَصَّبِ إشارةَ سَلْمــى بالبنــانِ المُخَضَّبِ

وقــد صــدَر الحُجَّـاجُ إلا أقلَّهم مصادرَ شتى مَوْكِباً بعــدَ موكبِ

قال : فأعجبتْه ، فقال : كم قصيدتُك من بيتٍ ؟ فقال : ستون أو سبعون . فأمر له بعدد أبياتها ألوفاً . فكان ذلك رَسْمَ مروانَ عندهم حتى مات .

---

1 ديوانه : 264–267 .

2 بالجمال في ل : بالحياء .

3 ديوانه : 217 .

[مدح المهدي في الرصافة]

أخبرني عمي قال حدثني الفضل بن محمد اليزيدي عن إسحاق قال: دخل مروان بن أبي حفصة على المهدي في أول سنة قَدِم عليه. قال: فدخلتُ عليه في قصره بالرصافة فأنشدته قولي فيه[1]: [من الطويل]

أَمَرُّ وأحْلى ما بلا الناسُ طعمَه عـذابُ أمير المؤمنـين ونائلُه
فإن طليقَ الله مَنْ أنت مُطْلِقٌ وإنَّ قتيـلَ الله مَـنْ أنت قاتلُه
كـأنَّ أميرَ المؤمنـينَ محمـداً أبو جعفـر في كلِّ أمـرٍ يحاولُه

قال: فأُعجب بها، وأمر لي بمال عظيم؛ فكانت تلك الصلةُ أولَ صلة سنيَّة وصلتْ إليَّ في أيام بني هاشم.

[مدح المهدي وذم يعقوب ابن داود]

أخبرني الحسن بن علي الخَفَّاف قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني محمد بن عبد الله العبدي الراوية قال حدثني حسين بن الضحَّاك قال حدثني مروان بن أبي حفصة قال: دخلتُ على المهدي في قصر السلام، فلما سلَّمتُ عليه، وذلك بعَقِب سخطه على يعقوب بن داود، قلت: يا أمير المؤمنين إن يعقوب رجل رافِضي وإنه سمعني أقول في الوراثة[2]: [من الكامل]

أنَّى يكونَ وليس ذاكَ بكائنٍ لبَنِـي البنـاتِ وراثةُ الأعمامِ

فذلك الذي حَمَله على عداوتي. ثم أنشدته: [من الطويل]

كـأن أميرَ المؤمنـينَ محمـداً لرأفتـه بـالناسِ للناسِ والدُ
على أنه مَن خالَفَ الحقَّ منهمُ سَقَتْه يدَ الموتِ الحُتوفُ الرَّواصدُ

ثم أنشدته: [من الكامل]

أحيـا أميرُ المؤمنـين محمـدٌ سُنَنَ النبيِّ حرامَهـا وحلالَها

قال فقال لي المهدي: والله ما أعطيك إلا من صُلْب مالي فاعْذِرني، وأمر لي بثلاثين ألف درهم. وكساني جُبَّةً ومُطْرَفاً، وفرَض لي على أهل بيته ومواليه ثلاثين ألفاً أُخرى.

1 ديوانه: 262.
2 ديوانه: 279.

[رأي ابن الأعرابي في شعره]

أخبرني عيسى بن الحسين الوَراق قال حدثنا أحمد بن الحارث الخَرَّاز قال حدثنا ابن الأعرابي أن مروان بن أبي حفصة أخبره أنّه وفَد على مَعْن بن زائدة فأنشده قوله[1] : [من الطويل]

بنو مطرٍ يومَ اللّقاء كأنّهم ... أُسودٌ لها في بَطن خَفانَ أَشْبُلُ
همُ يَمنعون الجارَ حتى كأنّما ... لجارهمُ بين السِّماكين منزلُ
لَهامِيمُ ، في الإسلامِ سادُوا ولم يكن ... كأوَّلهم في الجاهلية أولُ
هم القومُ إن قالوا أصابوا وإن دُعُوا ... أجابوا وإن أعطَوْا أطابوا وأجزلوا
ولا يستطيعُ الفاعلونَ فعالَهم ... وإن أحسنوا في النائباتِ وأجملوا

قال : فأمر لي بصلة سنيَّة وخلَع عليَّ وحمَلني وزودني . قال ثم قال لنا ابن الأعرابي : لو أعطاه كلَّ ما يملك لَما وفاه حقَّه . قال : وكان ابن الأعرابي يختم به الشعراءَ ، وما دَوَّن لأحد بعدَه شعراً .

[رأيه في شعر جرير والفرزدق]

أخبرني حبيب بن نصر قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال أخبرني أحمد بن موسى بن حمزة قال : رأيت مروان بن أبي حفصة في أيام محمد بن زُبَيْدة في دار الخلافة وهو شيخ كبير ، فسألته عن جرير والفرزدق أيهما أشعر ، فقال لي : قد سُئلتُ عنهما في أيام المهدي وعن الأخطل قبل ذلك ، فقلتُ فيهم قولاً عقدتُه في شعر ليَثْبُتَ . فسألته عنه فأنشدني[2] : [من الكامل]

ذهب الفرزدقُ بالهجاء وإنّما ... حُلْوُ القريضِ ومُرُّه لجريرِ[3]
ولقد هجا فأمضَّ أخطلُ تَغْلِبٍ ... وحوى النُّهى ببيانه المشهورِ
كلُّ الثلاثةِ قد أجادَ فمدحهُ ... وهجاؤه قد سارَ كلَّ مَسيرِ
ولقد جَرَيْتُ ففُتُّ غيرَ مُهَلِّلٍ ... بجِراءِ لا قَرِفٍ ولا مبهورِ[4]
إني لآنَفُ أن أُحَبِّر مِدْحةً ... أبداً لغيرِ خليفةٍ ووزيرِ

---

1 ديوانه : 257–258 .

2 ديوانه : 230–231 .

3 بالهجاء في الديوان : بالفخار .

4 رواية هذا البيت والذي يليه في الديوان :

ولقد جريت مع الجياد ففتها ... بعنان لا شبم ولا مبهور
ما زلت آنف أن أحبر مدحة ... إلا لصاحب منبر وسرير

ما ضرني حَسَدُ اللئامِ ولم يَزَلْ ... ذو الفضل يحسُده ذوو التقصيرِ

قال : فلم يَرَ أن يقدِّم على نفسه غيرَها . وكتبتُ الأبيات عن فيه .

[معن يحكمه في عطائه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثني أبو حاتم السِّجِسْتاني قال حدثني العَنسيّ قال : لما قدِم مَعْن بن زائدة من اليمن ، دخل عليه مروان بن أبي حفصة والمجلس غاصٌّ بأهله ، فأخذ بعِضادَتَي الباب وأنشأ يقول[1] : [من الطويل]

وما أَحْجَم الأعداءُ عنك بَقِيَّةً ... عليك ولكن لم يَرَوْا فيك مَطْمَعا

له راحتانِ الجودُ والحَتْفُ فيهما ... أبى اللهُ إلا أن تَضُرّا وتَنْفَعا

قال فقال له مَعْن : احتكم ، قال : عشرة آلاف درهم . فقال مَعْن : ربِحْنا عليك تسعين ألفاً . قال : أقِلْني . قال : لا أقال الله من يُقيلك .

[رد معن على محرز]

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أبي قال : لما قَدِم مَعْن بن زائدة من اليمن استقبله الناس ، وتلقَّاه مروان بن أبي حفصة ، فأنشده قصيدةً يهنِّئه فيها بقدومه وبرأي المنصور فيه ، وتلقاه فيمن تلقاه أبو القاسم مُحْرِز[2] فجعل يقول له : سفكْتَ الدماء ، وظلمتَ الناسَ ، وتعدَّيت طَوْرَك بذلك . فلما أكثر على مَعْن التفت إليه ثم قال له : يا مُحْرِز أخبِرْني بأي خُفَّيْك تضرب اليوم : أبالسُّباعي أم بالثُّماني ؟ قال : فانقطع وسكت خَجَلاً .

[حكاية الهاشمية مرة أخرى]

ودخل مَعْنَ على المنصور ، فلما سلَّم عليه وسأله قال له : يا مَعْنُ ، أعطيتَ ابن حفصة مائة ألف درهم عن قوله فيك : [من الكامل]

مَعْنُ بن زائدةَ الذي زيدتْ به ... شرفاً إلى شرفٍ بنو شَيْبانِ

فقال له : كلاَّ يا أمير المؤمنين ! بل أعطيته لقوله : [من الكامل]

ما زلتَ يومَ الهاشميَّة مُعْلِماً ... بالسيفِ دونَ خليفةَ الرحمنِ

فاستحيا المنصورُ من تهجينه إيَّاه فتبسَّم وقال : أحسنتَ يا معن في فعلك .

[يحيى بن منصور عاد إلى الشعر لما سمع بكرم معن]

أخبرني الحسن بن علي المصري قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني علي بن

1 من قصيدة طويلة في ديوانه : 245–247 .

2 أبو القاسم محرز بن إبراهيم أحد قواد أبي مسلم الخراساني .

ثَوْر قال حدثني أبو العباس العَدَوي قال : لما وَلِيَ مَعْن بن زائدة اليمنَ كان يحيى بن منصور الذُهْلي قد تنسَّك وترك الشعر . فلما بلغته أفعال مَعْن وفَد إليه ومدحه ، فقال مروان بن أبي حفصة[1] : [من البسيط]

لا تَعْدَموا راحَتَيْ مَعْنٍ فإنهما بالجودِ أفْتَنتا يحيى بنَ منصورِ
لما رأى راحتَيْ مَعْن تدفَّقتا بنائلٍ من عطاءٍ غيرِ مَنْزُورِ
ألقى المُسُوحَ التي قد كان يَلْبَسها وظلَّ للشِّعرِ ذا رَصْفٍ وتَحْبيرِ

[لم يرضَ زواج امرأة من أهله في بني مطر]

أخبرني محمد بن مَزْيَد وعيسى بن الحسين قالا حدثنا الزُّبير بن بكار قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز قال : ورد على مروان بن أبي حفصة كتاب وهو بالمدينة أن امرأة من أهله تزوَّجت في قوم لم يَرْضَ صِهْرَهم يقال لهم بنو مطر ؛ فقال في ذلك لأخيها[2] : [من البسيط]

لو كنتَ أشبهتَ يحيى في مَناكحِه لما تَنَقَّيْتَ فحلاً جَدُّه مَطَرُ
لله درٌّ جيادٍ كنتَ سائسَها ضيَّعتها وبها التَّحجيلُ والغُرَرُ
نُبِّئتُ خَوْلَةَ قالتْ يومَ أَنْكَحَها قد طالَما كنتُ منكَ العارَ أنتظرُ

[تهكم بالجني الشاعر فهجاه]

أخبرني الحسن بن علي الخَفَّاف قال حدثنا الحسن بن علي المعروف بحدان عن محمد بن حفص بن عمرو بن الأَيْهَم الحنفي قال : مرَّ مروان بن أبي حفصة برجل من تَيْم اللاَّت بن ثَعْلبة يُعْرَف بالجِنّي ؛ فقال له مروان : زعموا أنك تقول الشعر . فقال له : إن شئتَ عرَّفتُك ذلك . فقال له مروان : ما أنت والشعر ، ما أرى ذلك من طريقتك ولا مذهبك ولا تقوله ! فقال الجِنّي : اجلس واسمع فجلس ؛ فقال الجِني يهجوه : [من الطويل]

ثَوى اللؤمُ في العَجْلان يوماً وليلةً وفي دارِ مروانٍ ثَوى آخرَ الدَّهرِ
غدا اللؤمُ يَبْغِي مَطْرَحاً لرِحاله فنقَّبَ في بَرٍّ البلادِ وفي البحرِ
فلما أتى مروانَ خيَّم عندَه وقال رَضِينا بالمُقامِ إلى الحشرِ
وليستْ لمروانٍ على العِرْس غَيْرةٌ ولكنَّ مرواناً يَغارُ على القِدْرِ

فقال له مروان : ناشدتُك الله إلا كففتَ ، فأنت أشعر الناس . فحلَف الجِني بالطلاق

---

1 ديوانه : 229–230 .

2 ديوانه : 235 وهذه الأبيات تشبه أبياتاً للقلاح بن حزن المنقري يهجو بها مقاتل بن طلبة بن قيس بن عاصم عندما زوج ابنته خولة من ابن يحيى بن أبي حفصة (انظر طبقات ابن المعتز : 44) .

ثلاثاً أنه لا يكُفُّ حتى يصير إليه بنفر من رؤساء أهل اليمامة ثم يقول بحضرتهم : قاق في استي بيضة . فجلَبهم إليه مروان وفعل ذلك بحضرتهم ، وكان فيهم جدي يحيى بن الأَيْهم ، فانصرفوا وهم يضحكون من فعله .

[تعزيته للهادي في المهدي]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني أبو عبد الله بن سليمان بن زيد الدَّوْسي قال حدثني الفضل بن العباس بن سعيد بن سَلْم بن قُتيبة الباهلي قال حدثنا محمد بن حرب بن قَطَن بن قَبيصة بن مُخارق الهِلالي قال : لما مات المهدي وفدت العرب على موسى يهنّئونه بالخلافة ويعزّونه عن المهدي ؛ فدخل مروان بن أبي حفصة فأخذ بعضادتَي الباب ثم قال[1] : [من الطويل]

لقد أصبحتْ تختال في كلّ بلدةٍ بقبرِ أميرِ المؤمنينَ المقابرُ
ولو لم تُسَكَّنْ بابنه في مكانه لما بَرحت تَبْكِي عليه المنابرُ

قال فخرج الناس بالبيتين .

[مدح عمرو بن مسعدة في مرضه]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروَيه قال حدثني إبراهيم بن المُدبِّر قال : مَرِض عمرو بن مسعدة ، فدخل عليه مروان بن أبي حفصة وقد أبلَّ من مرضه فأنشأ يقول[2] : [من الهزج]

صحَّ الجسمُ يا عمرو لكَ التَّمْحِيصُ والأَجْرُ[3]
ولله علينا الحمـ ـدُ والمِنَّةُ والشكرُ
فقد كان شكا شوقاً إليك النَّهْيُ والأمرُ

قال فنحا نحوه مُسلم بن الوليد فقال[4] : [من البسيط]

قالوا أبو الفضل محمومٌ فقلت لهم نفسي الفِداءُ له من كلّ محذورِ
يا ليتَ عِلَّتَه بي غيرَ أن له أَجْرَ العليلِ وأنّي غيرُ مأجورِ

[رؤيته الغول في بعض سفراته]

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا أبو حُذَيفة قال

1 ديوانه : 234 .
2 ديوانه : 238 عن الأغاني .
3 صح في ل : صحيح .
4 ديوان مسلم بن الوليد (دار المعارف) : 323 .

حدثني رجل من بني سُلَيم في مسجد الرُّصافة قال أخبرني مروان بن أبي حفصة قال : وفدتُ في ركب إلى الرشيد فصِرْنا في أرض موحشةٍ قَفْرٍ ، وجَنَّ علينا الليل فسِرْنا لنقطعها ، فلم نشعر إلا بامرأة تسوق بنا إبلَنا وتحدو في آثارنا ، فإذا هي الغُول . فلما لاح الفجر عدلتْ عنا وأخذتْ عُرْضاً وجعلت تقول : [من الرجز]

يا كوكبَ الصبحِ إليكَ عني فلستُ مـن صبحٍ وليس مِنّي

قال : فما أذكر أني فزِعتَ من شيء قطُّ فزعي ليلتئذٍ .

[معارضة التغلبي له في وراثة الأعمام]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني علي بن الحسن الكوفي قال حدثني محمد بن يحيى بن أبي مُرَّة التغلبي قال : مررت بجعفر بن عفان الطائي يوماً وهو على باب منزله ، فسلَّمت عليه ، فقال لي : مرحباً يا أخا تَغلِب ، اجلس فجلست . فقال لي : أما تَعجَب من ابن أبي حفصة لعنه الله حيث يقول : [من الكامل]

أنَّى يكونُ وليس ذاك بكائنٍ لبني البناتِ وِراثــةُ الأعمامِ

فقلت بلى والله إني لأتعجَّبُ منه وأُكثِر اللَّعنَ له ، فهل قلتَ في ذلك شيئاً ؟ فقال : نعم قلت : [من الكامل]

لم لا يكون وإن ذاك لكائنٌ لبَنــي البنــاتِ وِراثةُ الأعمامِ
للبنت نصفٌ كاملٌ مـن مالِه والعـمُّ متــروكٌ بغيرِ سِهامِ
مـا للطَّلِيـقِ وللتُّراثِ وإنما صلّى الطليقُ مخافةَ الصَّمْصامِ

[صالح بن عطية الأضجم يقتله]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن محمد بن سليمان النوفلي قال حدثني صالح بن عطية الأضجم قال : لما قال مروان :

أنّى يكونُ وليس ذاكَ بكائنٍ لِبَنــي البناتِ وراثــةُ الأعمامِ

لزمتُه وعاهدت الله أن أغتاله فأقتلَه أيَّ وقتٍ أمْكَنَني ذلك ، وما زلت ألاطفُه وأَبرُّه وأكتب أشعاره ، حتى خُصِصْتُ به ، فأَنِسَ بي جداً ، وعرفتْ ذلك بنو حَفْصة جميعاً فأَنِسوا بي ، ولم أزل أطلب له غِرَّةً حتى مرض من حمَّى أصابته ، فلم أزل أظهِر له الجزَع عليه وأُلازمه وأُلاطِفه ، حتى خلا لي البيت يوماً فوثَبتُ عليه فأخذتُ بحَلْقه فما فارقته حتى مات ، فخرجتُ وتركته ، فخرج إليه أهله بعد ساعة فوجدوه ميتاً ، وارتفعت الصَّيْحةُ فحضرتُ وتباكيت وأظهرتُ الجزعَ عليه حتى دُفن ، وما فطن بما فعلت أحد ولا اتهمني به .

161 ـ [رجع إلى ذكر إبراهيم بن المهدي]

[نشأته ونسب أمه]

ثم نعود إلى ذكر إبراهيم بن المهدي وأُمُّه شَكِلة . ويكنى أبا إسحاق . وشَكِلةُ أُمُّه مولَّدة ، كان أبوها من أصحاب المازِيار ، يقال له شاه أَفْرَند[1] ، فقُتِل مع المازِيار وسُبِيَتْ بنتُه شَكِلة ، فحُمِلَتْ إلى المنصور ، فوهبها لمُحَيّاةَ أُمِّ ولده فربَّتها وبعثتْ بها إلى الطائف فنشأت هناك وتفحَّصت ؛ فلما كبِرتْ رُدت إليها . فرآها المهدي عندها فأعجبته ، فطلَبها من مُحَيّاة فأعطته إياها ، فولدت منه إبراهيم . وكان رجلاً عاقلاً فَهِماً دَيِّناً أديباً شاعراً راويةً للشعر وأيام العرب خطيباً فصيحاً حسنَ العارضة .

وكان إسحاق الموصلي يقول : ما ولد العباس بن عبد المطلب بعد عبد الله بن العباس : رجلاً أفضل من إبراهيم بن المهدي . فقيل له : مع ما تبذُّل له من الغِناء ؟ فقال : وهل تمَّ فضلُه إلا بذاك ! .

[كان ينسب ما يصنع لشارية وريّق جاريتيه]

حدثني بذلك محمد بن يزيد عن حماد عن أبيه . وكان أشدَّ خلق الله إعظاماً للغِناء ، وأحرصهم عليه ، وأشدَّهم منافسةً فيه . وكانت صنعته ليِّنةً ، فكان إذا صنع شيئاً نسَبه إلى شارِيةَ وريِّق ، لئلا يقع عليه فيه طعن أو تقريع ، فقلَّتْ صنعتُه في أيدي الناس مع كثرتها لذلك . وكان إذا قيل له فيها شيء قال : إنما أصنع تطرُّباً لا تَكَسُّباً ، وأُغني لنفسي لا للناس ، فأعمل ما أشتهي . وكان حُسْنُ صوته يستر عَوار ذلك كلِّه . وكان الناس يقولون لم يُرَ في جاهلية ولا إسلام أخٌ وأختٌ أحسنُ غناء من إبراهيم بن المهدي وأخته عُلَيَّة ؟ .

[مناظراته مع إسحاق الموصلي]

وكان يُماظُّ[2] إسحاقَ ويُجادله ، فلا يقوم له ولا يَفِي به ، ولا يزال إسحاق يغلِبه ويُغِصُّه بريقه ويَغُضُّ منه بما يظهر عليه من السَّقَطات ويبيِّنه من خطئه في وقته وعجزِه عن معرفة الخطأ الغامض إذا مرَّ به ؛ وقصورِه عن أداء الغناء القديم فيفضحه بذلك . وقد ذكرتُ قطعةً من هذه الأخبار في أخبار إسحاق وأنا أذكر هاهنا منها ما لم أذكُر هناك .

ومما خالف إبراهيمُ بن المهدي ومَن قال بقوله على إسحاق فيه : الثَّقيلان وخفيفهما ؛ فإنه

1 ل : إفريز .

2 يُماظ : ينازع .

سمّى الثقيل الأول وخفيفه الثقيلَ الثاني وخفيفَه ، وسمّى الثقيلَ الثاني وخفيفَه الثقيلَ الأولَ وخفيفَه ؛ وجرَتْ بينهما في ذلك مناظراتٌ ومجادلاتٌ ومراسلة ومكاتبة ومشافهة ، وحضرهما الناس ، فلم يكن فيهم مَن يَفِي بفصل ما بينهما والحكم لأحدِهما على صاحبه . ووضَع لذلك مكايِيلَ لتُعْرَف بها أقدارُ الطرائق ، وأَمْسكَ كل واحد منهما إلى آخر أقداره ، فلم يصح شيء يُعمل عليه ، إلا أن قول إبراهيم بن المهدي اضمحل وبطَل وتُرِك ، وعمِل الناس على مذهب إسحاق ؛ لأنه كان أعلَم الرجلين وأشهرَهما . وأوضح إسحاق أيضاً لذلك وجوهاً فقال : إنَّ الثقيل الأول يَجيء منه قَدْران ، الثقيلُ الأول التام ، والقَدْرُ الأوسط من الثقيل الأول ، وجميعاً طريقتُه واحدةٌ لاتساعه والتمكُّنِ منه ، والثقيلُ لا يَجيء هذا فيه ولا يقاربه . والثَّقيلُ الأول يمكن الإدراج في ضربه لثِقله ، والثَقيل الثاني لا يندرج لنقصه عن ذلك . ولهما في هذا كلام كثير ومخاطبات قد ذكرتُها في أخبارهما ، وشرحتُ العِلَلَ مبسوطةً في كتابٍ ألَّفْتُه في النَّغَم شرحاً ليس هذا موضعَه ولا يصلُح فيه . وأما التَّجزئةُ والقسمُ فإنهما أفْنَيا أعمارَهما في تنازعهما فيهما ، حتى كان يَمضي لهما الزمانُ الطويلُ لا تنقطع مناظرتهما ومكاتبتهما في قسمة وتجزئة صوتٍ واحدٍ فيه ، وحتى كانا يخرجان إلى كل قبيح ، وحتى إنهما ماتا جميعاً وبينهما منازعة في هذا الصوت وقسمته : [من مجزوء الخفيف]

حَيِّيـــا أُمَّ يَعْمَــــرا قَبْلَ شَحْطٍ من النَّوى

لم يُفْصَل[1] بينهما فيها إلى أن افترقا . ولو ذهبتُ إلى ذكر ذلك وشَرْحِ سائر أخبار إبراهيم بن المهدي وقِصَصِه لما وَلِيَ الخلافةَ وغيرِ ذلك من وصفه بفصاحة اللسان ، وحسنِ البيان ، وجَوْدةِ الشعر ، ورواية العلم ، والمعرفة بالجَدَل ، وجزالةِ الرأي ، والتصرُّف في الفقه واللغة ، وسائر الآداب الشريفة ، والعلوم النفيسة ، والأدوات الرفيعة ، لأطَلْتُ . وإنما الغرض في هذا الكتاب الأغاني أو ما جرى مجراها ، لا سيما لمن كثُرت الروايات والحكايات عنه ؛ فلذلك اقتصرتُ على ما ذكرتُه من أخباره دون ما يستحقه من التفضيل والتبجيل والثناء الجميل .

[اعتراف إبراهيم بن المهدي بقدرته على الغناء]

أخبرني عمي رحمه الله قال حدثني علي بن محمد بن بكر عن جده حمدون بن إسماعيل قال قال لي إبراهيم بن المهدي : لولا أنّي أرفَع نفسي عن هذه الصناعة لأظهرتُ فيها ما يعلم الناس معه أنهم لم يَرَوْا قبلي مِثْلي .

1 يفصل في ل : ينفصل .

[رأي ابن جامع في غنائه]

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سَعْد قال حدثني أحمد بن القاسم بن جعفر بن سليمان الهاشمي قال حدثني أحمد بن إبراهيم بن المهدي عن أبيه قال : دخلتُ يوماً إلى الرشيد وفي رأسي فَضْلَةُ خُمار ، وبين يديه ابن جامع وإبراهيم الموصلي . فقال : بحياتي يا إبراهيم غَنِّني . فأخذتُ العود ولم ألتفت إليهما لما في رأسي من الفَضْلة فغنَّيتُ : [من الكامل]

أَسْرى بخالدةَ الخيالُ ولا أرى ... شيئاً ألذَّ مــن الخيالِ الطَّارقِ

فسمعتُ إبراهيمَ يقول لابن جامع : لو طلب هذا بهذا الغناء ما نطلُب لَما أكلنا خبزاً أبداً . فقال ابن جامع : صدقتَ . فلما فَرَغتُ من غنائي وضعتُ العودَ ثم قلت : خُذا في حقِّكما ودَعا باطلَنا .

نسبة هذا الصوت

صوت[1]

[من الكامل]

أَسْرى بخالدةَ الخيــالُ ولا أُرى ... شيئاً أَلــذَّ مــن الخيــالِ الطارقِ[2]

إنَّ البليَّـــةَ مَـــنْ تَمَـــلُّ حديثَـــه ... فانْقَعْ فؤادَك من حديثِ الوامقِ[3]

أَهْواكِ فوقَ هوى النفوسِ ولم يزلْ ... مُـــذْ بِنْتِ قلبي كالجَناحِ الخافقِ

طَرَباً إليكِ ولم تُبــالي حاجتـــي ... ليس المُكــاذِبُ كالخليلِ الصادقِ[4]

الشعر لجرير . والغناء لابن عائشة رَمل بالوسطى عن عمرو .

[غنى الرشيد وعنده سليمان بن أبي جعفر وجعفر بن يحيى]

أخبرني جحظة قال أخبرني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي قال حدثني أبي ، وحدثني الصولي قال حدثني عون بن محمد قال حدثني هبة الله ، ولم يذكر عن أبيه ، قال : كان الرشيد يحب أن يسمعَ أبي . وقال جحظة عن هبة الله عن إبراهيم قال : كان الرشيد يحب[5] أن يسمعني ، فخلا

1 ديوان جرير (صادر) : 314 .

2 أسرى بخالدة في الديوان : أسرى لخالدة .

3 الديوان : يمل بالبناء للمجهول . فانقع في الديوان : فانشح أي اسق .

4 هذه الرواية موافقة لما في الديوان ، ورواية البيت في ل :

شوقـــاً إليك ولم تجازَ مودتي ... ليس المكذب بالحبيب الصادق

5 ل : يريد .

بي مرات إلى أن سمعني . ثم حَضَرْتُه مرة وعنده سليمان بن أبي جعفر ؛ فقال لي : عمُّك وسيِّد ولدِ المنصور بعد أبيك وقد أحب أن يَسمعك ؛ فلم يتركني حتى غنَّيتُ بين يديه : [من البسيط]

إذا أنتِ فينا لمن يَنْهاكِ عاصيةٌ وإذ أُجُرُّ إليكم سادراً رَسَني

فأمر لي بألف ألف درهم ، ثم قال لي ليلةً ولم يَبْقَ في المجلس إلا جعفر بن يحيى : أنا أُحِب أن تشرِّفَ جعفراً بأن تغنِّيه صوتاً . فغنَّيتُه لحناً صنعتُه في شعر الدَّارمي : [من البسيط]

كأنَّ صورتَها في الوصفِ إذ وُصِفَتْ دينـــارُ عَيْنٍ من المصريــةِ العُتُقِ[1]

نسبة هذين الصوتين ، [الأول] منهما :

صوت[2]

[من البسيط]

سَقْياً لِرَبْعِك من رَبْعٍ بذي سَلَمٍ وللزمانِ بـه إذ ذاك مـن زَمَنِ
إذ أنتِ فينا لمن ينهاكِ عاصيةٌ وإذ أُجُرُّ إليكم سادراً رَسَني[3]

الشعر للأحوص . والغناء لابن سريج ثقيل أول بالوسطى عن عمرو .

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني أحمد بن زهير عن مصعب قال : أنشد مُنشِدٌ وابنُ أبي عبيدة عندنا قول الأحوص : [من البسيط]

إذ أنتِ فينا لمن يَنْهاكِ عاصيةٌ وإذْ أُجُـرُّ إليكم سادراً رَسَنِي

فوثَب قائماً وألقى طَرَف ردائه وجعل يخطو إلى طَرَف المجلس ويَجُرُّه . ثم فعل ذلك حتى عاد إلينا . فقلنا له : ما حمَلك على ما صنعت ؟ فقال : إني سمعتُ هذا الشعر مرةً فأطْرَبني ، فجعلت على نفسي ألاَّ أسمعه أبداً إلا جررتُ رَسَني .

والآخر من الصوتين :

صوت

[من البسيط]

كأنَّ صورتَها في الوصفِ إذ وُصِفَتْ دينـارُ عَيْنٍ مـن المِصْريــةِ العُتُقِ[4]

1 المصرية في ل : المضروبة .
2 شعر الأحوص : 209 عن الأغاني .
3 ينهاك في ل : يلحاك .
4 المصرية في ل : المضروبة .

أو دُرَّةٌ أعيتْ الغَوَّاصَ في صَدَفٍ   أو ذَهَبٌ صاغه الصَّواغُ في وَرِقِ

الشعر للدَّارميِّ . والغِناء لمرزوق الصواف رمل بالبنصر عن ابن المكي . وذكر عمرو أن هذا اللحنَ للدارمي أيضاً . وذكر الهشامي أنه لابن سريج . وفي هذا الخبر أنه لإبراهيم بن المهدي . وفيه خفيف رملٍ يقال إنه لحنُ مرزوق الصَّواف ، ويقال إنه لمتيَّم ثاني ثقيل عن الهشامي وابن المعتز .

[غنى صوتاً على أربع طبقات]

أخبرني يحيى بن المنجِّم قال ذكر لي عبيد الله بن عبد الله بن طاهر عن إسحاق بن عمر بن بَزِيع قال : كنتُ أضرب على إبراهيم بن المهدي صوتاً[1] ذكره فغناه على أربع طبقات ، على الطبقة التي كان العود عليها ، وعلى ضِعْفها ، وعلى إسْجاحها ، وعلى إسجاح الإسجاح . قال أبو أحمد قال عبيد الله : وهذا شيء ما حُكِيَ لنا عن أحد غيرِ إبراهيم ، وقد تَعاطاه بعضُ الحُذَّاق بهذا الشأن ، فوجده صعباً متعذِّراً لا يُبْلَغ إلا بالصوت القوي وأشَدّ ما فيه إسْجاح الإسْجاح ؛ لأن الضِّعف لا يُبْلَغ إلا بصوت قوي مائل إلى الدقة ، ولا يكاد ما اتسع مَخرجُه يبلُغ ذلك . فإذا دَقَّ حتى يبلُغ الإضعاف لم يقدر على الإسجاح فضلاً عن إسجاح الإسجاح . فإذا غَلُظ حتى يتمكن من هذين لم يقدر على الضِّعف .

[غنى صوتاً لمعبد]

أخبرني عمي قال حدثني ابن أبي سعد قال حدثني أحمد بن القاسم بن جعفر بن سليمان الهاشمي قال حدثني محمد بن سليمان بن موسى الهادي[2] قال : دعاني إبراهيم بن المهدي يوماً فصرت[3] إليه ، وغنَّى صوتاً لمعبد :   [من الطويل]

أفي الحـقِّ هـذا أنني بـكَ مُولَـعُ   وأنَّ فـؤادي نحوكَ الدَّهْـرَ نازعُ

فقال لي : لمن هذا الغِناء ؟ فقلت : يا سيدي يقولون إنه لمعبد ، ولا غنَّى والله معبد كذا قط ، ولا سمعتُ أحداً يقول كذا ، لا والله ما في الدنيا كذا . قال : فضحِك ثم قال : والله يا بُنَي ما قمتُ بنصف ما كان يقوم به معبد .

نسبة هذا الصوت

أمَّا اللحن فمن الثقيل الثاني ، وقد ذكر في هذا الخبر أنه لمعبد ، وما وجدتُه في شيء من الكتب له . وذكر الهشامي أنه لابن المكي .

---

1 ل : ضرباً .

2 ل : الهمداني .

3 ل : فضربت عليه .

[عاب مخارقاً عند المأمون]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن محمد بن عمار قال حدثني يعقوب بن نُعيم قال حدثني إسحاق بن محمد قال حدثني عيسى بن محمد القُحْطُبي قال حدثني محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر قال : لما قدِم المأمون من خُراسان لم يظهر لمغنٍّ بالمدينة مدينة السلام غيري ، فكنتُ أُنادمه سراً ، ولم يظهر للندماء أربعَ سنين ، حتى ظفِر بإبراهيم بن المهدي . فلما ظفِر به وعفا عنه ظهر للندماء ثم جمعَنا ؛ ووجَّه إلى إبراهيم فحضر في ثياب مُبتذلة[1] . فلما رآه المأمون قال : ألْقَى عمّي رِداء الكِبْر عن مَنكِبَيْه ، ثم أمر له بخِلَع فاخرة وقال : يا فَتْح غَدِّ عمِّي ؛ فتغدى إبراهيم بحيث يراه المأمون ثم تحول إلينا ، وكان مخارق حاضراً ، فغنَّى مخارق : [من الكامل]

هـذا ورُبَّ مُسوِّفِينَ صَبَحْتُهم ... مِن خمرِ بابِـلَ لذَّةً للشاربِ

فقال له إبراهيم : أسأتَ فأعِدْ ؛ فأعاده ، فقال : قارَبْتَ ولم تُصِبْ . فقال له المأمون : إن كان أساء فأَحْسِنْ أنت . فغناه إبراهيم ثم قال لمخارق : أَعِدْه فأعاده ، فقال : أحسنت . فقال للمأمون : كم بين الأمرين ؟ فقال : كثير . فقال لمخارق : إنما مَثَلُك كَمَثَل الثوب الفاخر إذا غفَل عنه أهلَه وقع عليه الغبار فأحال لونَه ، فإذا نُفِض عاد إلى جوهره . ثم غنَّى إبراهيمُ : [من الكامل]

يا صاحِ يـا ذا الضَّامرِ العَنْسِ ... والرَّحْلِ ذي الأقْتـادِ والحِلْسِ
أمّـا النَّهـارُ فمـا تُقَصِّره ... رَتْكاً يزيـدكَ كلَّمـا تُمْسي[2]

[ضنّ على مخارق بصوت]

قال : وكانت لي جائزة قد خرجتْ ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، تأمر سيِّدي بإلقاء هذا الصوت عليَّ مكان جائزتي فهو أحبُّ إليَّ منها . فقال : يا عم أَلْقِ هذا الصَّوتَ على مخارق ، فألقاه عليَّ ، حتى إذا كدت أن آخذه قال : اذهبْ فأنت أحذق الناس به . فقلت : إنه لم يصلُح لي بعد . قال : فاغْدُ عليَّ . فغدوتُ عليه فغناه متلوِّياً ؛ فقلت : أيها الأمير ، لك في الخلافة ما ليس لأحد ، أنت ابن الخليفة وأخو الخليفة وعمُّ الخليفة ، تجود بالرَّغائب وتبخَل عليَّ بصوت ! فقال : ما أحمقَك ! إن المأمون لم يَستَبقِني محبَّةً فيَّ ولا صِلةً لرَحمي ولا رِباءً للمعروف عندي ، ولكنه سميع من هذا الجرم[3] ما لم يَسْمع من غيره . قال : فأعلمتُ المأمون مقالتَه ؛ فقال : إنا لا

---

1 ل : منزله .

2 الرتك : سير سريع للإبل . وفي ل : دركاً .

3 الجرم : هنا الحلق .

نكدِّر على أبي إسحاق عَفْوَنا عنه ، فدَعه . فلما كانت أيام المعتصم نَشِط للصَّبوح يوماً فقال : أحضِروا عمّي . فجاء في دُرَّاعة من غير طَيلسان . فأعلمتُ المعتصم خبرَ الصوت سراً . فقال : يا عم غنِّني : [من الكامل]

يــا صاحِ يا ذا الضَّامرِ العَنْسِ

فغناه ؛ فقال : ألْقِهِ على مُخارق . فقال : قد فعلتُ ، وقد سبق منّي قولٌ ألاَّ أُعيده عليه . ثم كان يتجنب أن يغنِّيه حيث أُحضُره .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[من الكامل]

هــذا ورُبَّ مُسَوَّفِينَ صَبَحْتُهم ... مِن خمرِ بابِـلَ لَذَّةٌ للشاربِ
بكَروا عليَّ بسُحْرةٍ فصبَحْتُهم ... بإناءِ ذي كَرَمٍ كقَعْبِ الحالبِ
بزُجاجــةٍ مِـلءِ اليدين كأنَّها ... قِنديلُ فِصْحٍ في كنيسةِ راهبِ

الشعرُ لعَدي بن زيد . والغناء لحُنَين خفيف ثقيلٍ أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق .

صوت

[من الكامل]

يـا صاحِ يـا ذا الضَّامِرِ العَنْسِ ... والرَّحْـلِ ذي الأَقْتادِ والحِلْسِ
أمَّـــا النَّهـــارُ فمـــا تُقَصِّره ... رَتْكـاً يَزيـدكَ كلَّمـا تُمْسي

الشعر لخالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد .

[إبليس علمه النقر والنغم]

وذكر أحمد بن أبي طاهر عن أُثِيرَ مولاةِ منصور بن المهدي عن ذُؤابة مولاته أيضاً قالت قالـت لي أسمـاء بنت المهـدي : قلت لأخـي إبراهيم : يـا أخـي أشتهي والله أن أسمع من غنائك شيئاً . فقال : إذاً والله يا أُختي لا تَسْمعين مِثلَه ، عليَّ وعليَّ ، وغلَّظ في اليمين ، إن لم يكن إبليسُ ظهرَ لي وعلَّمني النَّقْرَ والنَّغَم وصافحَني وقال لي : اذهب فأنت منّي وأنا منك .

[غضب عليه الأمين]

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني هِبَةُ الله بن إبراهيم بن المهدي عن أبيه قال : غَضِب عليَّ محمد الأمين في بعض هَناته ، فسلَّمني إلى كَوثَرٍ[1] ،

1 كوثر : خادم الأمين .

فحبسني في سِرْداب وأغلقه عليَّ فمكثت فيه ليلتي . فلما أصبحتُ إذا أنا بشيخ قد خرج عليَّ من زاوية السِّرداب ، ودفع إلي وسطاً[1] وقال : كُلْ فأكلتُ ، ثم أخرج قِنِّينة شراب فقال : اشرَبْ فشربت ، ثم قال لي : غَنِّ : [من الكامل]

لي مُــدةٌ لا بُــدَّ أبلُغها معلومةٌ فإذا انقضتْ مُتُّ

لـو ساورتني الأُسْدُ ضاريةً لغلَبْتُها ما لم يَـجِ الوقتُ

فغنَّيته . وسمعني كوثر فصار إلى محمد وقال : قد جُنَّ عمُّك وهو جالس يغنِّي بكيت وكيت . فأمر بإحضاري فأُحْضِرْتُ وأخبرته بالقصة ، فأمر لي بسبعمائة ألف درهم ورضيَ عني .

[مطارحته أخته علية بمسمع من المأمون]

أخبرني عمي قال حدثني ابن أبي سعد قال سمعت يَنْشُو يحدِّث عن أبي أحمد بن الرشيد قال : كنتُ يوماً بحضرة المأمون وهو يشرب ، فدعا بياسرٍ وأدخله فسارَّه بشيء ومضى وعاد . فقام المأمونُ وقال لي : قم ، فدخل دار الحُرَم ودخلتُ معه ، فسمِعت غناءً أذهل عقلي ولم أقدِر أن أتقدم ولا أتأخر . وفطِن المأمون لِما بي فضحك ثم قال : هذه عمتك عُلَية تُطارح عمك إبراهيم[2] : [من السريع]

مـا لي أُرى الأبصارَ بي جافِيَهْ

نسبة هذا الصوت

[من السريع]

ما لي أُرى الأبصارَ بـي جافِيَهْ لم تَلْتَفِــتْ منِّــي إلى ناحِيَهْ

لا ينظـرُ النــاسُ إلى المُبْتــلى وإنَّمــا النــاسُ مــع العافِيَهْ

وقــد جفــاني ظالمــاً سيِّدي فأَدْمُعــي مُنْهَلــةٌ هــامِيَهْ[3]

صَحْبي سَلُــوا ربَّكُـم العافِيَهْ فقــدْ دهتنــي بعدَكُــمْ داهِيَهْ

الشعر والغناء لعُلَية بنت المهدي خفيف رمل . وأخبرني ذُكاء وجه الرُّزة أن لعريب فيه خفيف رمل آخر مَزموراً ، وأن لحن عُلية مُطْلَق .

1 لعلها سفطاً .

2 ديوان أبي العتاهية : 679–680 عن الأغاني .

3 هامية في ل : واهية .

[يغني صوتاً من غير أن يسمعه]

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال حدثني أبي عن إبراهيم عن علي بن هشام أن إسحاق كتب إلى إبراهيم بن المهدي بجنس صوت[1] صنَعه وإصبَعِه ومَجْراه وأجزاء لحنه ؛ فغناه إبراهيم من غير أن يسمعه فأدى ما صنعه . والصوت : [من مجزوء الخفيف]

حَيِّيـــا أم يَعْمَـــرا   قبلَ شَحْطِ من النَّوى
قلت لا تُعْجِلوا الرَّوا   حَ فقالـــوا ألا بَلَى
أجمعَ الحيُّ رِحلـــة   ففؤادي كـذِي الأَسَى

نسبة هذا الصوت

الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن سُرَيج ، ولحنه من القَدْر الأوسط من الثقيل الأول مطلقٌ في مجرى الوسطى ، وذكر عمرو بن بانة أنه لمالك . وفيه للهُذلي خفيف ثقيل أول بالبنصر عن ابن المكي ، وزعم الهشامي أنه لحن مالك . وفيه لَحنان من الثقيل الثاني أحدُهما لإسحاق وهو الذي كتب به إسحاق إلى إبراهيم بن المهدي . والآخر زعم الهشامي أنه لإبراهيم . وزعم عبد الله بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام أنه لابن مُحْرِز .

أخبرني عمي قال حدثني الحسين بن يحيى أبو الجُمان : أن إسحاق بن إبراهيم لما صنع صوتَه : [من مجزوء الخفيف]

قُلْ لِمَنْ صَــدَّ عاتِباً

اتصل خبرُه بإبراهيم بن المهدي فكتب إليه يسأله عنه ؛ فكتب إليه بشعره وإيقاعه وبسيطِه ومجراه وإصبعِه وتجزئتِه وأقسامِه ومخارِج نَغَمه ومواضِع مقاطعه ومقادير أدواره وأوزانه ، فغناه . قال : ثم لَقِيَني فغنانيه ، ففضَلني فيه بحسن صوته .

نسبة هذا الصوت

[من مجزوء الخفيف]

قــل لَمَــن صَدَّ عاتِبــاً   ونَــأى عنــكَ جانِبــا
قـــد بلغتَ الذي أرد   تَ وإن كنـــتَ لاعبا

الشعر والغناء في هذا اللحن لإسحاق ، ثاني ثقيل بالبنصر في مَجراها . وفيه لغيره ألحان .

---

1 ل : يجنس صوتاً .

[أحمد بن أبي دواد والغناء]

أخبرني ابن عمار قال حدثني يعقوب بن نُعَيْم قال حدثني إسحاق بن محمد عن أبيه قال : سمعت أحمد بن أبي دواد يقول : كنتُ أَعِيبُ الغِناء وأطعَن على أهله ، فخرج المعتصم يوماً إلى الشَّماسية في حَرَاقةٍ يشرب ، ووجه في طلبي فصرت إليه ؛ فلما قَرُبْتُ منه سمعت غناءً حيرني وشغَلني عن كل شيء ، فسقط سَوْطِي من يدي ؛ فالتفتُّ إلى زنقطة غلامي أطلب منه سوطَه ، فقال لي : قد والله سقط سوطي . فقلت له : فأي شيء كان سبب سقوطه ؟ قال : صوت سمعته شغَلَني عن كل شيء فسقَط سوطي من يدي ؛ فإذا قِصته قِصتي . قال : وكنت أنكر أمرَ الطَّرَب على الغناء وما يستفِز الناسَ منه ويغلِب على عقولهم ، وأناظر المعتصمَ فيه . فلما دخلتُ عليه يومئذٍ أخبرته بالخبر ؛ فضَحِك وقال : هذا عمي كان يغنِّيني : [من الخفيف]

إنَّ هذا الطويلَ من آل حَفْصٍ أنشَر المجـدَ بعدَما كان ماتـا

فإن تُبْتَ مما كنتَ تناظرنا عليه في ذَم الغناء سألتُه أن يُعيده . ففعلتُ وفعل ، وبلغ بي الطّربُ أكثرَ مما يَبْلُغني عن غيري فأُنكره ؛ ورجعت عن رأيي منذ ذلك اليوم .

وقد أخبرني بهذا الخبر أبو الحسن علي بن هارون بن علي بن يحيى المنجم عن أبيه عن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر فذكر هذه القصة أو قريباً منها لزيادة اللفظ ونُقْصانه ، وذكر أن الصوت الذي غناه إبراهيم : [من الكامل]

طرَقَتْـكَ زائـرةٌ فحـيِّ خيالَها بيضـاءُ تَخْلِـطُ بالحيـاءِ دلالَها
هل تَطْمِسونَ من السماءِ نجومَها بأكُفِّكـــم أو تَسْتُـرونَ هلالَها

[يخاطب أبناءه من عرض دجلة]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني الحسن بن عُلَيْل العنزي قال : سمعتُ هِبَة الله بن إبراهيم بن المهدي يقول : اتخذ أبي حَرَاقةً فأمر بشدها في الجانب الغربي بحِذاء داره ، فمضيتُ إليها ليلةً فكان أبي يُخاطبنا من داره بأمره ونَهْيه ، فنسمعه وبَيْننا عَرْض دِجلة وما أجهدَ نفسَه .

[يتنحنح فيطرب]

أخبرني عمي قال سمعت عبد الله بن مُسْلم بن قُتيبة يقول حدثني ابن أبي ظَبْية قال : كنت أسمع إبراهيم بن المهدي يتنحنح فأطْرَبُ .

[بينه وبين مخارق]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهرويه قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني القَطِراني المُغَنِّي عن محمد بن جبر عن عبد الله بن العباس الربيعي قال : كنا

عند إبراهيم بن المهدي ذاتَ يوم وقد دعا كل مُطرِبٍ مُحْسِنٍ من المغنين يومئذٍ وهو جالس يُلاعب أحدَهم بالشِّطْرَنج . فترنم بصوت فريدة : [من الخفيف]

قال لي أحمدٌ ولم يَدْرِ مـا بي أتُحِـبُّ الغـداةَ عُتْبـةَ حقّـا

وهو مُتَّكىء . فلما فرَغ منه ترنم به مُخارق فأحسنَ فيه وأطربنا وزاد على إبراهيم ، فأعاده إبراهيم وزاد في صوته فعَفَّى على غناء مُخارق . فلما فرَغ رده مخارق وغنى فيه بصوته كلِّه وتحفَّظ فيه ، فكِدنا نَطير سروراً . واستوى إبراهيم جالساً وكان متكئاً فغناه بصوته كلِّه ووفَّاه نَغَمَه وشُذُورَه ، ونظرتُ إلى كتفيه تهتزان وبدنه أجمع يتحرك حتى فرغ منه ، ومخارقٌ شاخِصٌ نحوه يُرْعَد وقد انتُقِع لونُه وأصابعُه تختلج ؛ فخُيل لي والله أن الإيوان يسير بنا . فلما فرغ منه تقدم إليه مخارق فقبّل يده وقال : جعلني الله فِداك أين أنا منك ! ثم لم ينتفع مخارق بنفسه بقية يومه في غنائه ، والله لكأنما كان يتحدث .

نسبة هذا الصوت

[من الخفيف]

قال لي أحمدٌ ولم يَـدْرِ ما بي أتُحِـبُّ الغـداةَ عُتْبـةَ حقّـا
فتنفستُ ثـم قلتُ نعم حبّـ ـاً جرى في العروقِ عِرْقاً فعِرْقا
مـا لدمعي عَدِمتُـه ليس يَرْقا إنَّما يَسْتَهِـلّ غَسْقاً فغَسْقا[1]
طَرَبـاً نحـوَ ظبيةٍ تركتْ قلـ ـبي من الوجدِ قَرْحةً ما تَفقَّا

الشعر لأبي العتاهية . والغناء لفريدة خفيفُ رمل بالوسطى . وفيه لإبراهيم بن المهدي خفيف رملٍ آخر . ولفريدة أيضاً لحنٌ من الثقيل الثاني في أبيات من هذه القصيدة وهي : [من الخفيف]

قد لَعَمْري ملَّ الطبيبُ وملَّ الـ ـأهلُ منـي ممـا أداوى وأرْقى
ليتني مُـتُّ فاسترحتُ فـإني أبداً مـا حَيِـيتُ منها مُلَقّى

[غنى الأمين فأطربه]

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني هِبَةُ الله بن إبراهيم بن المهدي قال حدثني عمي منصور بن المهديّ : أنه كان عند أبي في يوم كانت عليه فيه نَوْبَةٌ لمحمد الأمين ، فتشاغَل أبي بالشُّرْب في بيته ولم يَمْضِ ، وأرسل إليه عِـدَّةَ رُسُل فتأخر . قال منصور : فلما كان

---

1 الغسق : الانصباب . يقال غسقت العين إذا دمعت .

من غَدٍ قال : ينبغي أن تَعْمَل على الرَّواح إلي لِنمضي إلى أمير المؤمنين فنترضاه ؛ فما أشُكُ في غضبه عليَّ . ففعلتُ ومَضَيْنا . فسألنا عن خبره فأُعْلمنا أنه مشرِف على حَيْر[1] الوحش وهو مخمور ، وكان من عادته ألاّ يشرب إذا لحِقه الخُمار . فدخلنا ؛ وكان طريقُنا على حجرة تُصنع فيها الملاهي . فقال لي أخي : اذهب فاختَرْ منها عوداً تَرْضاه ، وأصْلِحْه غاية الإصلاح حتى لا تحتاج إلى تغييره ألبتةَ عند الضرب ؛ ففعلت وجعلته في كمي . ودخلنا على الأمين وظهرُه إلينا . فلما بَصُرنا به من بعيد قال : أخْرِجْ عودك فأخرجتُه ، واندفع يغني[2] : [من المتقارب]

وكأسٍ شَرِبْتُ على لَذةٍ وأُخرى تداويتُ منها بِها
لكي يعلمَ الناسُ أني امرؤٌ أتيتُ الفُتوةَ من بابِها
وشاهِدُنا الجُلُّ والياسَميـ ـنُ والمُسْمِعاتُ بقُصَّابِها[3]
وبَرْبَطُنا دائمٌ مُعْمَلٌ فأيُّ الثلاثةِ أزْرى بها[4]

فاستوى الأمين جالساً وطرِب طرباً شديداً وقال : أحسنتَ والله يا عمّ وأحييتَ لي طرباً ، ودعا برطل فشربه على الرِّيق وامتد في شربه . قال منصور : وغنى إبراهيم يومئذٍ على أشد طبقة يُتناهى إليها في العود ، وما سمِعتُ مثل غِنائه يومئذٍ قط . ولقد رأيتُ منه شيئاً عجيباً لو حُدِّثت به ما صَدَّقت ، كان إذا ابتدأ يغني أصغتِ الوحشُ إليه ومدت أعناقَها ، ولم تزل تدنو منا حتى تكاد أن تضع رؤوسها على الدُّكان الذي كنا عليه ، فإذا سكتَ نَفَرتْ وبعُدت منا حتى تنتهي إلى أبعد غاية يمكنها التباعد فيها عنا ، وجعل الأمين يَعْجَبُ من ذلك ، وانصرفنا من الجوائز بما لم ننصرف بمثله قطُّ .

[يغني صوتاً كتب له به إسحاق]

أخبرني عمي والصُّولي قالا حدثنا الحسين بن يحيى الكاتب أبو الجُمان أن إسحاق كتب إلى إبراهيم بن المهدي بصوت صنعه في شعر له وهو : [من مجزوء الخفيف]

قُلْ لِمَنْ صَدَّ عاتِبا ونـأى عنكَ جانِبا
قد بلغتَ الذي أُرَدْ تَ وإن كنتَ لاعِبا

وبيّن له شعرَه وإيقاعَه وبساطَه ومَجْراه وإصبعَه وتجزئتَه وقسمتَه ومخارجَ نَغَمه

---

1 ل : حائر .
2 ديوان الأعشى : طبعة دار صادر ، ص 24 .
3 الجل : الورد بمختلف ألوانه .
4 البربط : العود .

ومواضعَ مقاطعه ومقاديرَ أوزانه ، فغناه إبراهيم ، ثم لقيه بعد ذلك فغناه إياه فما خرَم منه شَذْرةً ولا نَغْمةً . قال : وفاقني فيه بحسن صوته .

نسبة هذا الصوت

[من مجزوء الخفيف]

قـلْ لمن صَدَّ عاتباً ونـأى عنكَ جانِبا
قد بلغتَ الذي أردْ تَ وإن كنتَ لاعبا
واعترفنـا بمـا ادّعيـ ـتَ وإن كنتَ كاذبا
فافعَلِ الآنَ مـا أرد تَ فقد جئتُ تائبا

يقال : إن الشعر لإسحاق ، ولم أَجِدْه في مجموع شعره[1] . ووجدتُ فيه لحناً لحَكَم الوادي في ديوان أغانيه ولحنه من الماخوري ، وهو خفيفٌ من خفيف الثقيل الثاني بالبِنصر . وكذلك ذكرتْ دَنانيرُ أنه لحكم الوادي ؛ ويُشبه أن يكون الشعرُ لغيره . ولحن إسحاق الذي كتب به إلى إبراهيم بن المهدي ثاني ثقيل بالبنصر في مجراها . وفيه ثقيلٌ أول مطلق في مجرى البنصر لم يقع إليَّ نسبتُه إلى صانعه ، وأظنّه[2] لحن حَكَمٍ .

[غنى أبا دلف العجلي وأهداه جارية]

أخبرني عمي قال حدثنا أبو عبد الله المرزبان قال حدثني إبراهيم بن أبي دُلَف العِجْلي قال : كنا مع المعتصم بالقاطُول ، وكان إبراهيم بن المهدي في حَراقته بالجانب الغربي وأبي وإسحاق الموصلي في حَراقتيهما في الجانب الشرقي ، فدعاهما يوم جمعة فعبَرا إليه في زلال وأنا معهما وأنا صغير وعليَّ أَقْبِيةٌ ومِنْطَقةٌ . فلما دنونا من حَراقة إبراهيم نهض ونهضنا ونهضتْ بنهوضه صَبِية له يقال لها غَضةُ ، وإذا في يديه كأسان وفي يديها كأس . فلما صَعدنا إليه اندفع فغنى : [من السريع]

حيّـاكما اللهُ خَلِيليـا إنْ مَيِّتاً كنتُ وإنْ حيَّا
إنْ قلتما خيراً فأهلٌ له أو قلتمـا غَيًّا فلا غَيا

ثم ناول كلاًّ منهما[3] كأساً وأخذ هو الكأسَ التي كانت في يد الجارية وقال : اشربا على ريقكما ، ثم دعا بالطعام فأكلوا وشَرِبوا ، ثم أخذوا العيدانَ فغناهما ساعةً وغنياه ؛ وضرب

1 نسبه من قبل إلى إسحاق دون تشكك في النسبة .
2 ل : وأصله .
3 ل : كل واحد .

وضربا معه ، وغنت الجارية بعدهم . فقال لها أبي : أحسنتِ مراراً . فقال له : إن كانت أحسنتْ فخذها إليك ، فما أخرجتُها إلا إليك .

[إطراؤه مخارق]

أخبرني عمي قال حدثنا علي بن محمد بن نصر قال حدثني أبو العَنْبَس بن حمدون قال : لما صنع مخارق لحنه في شعر العَتابي : [من الطويل]

أَخِضْني المُقامَ الغَمْرَ إنْ كان غَرّني ... سَنا خُلَّبٍ أو زَلَّتِ القَدَمانِ

غناه إبراهيمَ بن المهدي ؛ فقال له : أحسنتَ وحياتي ما شئت ! فسجد مُخارق سروراً بقول إبراهيم ذلك له .

[عمرو بن بانة يأخذ لحناً عنه]

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني القطِراني عن عمرو بن بانة قال : غنى إبراهيم بن المهدي يوماً[1] : [من الطويل]

أداراً بحُزْوى هِجْتِ للعينِ عَبْرةً ... فماءُ الهوى يَرْفَضُّ أو يَتَرَقْرَقُ

فاستحسنتُه وسألتُه إعادتَه عليَّ حتى آخُذَه عنه ففعل . ثم قال لي : إن حديث هذا الصوت أحسن منه . قلت : وما حديثُه أعزَّك الله ؟ قال : غنّانيه ابنُ جامع والصنعة فيه له ، فلما أخذتُه عنه غنيته إياه ليسمعه مني ، فاستحسنه جداً وقال : كأني والله ما سمعتهُ قطُّ إلا منك ثم كان صوتُه بعد ذلك على نسبة هذا الصوت .

[مع ابن بُسْخُنَّر وشارية ومخارق وعلويه]

أخبرني علي بن إبراهيم الكاتب قال حدثنا عبيد الله بن عبد الله بن خُرْداذْبه قال حدثني محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر قال : وجه إليَّ إبراهيم بن المهدي يوماً يدعوني ، وذلك في أول خلافة المعتصم ، فصرتُ إليه وهو جالس وحدَه وشاريةُ جاريته خلفَ السِّتارة ، فقال : إني قلتُ شعراً وغنيت فيه وطرحتُه على شارية فأخذتْه وزعمت أنها أحذق به مني ، وأنا أقول إني أحذق به منها ، وقد تَراضَيْنا بك حَكَماً بيننا لموضعك من هذه الصناعة ، فاسمعه مني ومنها واحكم ولا تَعْجَل حتى تَسْمَعَه ثلاثَ مرات . فقلت نعم . فاندفع يغني بهذا الصوت : [من الطويل]

أضَنُّ بلَيْلى وهي غيرُ سَخِيةٍ ... وتَبْخَلُ ليلى بالهوى وأَجودُ

فأحسن وأجاد . ثم قال لها : تَغَنَّيْ ، فغنته فبَرَّزتْ فيه حتى كأنّه كان معها في أبيجاد ، ونظر إليَّ فعرف أني قد عرفتُ فضلَها عليه ، فقال : على رِسْلِك ! وتحدثنا ساعةً وشَرِبنا . ثم

---

1 مطلع قصيدة لذي الرمة ، ص 340 (طبعة دار صادر) .

اندفع فغناه ثانية فأَضْعف في الإحسان ، ثم قال لها : تَغَنَّيْ ، فغنت فبرَعت وزادت أضعافَ زيادته ، وكِدْتُ أَشُق ثيابي طرباً . فقال لي : تَثَبَّتْ ولا تَعْجَل . ثم غناه ثالثة فلم يُبْق غايةً في الإحكام ، ثم أمرها فغنت ، فكأنّه إنما كان يلعب . ثـم قـال لي : قل ، فقضيت لها ؛ فقال : أصبتَ ، فكم تُساوي عندك الآن ؟ فحمَلني الحسدُ له عليها والنَّفاسةُ بمثلها أنْ قلتُ : تُساوي مائةَ ألف درهم . فقال : أَوَ ما تُساوي على هذا الإحسان وهذا التفضيل إلا مائة ألف ! قَبح اللهُ رأيَك ! والله ما أجِد شيئاً أبلغَ في عقوبتك من أن أَصْرِفك ، قم فانصرِفْ إلى منزلك مذموماً . فقلت له : ما لقولك اخْرُجْ من منزلي جواب ، وقمت وانصرفتُ ، وقد أحْفَظني كلامُه وأَرْمَضَني . فلما خطوت خُطواتٍ التفتُّ إليه فقلت له : يا إبراهيم ! أَتَطْرُدني من منزلك ! فوالله ما تُحسن أنت ولا جاريتُك شيئاً . وضرَب الدَّهرُ ضرَبانه ، ثم دعانا المعتصمُ بعد ذلك وهو بالوزيرية في قصر التل[1] ، فدخلتُ أنا ومخارق وعلويه ، وإذا أميرُ المؤمنين مُصْطَبِحٌ وبين يديه ثلاثُ جاماتٍ : جامُ فضة مملوءةٌ دنانيرَ جُدُداً ، وجامُ ذهب مملوءة دراهم جُدُداً ، وجامُ قواريرَ مملوءةٌ عنبراً ، فظننا أنها لنا بل لم نَشُك في ذلك ، فغنَّيناه وأُجهدنا أنفُسنا ، فلم يطرب ولم يتحرك لشيء من غنائنا . ودخل الحاجبُ فقال : إبراهيم بن المهدي . فأُذِن له فدخل ، فغناه أصواتاً أحسنَ فيها ، ثم غناه بصوت من صنعته وهو : [من البسيط]

ما بالُ شَمْسِ أبي الخَطَّابِ قد غَرَبَتْ   يـا صاحبيَّ أظـنُّ الساعـةَ اقتربتْ

فاستحسنه المعتصمُ وطرِب له ، وقال : أحسنتَ والله ؟ فقال إبراهيم : يا أمير المؤمنين فإن كنتُ أحسنتُ فهَبْ لي إحدى هذه الجامات ؛ فقال : خذ أيتها شئتَ ، فأخذ التي فيها الدنانير ؛ فنظر بعضُنا إلى بعض . ثم غناه إبراهيم بشعر له وهو : [من المتقارب]

فمـا مُـزةٌ قهـوةٌ قَرْقَفٌ   شَمُولٌ تَـروقُ بِرَاوُوقِها[2]

فقال : أحسنت والله يا عمّ وسَرَرْتَ . فقال : يا أمير المؤمنين إن كنتُ أحسنتُ فهَب لي جاماً أُخرى ؛ فقال : خذ أيتهما شئتَ ، فأخذ الجامَ التي فيها الدراهم ؛ فعند ذلك انقطع رجاؤنا منها . وغناه بعد ساعة : [من الطويل]

أَلا ليتَ ذاتَ الخالِ تَلْقى من الهوى   عَشِيرَ الذي أَلْقـى فيَلْتئـمَ الحـبُّ[3]

فارتَج بنا المجلسُ الذي كنا فيه ، وطرِب المعتصمُ واستخفه الطربُ فقام على رجليه ، ثم

1 ل : قصر الليل .

2 الراووق : باطية الخمر .

3 ألقى في ل : نلقى . والعشير : جزء من عشرة ، ويعني القدر القليل .

جلس فقال : أحسنتَ والله يا عمّ ما شئتَ ؛ قال : فإن كنتُ قد أحسنتُ يا أمير المؤمنين فهَبْ لي الجام الثالثة ؛ فقال : خُذْها فأخذها . وقام أمير المؤمنين ، ودعا إبراهيمُ بمنديل فثَناه طاقَتَيْن ووضع الجامات فيه وشَدَّه ، ودعا بطين فختَمه ودفَعه إلى غلامه ، ونهضنا إلى الانصراف ، وقُدِّمتْ دوابُّنا . فلما ركِب إبراهيم التفتَ إليَّ فقال : يا محمد بن الحارث ، زعمتَ أني لا أُحسن أنا وجاريتي شيئاً ، وقد رأيتَ ثمرة الإحسان . فقلتُ في نفسي : قد رأيتُ ، فخُذْها لا بارك الله لك فيها ؛ ولم أُجِبْه بشيء .

نسبة هذه الأصوات

صوت

[من البسيط]

ما بالُ شمسِ أبي الخطّابِ قد غَرَبَتْ يا صاحبي أظـنُّ الساعةَ اقتربَتْ
أم لا فمـا بالُ ريحٍ كنـتُ آمُلُها غدتْ عليَّ بِصِرٍّ بعد مـا خُبِئَتْ[1]
أشكو إليك أبا الخطاب جاريـةً غريـرةً بفؤادي اليـوم قد لَعِبتْ
رأيـتُ قَيِّمَهـا يومـاً يحدِّثها يا ليتَها قَرُبَتْ منّـي ومـا بَعُدَتْ

الشعر والغناء لإبراهيم بن المهدي رملٌ بالبنصر . وفيه هَزَج بالبنصر ، ذكر عمرو بن بانة أنّه لإبراهيم الموصلي ، وذكر غيرُه أنه لإبراهيم بن المهدي .

صوت[2]

[من الطويل]

ألا ليتَ ذاتَ الخال تَلْقى من الهوى عَشِيرَ الذي أُلْقى فيلتئـمَ الحبُّ
وِصالُكُمُ صَـدٌّ وقربُكُـمُ قِلًـى وعطفُكُمُ سُخْطٌ وسِلْمُكُمُ حَرْبُ

الشعر للعباس بن الأحنف . والغناء لإبراهيم .

[شعره في باقة نرجس]

وقال ابن أبي طاهر حدثني المؤمل بن جعفر قال : سمِعتُ أبي يقول : كانت في يد المعتصم باقةُ نرجس فقال لإبراهيم بن المهدي : يا عَمّ قل فيها أبياتاً وغنِّ فيها . فنكَت في الأرض بقضيبٍ في يده هنيهةً ثم قال : [من المتقارب]

1 ريح صر : شديدة الصوت والبرد .

2 ديوان العباس بن الأحنف : 34 .

صوت

ثلاثُ عيونٍ من النَّرْجِسِ   علـى قائمٍ أخضَرٍ أمْلَسِ
يُذَكِّرْنَني طِيبَ ريّا الحَبيبِ   فيَمْنَعْنَنِـي لَـذّةَ المجلسِ

وصنع فيه لحناً وغناه به ، فأعجبه وأمَر له بجائزة . لحنُ إبراهيم في هذين البيتين خفيفُ رمل بالبنصر ، ذكر لي ذُكاءُ وغيرُه ذلك .

[استعطافه المأمون]

أخبرني علي بن سليمان الأَخْفش قال حدثني محمد بن يزيد النحوي عن الجاحظ ، وأخبرني به محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا يَموتُ بن المُزَرِّع عن الجاحظ قال : أرسل إليَّ ثُمامةُ[1] يوم جلس المأمونُ لإبراهيمَ بن المهدي وأمَر بإحضار الناس على مراتبهم فحضروا فجيء بإبراهيم ، وأخبرني عمي قال حدثنا الحسن بن عُلَيْل قال حدثني محمد بن عمرو الأنباري من أبناء خُراسان قال : لما ظفِر المأمون بإبراهيم بن المهدي أحبَّ أن يوبِّخه على رؤوس الناس . قال : فجِيءَ بإبراهيم يَحْجِلُ في قيوده ، فوقف على طرَف الإيوان وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاتُه . فقال له المأمون : لا سلم الله عليك ولا حفَظك ولا رعاك ولا كَلأَك يا إبراهيم . فقال له إبراهيم : على رِسْلك يا أمير المؤمنين ؛ فلقد أُصبحتَ وليَّ ثأْري ، والقدرةُ تُذْهِبُ الحَفِيظةَ ، ومن مَدَّ له الاغترارُ في الأمل هَجَمَتْ به الأَناةُ على التَّلَف . وقد أصبح ذنبي فوق كل ذنب ، كما أن عفوك فوق كل عفو ، وقال الحسن بن عُلَيْـل في خبره : وقد أصبحت فوق كل ذي ذنـب ، كما أصبح كلُّ ذي عفو دونك ، فإن تُعاقبْ فبحقك ، وإن تَعْفُ فبفضلك . قال : فأطرق ملياً ثم رفع رأسَه فقال : إن هذين أشارا عليَّ بقتلك . فالتفتَ فإذا المُعْتصِم والعباس بن المأمون ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أما حقيقة الرأي في مُعْظَم تدبير الخلافة والسياسة فقد أشارا عليك به وما غَشاك إذ كان ما كان مني ، ولكن الله عودك من العفو عادةً جريتَ عليها دافعاً ما تَخافُ بما ترجو ، فكفاك الله . فتبسم المأمون وأقبل على ثُمامة ثم قال : إنَّ من الكلام ما يفوق الدر ويغلب السِّحْر ، وإن كلام عمي منه ، أَطْلِقوا عن عمي حديدَه[2] ورُدوه إليَّ مُكَرَّماً . فلما رُدَّ إليه قال : يا عَمّ صِرْ إلى المنادمة وارْجعْ إلى الأنس ، فلن ترى مني أبداً إلا ما تحب . فلما كان من الغد بعث إليه بدَرْجٍ[3] فيه :   [من الكامل]

---

1 المقصود هو ثمامة بن أشرس أحد معتزلي البصرة .

2 ل : قيوده .

3 الدرج : ما يكتب فيه .

يـا خيرَ مَـن ذَمَلتْ يمانِيَةٌ بـه ... بعـدَ الرسولِ لآيسٍ أو طـامعِ
وأبرَّ مَـنْ عبـدَ الإلهَ على الهُدَى ... نفساً وأحكَمَـه بحـقٍّ صادعِ[1]
عَسَلُ الفوارع ما أطِعْتَ فإن تُهَجْ ... فالموتُ في جُـرَعِ السِّمام النَّاقعِ[2]
متيقِّظاً حَذِراً ومـا يَخْشى العدا ... نَبْهانَ مـن وَسَناتِ ليـلِ الهاجعِ
واللهُ يعلـمُ مـا أقـولُ فإنهـا ... جَهْـدُ الأليـةِ من حَنِيفٍ راكعِ
قَسَماً ومـا أُدلي إليـكَ بحُجةٍ ... إلا التضرُّعَ مـن محـبٍّ خاشعِ
مـا إن عصيتُك والغُواةُ تَمُدّني ... أسبابُهـا إلا بنيـةِ طـائعِ
حتى إذا عَلِقتْ حبائـلُ شِقْوتي ... بِردىً على حُفَـرِ المهالكِ هائعِ[3]
لم أدرِ أنَّ لمثـلِ ذنبـي غافـراً ... فأقمتُ أرْقُب أيَّ حَتْفٍ صارعي
رَدَّ الحيـاةَ إليَّ بعـدَ ذَهابها ... وَرَعُ الإمـامِ القاهـرِ المُتـواضعِ
أحيـاكَ مَـنْ ولاك أطـولَ مدةٍ ... ورمـى عدوَّك في الوَتِـين بقاطعِ
إن الذي قَسَم الفضائلَ حازهـا ... في صُلْـبِ آدمَ للإمـامِ السابعِ
كم مـن يَـدٍ لكَ لا تحدثني بها ... نفسي إذا آلـتْ إليَّ مطـامعي
أسديتَهـا عفـواً إليَّ هنيئـةً ... فشكرتُ مُصْطَنَعاً لأكـرم صانعِ
ورَحِمتَ أطفـالاً كأفـراخِ القَطا ... وعَويـلَ عانِسةٍ كقـوسِ النَّازعِ
وعفوتَ عمّن لم يكـنْ عن مثلِه ... عفـوٌ ولَـمْ يشفَـعْ إليك بشافعِ
إلا العُلُو عـن العقوبـةِ بعدَ مـا ... ظفِرت يداك بمستكِينٍ خاضعِ

قال : فبكى المأمون ثم قال : عليَّ به ، فأُتي به فخلَع عليه وحمَله وأمر له بخمسة آلاف دينار ، ودعا بالفراش فقال له : إذا رأيتَ عمي مُقْبلاً فاطرَحْ له تُكَأةً ، فكان يُنادمه ولا يُنكر عليه شيئاً . ورُوي بعضُ هذا الخبر عن محمد بن الفضل الهاشمي فقال فيه : لما فرَغ المأمونُ من خطابه دفعه إلى ابن أبي خالد الأَحْوَل[4] وقال : هو صديقك فخُذْهُ إليك . فقال : وما تُغني صداقتي عنه وأميرُ المؤمنين ساخطٌ عليه ! أمَا إني وإن كنتُ له صديقاً لا أمتنع من قول الحق فيه . فقال له : قُلْ فإنك غيرُ متَّهم . قال وهو يُريد التسلُّقَ على العفو عنه : إن قتلتَه فقد قتلتِ

1 نفساً في ل : غيباً .
2 الشطر الثاني في رواية الطبري : «فالصاب يمزج بالسمام الناقع» .
3 الهائع : هنا المنتشر .
4 هو أحمد بن أبي خالد الأحول ، كان المأمون يثق به .

الملوكُ قبلَك أقل جُرْماً منه ، وإن عفوتَ عنه عفوتَ عمن لم يُعْفَ قبلَك عن مثله . فسكتَ المأمونُ ساعةً ثم تمثَّل[1] : [من الكامل]

فلئن عفــوتُ لأعْفُوَنْ جَلَلاً ولئن سطوتُ لأُوهِنَنْ عَظْمِي
قَوْمِي هُــمُ قتلوا أُمَيْمَ أخي فإذا رميــتُ أصابَني سَهْمِي

خُذْه يا أحمد إليك مُكَرما ، فانصرفَ به . ثم كتب إلى المأمون قصيدتَه العينية . فلما قرأها رق له وأمر برده إلى منزله وردّ ما قُبِض منه من أمواله وأملاكه . وفي خبر عمي عن الحسن بن عُلَيْل قال : حدثني محمد بن إسحاق الأَشْعَري عن أبي داود : أن المأمون تقدم إلى محمد بن يزداد لما أطلقَ إبراهيمَ أن يمنعه دارَي الخاصة والعامة ، ويُوكِّل به رجلاً من قِبَله يَثِق به ليعرِّفه أخبارَه وما يَتكلم به . فكتب إليه الموكَّل به أن إبراهيم لما بلغه منعُه من دارَي الخاصة والعامة تمثل : [من البسيط]

يا سَرْحةَ الماء قد سُدت مَوارِدُهُ أمَا إليكِ طريقٌ غيرُ مَسْدُودِ
لِحائمٍ حـامَ حتى لا حِيامَ له مُحلأٍ عن طريقِ المـاء مَطْرودِ

فلما قرأها المأمون بكى وأمر بإحضاره من وقته مكرَّماً وإنزالِه في مرتبته ؛ فصار إليه محمد فبشَّره بذلك وأمره بالركوب فركِب . فلما دخل على المأمون قبَّل البِساطَ ثم قال : [من البسيط]

البِرُّ بي منك وَطَّا العُذْرَ عندكَ لي دونَ اعتذاري فلم تَعْذُلْ ولم تَلُمِ
وقام علمُكَ بي فاحتج عندكَ لي مقــامَ شاهِــدِ عَــدْلٍ غيرِ مُتَّهَمِ
رددتَ مــالي ولم تَمْنُنْ عليَّ بــه وقبلَ رَدِّكَ مالي قــد حقَنتَ دمي
تعفو بعَدْلٍ وتسطو إن سطوتَ به فــلا عَدِمناكَ مــن عافٍ ومُنْتَقِمِ
فبــؤتُ منــكَ وقــد كافأتها بيد هي الحياتانِ من موتٍ ومن عَدَمِ

فقال له : اجلس يا عمّ آمِناً مطمئناً ، فلن ترى أبداً مني ما تكره ، إلا أن تُحْدِثَ حَدَثاً أو تتغير عن طاعة ؛ وأرجو ألاّ يكون ذلك منك إن شاء الله .

[براعته في المحاضرة]

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني ابن حمدون عن أبيه قال : كنت أُحِب أن أجمع بين إبراهيم بن المهدي وأحمد بن يوسف الكاتب بما كنت أراه من تقدُّم أحمد وغَلَبَتِه الناسَ جميعاً بحِفْظه وبلاغته وأدبِه في كل مَحْضَر ومجلِس . فدخلتُ يوماً على إبراهيم بن المهدي

1 ل : «فنكت المأمون ساعة بيده» . والبيتان اللذان تمثل بهما للحارث بن وعكة الذهلي (شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : 204) .

وعنده أحمد بن يوسف وأبو العالية الخَزَري ، فجعل إبراهيم يحدثنا فيُضيف شيئاً إلى شيء ، مرةً يُضْحكنا ومرَّة يَعِظُنا ومرَّة يُنْشِدنا ومرة يُذَكِّرنا ، وأحمد بن يوسف ساكت . فلما طال بنا المجلسُ أردتُ أن أُخاطب أحمد ، فسَبَقَني إليه أبو العالية فقال : [من الرجز]

ما لكَ لا تَنْبَحْ يا كلبَ الدَّوْمْ قد كنتَ نَبَّاحاً فما لك اليَوْمْ[1]

فتبسم إبراهيم ثم قال : لو رأيتني في يد جعفر بن يحيى لَرَحِمْتَني كما رَحِمتَ أحمدَ مني .

[ثناء إسحاق عليه]

أخبرني يحيى بن علي قال حدثني أبي قال قال لي إسحاق : ليس فيمن يدَّعي العلمَ بالغناء مثلُ إبراهيم بن المهدي وأبي دُلَف القاسم بن عيسى العِجْلي . فقيل له : فأين محمد بن الحسن بن مُصْعب منهما ؟ فقال : لو قيل لك إن محمد بن الحسن يُبصر الغناء لكان ينبغي لك أن تقول : وكيف يُبْصر الغناء من نَشَأَ بخُراسان لا يَسمع من الغناء العربي إلا ما لا يفهمه ! .

[إقرار ابن بانة له ولإسحاق]

أخبرني يحيى قال حدثني أبو العَنْبَس بن حَمْدون عن عمرو بن بانة قال : رأيت إسحاق الموصلي يُناظر إبراهيم بن المهدي في الغِناء ، فتكلما فيه بما فَهماه ولم نفهم منه شيئاً . فقلت لهما : لئن كان ما أنتما فيه من الغِناء فما نحن منه في قليل ولا كثير .

[تفضيل المأمون غناءه على غناء إسحاق]

أخبرني عمي عن علي بن محمد بن نصر عن جده حَمْدون : أن المأمون قال لإسحاق : غنِّني لحنَك في شعر الأخطل : [من البسيط]

يا قَلَّ خيرُ الغَوانِي كيفَ رُغْنَ به فشِرْبُـــهُ وَشَلٌ منهــنَّ تَصْرِيــدُ[2]

فغناه إياه فاستحسنه ، ثم قال لإبراهيم بن المهدي : هل صنعتَ في هذا الشعر شيئاً ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : فهاته ؛ فغناه فاستحسنه المأمون وقدمه على صنعة إسحاق ، ولم يدفع إسحاقُ ذلك .

[علمه إسحاق لحناً طرب له الأمين]

أخبرني أبو الحسن علي بن هارون بن علي بن يحيى قال ذكر أبي عن جدي عن عبد الله بن عيسى الماهاني قال : دخلتُ يوماً على إسحاق بن إبراهيم الموصلي في حاجة ، فرأيتُ عليه مُطْرفَ خَزٍّ أسود ما رأيت قطُّ أحسن منه ؛ فتحدثنا إلى أن أخذنا في أمر المِطْرف فقال : لقد كانت لكم أيام حسنة ودولةٌ عجيبةٌ ، فكيف ترى هذا ؟ فقلت له : ما رأيتُ مثلَه . فقال : إن قيمته مائة ألف

---

1 نباحاً في ل : هراراً .

2 الوشل : القليل . والتصريد : السقي دون الري .

درهم ، وله حديث عجيب . فقلت له : ما أُقوِّمه إلا نحواً من مائة دينار . فقال إسحاق : اسمع حديثَه : شربنا يوماً من الأيام ، فبتُّ وأنا مُثْخَن ، فانتبهت لرسول محمد الأمين ، فدخل علي فقال لي : يقول لك أمير المؤمنين عجِّلْ إليَّ ، وكان بخيلاً على الطعام فكنتُ آكُل قبل أن أذهب إليه ، فقمتُ فتسوكتُ وأصلحتُ أمري ، وأعْجَلني الرسول عن الغداء . فدخلت عليه وإبراهيم بن المهدي جالس عن يمينه وعليه هذا المطرف وجُبة خز دَكْناء . فقال لي محمد : يا إسحاق تغدَّيت ؟ فقلت : نعم يا سيِّدي . فقال : إنك لَنَهمٌ ، أهذا وقت غَداء ؟ فقلت : أصبحتُ يا أمير المؤمنين وبي خُمار ، فكان ذلك مما حَداني على الأكل . فقال لهم : كم شَرِبنا ؟ فقالوا : ثلاثة أرطال . فقال : اسقوه مثلَها . فقلت : إن رأيتَ أن تفرِّقها عليَّ ؛ فقال : تُسْقى رِطلين ورِطلاً . فدُفِع إليَّ رِطلان فجعلتُ أشربهما وأنا أتوهم أن نفسي تَسيل معهما ، ثم دُفع إليَّ رطلٌ آخر فشربتُه فكأن شيئاً انجلى عني . فقال غنِّني : [من الطويل]

كُلَيْبٌ لَعَمْرِي كان أكثرَ ناصِراً وأيْسَرَ جُرْماً منكَ ضُرِّجَ بالدَّمِ

فغنَّيتُه ؛ فقال : أحسنتَ وطرِب ، ثم قام فدخل . وكان يفعل ذلك كثيراً ، يدخل إلى النساء ويدَعُنا . فقمتُ في أثر قيامه فدعوتُ غلاماً لي فقلت : اذهب إلى منزلي وجئني بِبزْماوَرْدَتَيْن[1] ولُفَّهُما في منديل واذهب رَكْضاً وعجِّل . فمضى الغلامُ فجاءني بهما . فلما وافى البابَ ونزل عن الدَّابة انقطع البِرْذَوْنُ فنَفَق من شدة ما رَكَضه ، فأدخلَ إليَّ البِزْماوَرْدَتَيْن فأكلتُهما ورجعَتْ إليَّ نفسي وعُدْتُ إلى مجلسي . فقال لي إبراهيم : إن لي إليك حاجة أُحب أن تقضيها لي . فقلت : إنما أنا عبدُك وابن عبدِك ، قل ما شئتَ . قال : تَرُد عليَّ : [من الطويل]

كُلَيْبٌ لَعَمْـرِي كان أكثرَ ناصِـراً

وهذا المِطْرفُ لك . فقلت : أنا لا آخُذ منك مِطْرفاً على هذا ، ولكني أصير إليك إلى منزلك فأُلقيه على الجواري وأرده عليك مراراً . فقال : أُحِب أن ترده عليَّ الساعة وأن تأخذَ هذا المطرَف فإنه من لُبْسك ومن حاله كذا وكذا . فرددتُ عليه الصوتَ مراراً حتى أخذه . ثم سمِعنا حركةَ محمد فقمنا حتى جاء فجلس ثم قعدنا ، فشرِب وتحدثنا . فغناه إبراهيم : [من الطويل]

كُلَيْبٌ لَعَمْـرِي كان أكثرَ ناصِـراً

فكأني والله لم أَسمعه قبل ذلك حسناً ، وطرِب محمد طرباً عجيباً وقال : أحسنتَ والله يا عم ؛ أَعْطِ يا غلام عَشْرَ بِدَرٍ لعمي الساعةَ ، فجاءوا بها . فقال : يا أمير المؤمنين إن لي فيها شريكاً . قال : ومن هو ؟ قال : إسحاق . قال : وكيف ؟ قال : إنما أخذتُه الساعةَ منه لما

---

1 البزماورد : طعام يصنع من اللحم المقلي بالزبد والبيض .

قمتَ . فقلت له : ولِمَ ؟ أضاقت الأموال على أمير المؤمنين حتى يُشرِكك فيما تُعْطاه ؟ قال : أما أنا فأُشْرِكك وأميرُ المؤمنين أعلم . فلما انصرفنا من المجلس أعطاني ثلاثين ألفاً وأعطاني هذا المطرف . فهذا أُخذ به مائة ألف درهم وهي قيمتُه .

[قصته مع جارية في المدينة]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرزبان قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال قال لي إبراهيم بن المهدي : حَجَجْتُ مع الرشيد ؛ فلما صرنا بالمدينة خرجتُ أدور في عَرَصاتها ، فانتهيت إلى بئر وقد عَطِشتُ وجاريةٌ تستقي منها ، فقلت : يا جارية ، امْتَحِي لي دَلْواً . فقالت : أنا والله عنك في شُغْل بضَرِيبة مَواليَّ عليَّ . فنقَرتُ بسوطي على سَرْجي وغنيتُ[1] : [من البسيط]

صوت

رامَ قلبي السُّلُوَّ عن أسماء … وتَعَزى وما بِه من عَزاء

سُخْنَةٌ في الشتاء باردةُ الصيـ … ـفِ سِراجٌ في الليلةِ الظلماء

كفِّناني إن مُتُّ في دِرْعِ أَرْوَى … وامْتَحا لي من بئرِ عُرْوَةَ مائي

الشعر للأحوص . والغناء لمعبد رمل مُطلَق في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وتمام هذه الأبيات : [من الخفيف]

إنّني والذي تَحُجُّ قريشٌ … بيتَه سالكينَ نَقْبَ كَداء[2]

لَمُلِمٌّ بها وإنْ أُبْتُ منها … صادراً كالذي وَرَدْتُ بداء

ولها مَرْبَعٌ ببُرْقَة خاخٍ … ومَصِيفٌ بالقصرِ قصرِ قُباء[3]

قلبتْ لي ظهرَ المِجَنِّ فأمستْ … قدْ أطاعتْ مقالةَ الأعداء

ولمعبد أيضاً في البيت الأخير من هذه الأبيات ثم الأول والثاني خفيفُ ثقيلٍ عن الهِشامي . ولابن سُرَيج في :

ولها مَرْبَعٌ ببُرْقَة خاخٍ

و

كفِّناني إن متّ في درعِ أَرْوَى

رمل عن الهشامي أيضاً . ولإبراهيم في : «رام قلبي» وما بعده ثاني ثقيلٍ عن حَبَش ، قال

---

1 شعر الأحوص : 122 .

2 كداء : موضع بأعلى مكة .

3 برقة خاخ وقباء موضعان قرب المدينة .

إبراهيم بن المهدي في الخبر : فرفعتِ الجاريةُ رأسَها إليَّ فقالت : أتعرفُ بئر عُرْوَةَ ؟ قلت لا . قالت : هذه والله بئر عُرْوة ، ثم سقَتْني حتى رَوِيتُ ، وقالت : إنْ رأيتَ أن تُعيده ففعلتُ ، فطرِبْتْ وقالت : والله لأحْمِلنَّ قِرْبةً إلى رَحْلك ! . فقلت : افعلي ، ففعلَتْ وجاءت معي تحملها . فلما رأتِ الجيش والخدمَ فزِعتْ . فقلت لها : لا بأس عليكِ ! وكسوتُها ووهبتُ لها دنانيرَ وحبستُها عندي ، ثم صِرت إلى الرشيد فحدثْتُه حديثَها ؛ فأمر بابتياعها وعِتْقها ؛ فما بَرِحتْ حتى اشتُريتْ وأُعتقت ؛ وأخذتُ لها منه صلةً وافترقنا .

[استعطافه المأمون بكلام سعيد بن العاص لمعاوية]

حدثني علي بن سليمان الأخفش ومحمد بن خَلَف بن المَرزبان قالا حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال حدثنا الفضل بن مروان قال : لما أُدْخِل إبراهيم بن المهدي على المأمون وقد ظَفِر به ، كلمه إبراهيم بكلام كان سعيد بن العاص كلَّم به معاويةَ بن أبي سفيان في سَخْطةٍ سَخِطها عليه واستعطفه به . وكان المأمون يحفظ الكلام ، فقال له المأمون : هيهاتَ يا إبراهيم ! هذا كلامٌ سَبَقك به فَحْلُ بني العاص بن أُمية وقارِحُهم سعيد بن العاص وخاطَب به معاوية . فقال له إبراهيم : مَهْ يا أمير المؤمنين . وأنت أيضاً إن عفوتَ فقد سبقك فَحْلُ بني حَرْبٍ وقارِحُهم إلى العفو ؛ فلا تكن حالي عندك في ذلك أبعدَ من حال سعيد عند معاوية ، فإنك أشرفُ منه ، وأنا أشرف من سعيد ، وأنا أقرب إليك من سعيد إلى معاوية ، وإن أعظم الهُجْنة أن تسبِق أمية هاشماً إلى مَكْرُمة . فقال : صدقتَ يا عمّ ، وقد عفوتُ عنك .

[استعطافه الأمين]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرزُبان قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال : جرى بين محمد الأمين وبين إبراهيم بن المهدي كلامٌ على النبيذ ، فوجد عليه محمد . فلما كان بعد أيام بعث إليه إبراهيم بألْطافٍ فلم يقبلها ؛ فوجه إليه وصيفةً مليحة مغنِّية معها عود معمول من عود هندي ، وقال هذه الأبيات وغنَّى فيها وألقاها عليها حتى أخذت الصنعةَ وأحكَمَتْها ، ثم وجه بها إليه . فوقفت الجارية بين يديه وقالت له : عمك وعبدُك يا أمير المؤمنين يقول لك ، واندفعتْ تغنِّي بالشعر وهو : [من المتقارب]

هَتَكْتَ الضميرَ بـردِّ اللَّطَف ... وكشَّفتَ هجرَكَ لي فانْكَشف

وإنْ كنتَ تُنكرُ شيئاً جـرى ... فَهَبْ للخلافةِ مـا قد سَلَف

وجُدْ لي بصفحكَ عن زَلتـي ... فالبفضلِ يأخذُ أهـلُ الشرفْ

قال : فسُرَّ محمدٌ بها ، وبعث إلى إبراهيم فأحضره ورضي عنه وأمر له بخمسة آلاف دينار وتمَّم يومَه معه .

[صالح جاريته صدوف]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرزبان قال أخبرني سعيد بن صالح الأَسَدي قال حدثني جعفر بن محمد الهاشمي قال حدثني بعض خدم إبراهيم بن المهدي قال : كانت لإبراهيم بن المهدي جارية يقال لها صَدُوف ، وكان لها من نفسه موضع . فحسدها جواريه على محلها منه ، فلم يَزَلْنَ يُبلغنه عنها ما يَكْره حتى غضِب عليها وجفاها أياماً ؛ ثم شقَّ ذلك عليه واغتمَّ به ، ولم يطِب نفساً بمراجعتها وصُلْحِها . فدخل عليه الأعرابي أخو مُعَلِّلة صاحبة الفضل بن الربيع ، وكان حسنَ الشِّعْر حُلْوَ اللفظ فصيحاً ، وكان إبراهيم يأنَس به ، فقال له : ما لي أرى الأمير منكسراً منذ أيام ؟ فأمسك . فقال : قد عرفتُ حالَ الأمير وقلتُ في أمره أبياتاً إن أذِن لي أنشدتُه إياها . فتبسم وقال : هاتِ ؛ فأنشده[1] : [من الكامل]

أَعَتَبْتَ أم عتبتْ عليك صَدُوفُ ... وعِتابُ مثلِكَ مثلَها تشريفُ
لا تَقْعُدنَّ تلومُ نفسَكَ دائباً ... فيها وأنتَ بحبِّها مشغوفُ
إنَّ الصَّريمةَ لا يَنُوء بحَمْلِها ... إلا القويُّ بها وأنتَ ضعيفُ

فاستحسن إبراهيم الأبيات وأمر له بمائتي دينار ، وبعث إلى صَدُوف فخرجتْ إليه ورضي عنها ، وبعثتْ إليه صَدُوفُ بمائة دينار .

[ريّق تحفظ كل غنائه]

أخبرني الحسين بن القاسم الكَوْكَبي قال حدثني أحمد بن علي بن حُمَيْدة قال حدثتني رَيِّقُ قالت : مرِض إبراهيم بن المهدي مَرْضَةً أشرفَ منها على الموت ، فجعل يتذكر شغفه بالغِناء وما سلَف له فيه ويتندَّم عليه . فقال له بعض مَن حضر : تُبْ وأحرِقْ دفاترَ الغِناء . فحرك رأسه ساعة ثم قال : يا مجانين ! فهَبْني أحرقتُ دفاتر الغِناء كلَّها ، رَيِّقُ أَيْشٍ أعمَل بها ؟ أأقتُلها وهي تحفَظ كلَّ شيء في دفاتر الغناء !! .

[رأى علياً في النوم]

أخبرني جعفر بن قُدامة والحسين بن القاسم الكَوْكَبي قال حدثني المُبَرد عن أحمد بن الربيع عن إبراهيم بن المهدي قال : رأيتُ علي بن أبي طالب رضي الله عنه في النوم ، فقلت له : إن الناس قد أكثروا فيك وفي أبي بكر وعمر ، فما عندك في ذلك ؟ فقال لي : إخْسأ ! ولم يَزِدْني على ذلك . وأخبرني الكَوْكَبي بهذا الخبر عن الفضل بن الربيع عن أبيه قال : كان إبراهيم شديدَ الانحراف عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ؛ فحَدَّث المأمونَ يوماً أنه رأى علياً في النوم ، فقال له : من

1 مرّت هذه الحكاية والشعر (أربعة أبيات) في أخبار الوليد بن يزيد منسوبة إليه وكان الذي دخل عليه رجلاً قرشياً من المدينة ، 7 : 37 .

أنت ؟ فأخبره أنه علي بن أبي طالب . قال : فمشَيْنا حتى جئنا قنطرةً فذهب يتقدمني لعبورها ؛ فأمسكتُه وقلت له : إنما أنت رجلٌ تَدعي هذا الأمر بامرأة ونحن أحق به منك ؛ فما رأيتُ له في الجواب بلاغةً كما يُوصف عنه . فقال : وأيُّ شيء قال لك ؟ فقال : ما زادني على أن قال سلاماً سلاماً . فقال له المأمون : قد والله أجابك أبلَغ جواب . قال : وكيف ؟ قال : عرَّفك أنك جاهلٌ لا يُجاوَب مثلُك ؛ قال الله عز وجل : ﴿وإذا خاطَبَهُمُ الجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً﴾ . فخجِل إبراهيم وقال : ليتني لم أحدثك بهذا الحديث .

[تمنى له الأمين طول العمر]

أخبرني الكَوْكَبي قال حدثني المفضَّل بن سَلَمة عن هبة الله بن إبراهيم بن المهدي عن أبيه قال : قلت للأمين يوماً : يا أمير المؤمنين جعلني الله فداءك ! فقال : بل جعلني الله فداءك ؛ فأعظمتُ ذلك . فقال : يا عم لا تُعْظِمْه فإن لي عمراً لا يزيد ولا يَنقص ؛ فحياتي مع الأحبَّة أطيبُ من تجرُّعي فقدَهم ، وليس يضرني عيش من عاش بعدي منهم .

[طرب الأمين لغنائه]

حدثني جَحظة قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي قال حدثني أبي قال : كنت يوماً بين يدَي الأمين أغنِّيه ؛ فغنَّيته : [من مجزوء الكامل]

صوت

أَقْـوَتْ منازلُ بالهِضابِ   من آل هنـدٍ والرَّبابِ
خطَّـارةٌ بزِمامِهـا   وإذا وَنَتْ ذُلُل الركابِ
تَرْمِـي الحصـا بمَناسِمٍ   صُمٌّ صَلادِمَـةٍ صِلابِ

قال : فاستحسن اللَّحنَ وسألني عن صانعه ؛ فعرَّفته أن ابن جامع حدثني عن سِياط أنه لابن عائشة ؛ فلم يزل يشرب عليه لا يتجاوزه ، ثم انصرفنا ليلَتنا تلك . ووافاني رسوله حين انتبهت من النوم وأنا أُستاك ، فقال لي : يقول لك : بحياتي يا عم لا تَشْتغِلْ بعد الصلاة بشيء غير الركوب إليَّ . فصلَّيتُ وتناولتُ طعاماً خفيفاً وأنا ألبَس ثيابي خوفاً من رجوع رسوله ، ورَكِبتُ إليه . فلما رآني من بعيد صاح بي : يا عم بحياتي :

خطَّـارةٌ بزمامِها

فلما دخلت المجلس ابتدأته وغنَّيته ؛ فأمر بإحضار صَبيَّةٍ كان يتحظاها ، فأخرِجَتْ إليّ صبيةٌ كأنها لؤلؤة في يدها العود . فقال : بحياتي يا عم ألْقِه عليها ! فأعدتُه مراراً وهو يشرب ؛ حتى إذا ظننتُ أنها قد أخذته أمرتُها أن تغنّيه فغنته ، فإذا هو قد استوى لها إلا في موضع كان فيه وكان

صعباً جداً ، فجَهدتُ جَهدي أن يقع لها طلباً لَمَسَرته ، وكان حقيقاً مني بذلك ، فلم يقع لها ألبتة . ورأى جهدي في أمرها وتعذُّره عليها ، فأقبل عليها وقد سَكِر ثم قال : نُفِيتُ من الرشيد وكلُّ أَمَةٍ لي حُرَّة وعليَّ عهدُ الله لئن لم تأخُذِيه في المرة الثالثة لآمُرن بإلقائِك في دِجْلة ! قال : ودِجلةُ تطفَح وبيننا وبينها نحو ذراعين وذلك في الربيع ، فتأملتُ القصة ، فإذا هو قد سَكِر ، وإذا الجارية لا تقوله كما أقوله أبداً . فقلت : هذه والله داهية ، ويتنغص عليه يومُه وأُشْرَكُ في دمها ، فعدَلْتُ عما كنتُ أغنّيه عليه وتركتُ ما كنت أقوله ، وغنّيته كما كانتْ هي تقوله ، وجعلتُ أُردده حتى انقضت ثلاثُ مرَّات أُعيده فيها على ما كانت هي تقوله ، وأريته أني أجتهد . فلما انقضت الثلاث المرات قلت لها : هاتيه الآن ، فغنته على ما كان وقع لها . فقلت : أحسَنتْ يا أمير المؤمنين ، ورددتُه معها ثلاث مرات ، فطابت نفسُه وسكَن ، وأمر لي بثلاثين ألف درهم .

[حدث مماثل لجحظة مع طرخان]

قال جحظة : وقد لَحِقني مثلُ هذا ؛ فإن طَرْخانَ بن محمد بن إسحاق بن كنداجيق استحسن صوتاً غنَّيته وهو : [من مخلع البسيط]

أعيـانيَ الشَّادِنُ الرَّبيبُ   أكتبُ أشكو فـلا يُجيبُ
مِن أينَ أَبغي شفاءَ دائي   وإنمـا دائــيَ الطَّبيبُ

ولحنه رمل ، فقال : أُحِب أن تطرَحه على زُهرةَ جاريتي ، فمكثتُ أتردَّد إليها شهراً وأكثر وأُردِّده عليها وهو يَصِلُني ويخلَع عليَّ ويُعطيني كلَّ شيء حسن يكون في مجلسه ، فلا تأخذه منّي ولا يقع لها . فلما كان بعد شهر قلت له : أيُّها الأمير قد والله اسْتَحْيَيْتُ من كثرة ما تُعطيني بسبب هذا الصوت ، وقد أعياني أن تأخذه زُهْرَةُ ؛ ثم حدثته حديثَ إبراهيم بن المهدي وقلت له : لولا أني آمَنُك عليها لقلتُه أنا كما تقوله هي حتى نتخلّص جميعاً . وليس وحياتك تأخذه أبداً كما أقوله ولا فيه حيلة . فقال لي : فدَعْهُ إذاً .

[يبخل على ابن بُسْخُنَّر بلحن]

حدثني جحظة قال حدثني هبة الله بن إبراهيم قال حدثني محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر قال : غنى إبراهيم بن المهدي يوماً بحضرة المأمون[1] : [من الكامل]

صوت

يا صاحِ يا ذا الضَّامِرِ العَنْسِ   والرَّحْلِ ذي الأَنْساعِ والحِلْسِ

---

1 مرَّ مثل هذا الخبر منسوباً إلى مخارق .

أمّـا النّهـارُ فأنـتَ تقطعُه رَتْكاً وتُصبحُ مثلَ مـا تُمسي

في هذين البيتين لحن لمالكٍ خفيفُ ثقيلٍ عن يونس والهشامي . قال : ولمعبد فيه ثقيل أول ، وقد نسب قومٌ لحنَ كلٍّ واحد منهما إلى الآخر . قال محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر في الخبر : واللحن لمالك بن أبي السَّمْح وهو من قِصاره . هكذا في الخبر ، قال : فاستحسنه المأمون ، وذهبتُ آخذه ، ففطِنَ لي إبراهيم فجعل يزيد فيه مرَّةً وينقُص منه أُخرى بزوائده التي كان يعمَلها في الغناء ، وعلِمتُ ما هو يصنع فتركتُه . فلما قام قلت للمأمون : يا سيدي إن رأيتَ أن تأمر إبراهيم أن يُلْقي عليَّ : [من الكامل]

يا صاحِ يا ذا الضَّامِرِ العَنْسِ

قال : أفْعَلُ . فلما عاد قال له : يا إبراهيم أَلْقِ على محمد : [من الكامل]

يا صاحِ يا ذا الضَّامِرِ العَنْسِ

فألقاه عليَّ كما كان يغنِّيه مُغَيَّراً ، ثم انقضى المجلس وسكِر المأمون . فقال لي إبراهيم : قم الآن فأنت أحذقُ الناس به ، فخرجتُ وخرج . ثم جئتُه إلى منزله فقلت له : ما في الأرض أعجبُ منك ؛ أنت ابن الخليفة وأخو الخليفة وعمُّ الخليفة تبخل على وليٍّ لك مثلي لا يُفاخرك بالغِناء ولا يكاثرك بصوت ؛ فقال لي : يا محمد ما في الدنيا أضعف عقلاً منك ! والله ما استبقاني المأمون محبَّةً لي ولا صِلَةً لرَحمي ، ولكنه سمع من هذا الجِرم شيئاً فقَده مِنْ سواه فاستبقاني لذلك . فغاظني فعلُه . فلما دخلت على المأمون حدثته بما قال لي . فقال المأمون : يا محمد هذا أكفر الناس لنعمةٍ ! وأطرق ملياً ثم قال لي : لا نكدرُ على أبي إسحاق عَفْوَنا عنه ولا نقطع رَحِمَه ، فدعْ هذا الصوتَ الذي ضَنَّ به عليك إلى لعنة الله .

[يكيد لدعبل]

حدثني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويَه قال حدثني محمد بن يزيد قال : قلت لدعبل : بالله أسألك أنت القائل : [من الطويل]

كذلك أهلُ الكهفِ في الكهفِ سبعةٌ إذا حُسِبوا يومـاً وثامنُهـم كلـبُ

فقال : لا والله ! فقلت : مَنْ قاله ؟ قال : مَنْ حشا اللهُ قبره ناراً إبراهيمُ بن المهدي ، كافأني بذلك عن هجائي إياه ليُشيط بدمي .

[خطأ مخارقاً في لحن]

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال حدثنا حَمَّاد بن إسحاق قال حدثني محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر قال : لما رَضِي المأمون عن إبراهيم بن المهدي ونادمه ، دخل عليه متبذِّلاً في ثياب المغنِّين وزيِّهم . فلما رآه ضحك وقال : نزع عمي ثيابَ الكِبْر عن مَنْكِبيـه . فدخل وجلس ، وأمر المأمونُ بأن

يُخلَع عليه فأُلْبِس الخِلَعَ . ثم ابتدأ مُخارق فغنَّى : [من الطويل]

صوت

خليـلَيّ مـن كَعْـبٍ أَلِمَّا هُدِيتُما بزينبَ لا يَفْقِدْكُما أبـداً كعـبُ

مِـنَ اليـومِ زُوراهـا فإنَّ مَطِيَّنـا غداةَ غدٍ عنها وعن أهلِها نُكْبُ[1]

فقال له إبراهيم : أسأتَ وأخطأتَ . فقال له المأمون : يا عم إن كان أساء وأخطأ فأحْسِنْ أنتَ . فغنَّى إبراهيم الصوت . فلما فرغ منه قال لمخارق : أَعِدْه الآن ، فأعاده فأَحْسَنَ . فقال إبراهيم : يا أمير المؤمنين كم بين الصوت الآن وبينه في أول الأمر ؟ قال : ما أَبْعَدَ ما بينهما ! فالتفت إلى مخارقٍ ثم قال : إنما مَثَلُك يا مخارق مَثَل الثوب الوَشْي الفاخر ، إذا تغافل عنه أهلُه سقط عليه الغبار فحال لونُه ، فإذا نُفِضَ عاد إلى جوهره .

[أحسن الأسماء وأسمجها]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدثتني شاريةُ الكبرى مولاة إبراهيم بن المهدي قالت : سمعت مولاي إبراهيم بن المهدي يحدث قال : كنتُ بين يَدَي الرشيد جالساً على طَرَف حَرَّاقةٍ من حَرَّاقاتـه وهو يريد المَوْصِلَ وقد بلغنا إلى السودقانية ، والمَدَّادون يَمُدُّون السفن ، والشِّطْرَنْجُ بيني وبينه ، والدَّسْتُ متوجِّهٌ له ، إذ أطرق هُنَيْهةً ثم قال لي : يا ابنَ أُم ، ما أحسنُ الأسماء عندك ؟ قلت : محمدٌ اسم رسول الله ﷺ . قال : ثم أي شيء بعده ؟ قلت : هارون اسم أمير المؤمنين . قال : فما أَسْمَجُ الأسماء ؟ قلت : إبراهيم . فزَجَرني ثم قال : ويحك ! أتقول هذا ! أليس هو اسم إبراهيم خليل الرحمن ؟ فقلتُ له : بشُؤم هذا الاسم لَقِيَ من نَمْرُودَ ما لَقِيَ وطُرِح في النار . قال : فإبراهيم ابن النبي ﷺ ؟ قلت : لا جَرَم أنه لم يُعَمَّرْ من أجله . قال : فإبراهيمُ الإمام ؟ قلتُ بحرفة اسمه قتله مروان في حَران[2] . وأزيدك يا أمير المؤمنين : إبراهيمُ بن الوليد خُلِع ، وإبراهيمُ بن عبد الله بن حسن قُتِل ، وعمُّه إبراهيم بن حسن سقط عليه السجن فمات ، وما رأيتُ والله أحداً يُسمَّى بهذا الاسم إلا قُتِل أو نُكِب أو رأيتُه مضروباً أو مقذوفاً أو مظلوماً . ثم ما انقضى الكلام حتى سمعت ملاَّحاً يصيح بآخر : مُدَّ يا إبراهيم مُدَّ ويلك ، ثم أعاد ويلك يا إبراهيم مُدَّ ، ثم أعاد يا إبراهيم يا عاضَّ بَظر أُمِّه مُدَّ . فقلت له : أَبقيَ لك شيءٌ بعد هذا ! ليس والله في الدنيا اسم أشأم من إبراهيم والسلام . فضحِك والله حتى أشفقتُ عليه .

---

1 نُكب : مائلات .

2 ل : جراب النورة .

[عرض في غنائه بالحسن بن سهل]

حدثني جحظة قال حدثني أبو عبد الله الهشامي عن أبيه قال : دخل الحسن بن سهل على المأمون وهو يشرَب ؛ فقال له : بحياتي وبحقِّي عليك يا أبا محمد إلا شربتَ معي قَدَحاً ، وصبَّ له من نبيذه قَدَحاً . فأخذه بيده وقال له : مَنْ تُحِب أن يغنيك ؟ فأوْمأ إلى إبراهيم بن المهدي فقال له المأمون : غنِّه يا عم ؛ فغناه :

تَسْمَعُ للحَلْي وَسْواساً إذا انصرفتْ

يعرِّض به لِما كان لَحِقه من السوداء والاختلاط . فغضِب المأمون حتى ظنَّ إبراهيم أنه سيُوقِع به ، ثم قال له : أبَيْتَ إلاَّ كفراً يا أكفرَ خلقِ الله لِنِعَمِه ! والله ما حَقَن دمَك غيرُه ؛ ولقد أردتُ قَتْلَكَ فقال لي : إن عفوتَ عنه فعلتَ فعلاً لم يَسْبِقك إليه أحد ، فعفوتُ والله عنك لقوله . أفحقُّه أن تعرِّض به ولا تَدَع كيدَك ولا دَغَلك ! أوَ أَنِفْتَ من إيمائه إليك بالغِناء ؟ . فوثب إبراهيم قائماً وقال : يا أمير المؤمنين ، لم أذْهَبْ حيث ظننتَ ، ولستُ بعائد ؛ فأعرض عنه .

[جعل أحمد بن أبي دواد لا يلوم على الغناء]

أخبرني الحسين بن القاسم الكَوْكَبي قال حدثني جرير بن أحمد بن أبي دُواد قال حدثني أخي عن أبي قال[1] : كنت أتجنَّب الغِناء وأطعُن على أهله وأذمُّ لَهَجهم به ؛ فوجَّه المعتصم إليَّ عند خروجه من مدينة السلام : الْحَقْ بي ؛ فلحِقتُ به بباب الشماسيّة ومعي غلامي زنقطة ، فوجدته قد ركِب الزورق ، وسمعت عنده صوتاً أذهلني حتى سقط سوطي من يدي ولم أشعر به ، ثم احتجتُ وقد أعْنَق بي بِرْذَوْني أن أكُفَّه بسوطي . فقلت لغلامي : هاتِ سوطَك ؛ فقال : سقَط والله من يدي لما سَمِعتُ هذا الغِناء . فغلَبني الضَّحِكُ حتى بان في وجهي . ودخلتُ إلى المعتصم بتلك الحال . فلما رآني قال لي : ما يُضحككَ يا أبا عبد الله ؟ فحدثته ، فقال : أتتوب الآن من الطعن علينا في السماع ؟ فقلت له : قَبْلَ ذلك مَنْ كان يُغَنِّيك ؟ قال : عمي إبراهيم ، كان يُغَنِّيني : [من الخفيف]

إنَّ هذا الطويلَ مِن آلِ حَفْصٍ   أنْشَرَ المجدَ بعدَ ما كان ماتا

ثم قال : أعِدْه يا عم ليسمعه أبو عبد الله فإني أعلم أنه لا يَدَعُ مَذهبَه . فقلت : بلى والله لأدَعَنَّه في هذا ولا لُمتك عليه . فقال : أما إذ كانت توبته على يديك يا عم فلقد فزتَ بفخرها وعَدَلْتَ برجل ضخم عن رأيه إلى شأننا .

---

1 تقدم هذا الخبر برواية مقاربة .

[رأي مخارق في غنائه]

حدثني أحمد بن عُبيد الله بن عمار قال حدثني طَلحة بن عبد الله الطَّلْحي قال حدثني الحسين بن إبراهيم قال : كنت أسأل مخارقاً : أيُّ الناس أحسنُ غِناء ؟ فيُجيبني جواباً مجملاً حتى حفَفْتُ عليه يوماً قال : كان إبراهيم الموصلي أحسنَ غِناء من ابن جامع بعَشْر طبقات ، وأنا أحسن غناء من إبراهيم الموصلي بعشر طبقات ، وإبراهيم بن المهدي أحسنُ غناء مني بعشر طبقات . قال ثم قال لي : أحسنُ الناس غناء أحسنُهم صوتاً ، وإبراهيم بن المهدي أحسنُ الجن والإنس والوحش والطير صوتاً ، وحسبُك هذا .

[إسحاق الموصلي يطرب لصوت من لحنه وشعره]

حدثني علي بن هارون المنجِّم قال حدثني محمد بن أحمد بن علي بن يحيى قال سمعت جدي علي بن يحيى يقول حدثني محمد بن الفضل الجَرجرائي قال : انتبهت يوماً مُغَلِّساً ، فدخل إلي الغلامُ فقال لي : إسحاق الموصلي بالباب قبل أن أُصلِّي الغداةَ . فقلت : يدخل ، في الدنيا إنسان يستأذَن لإسحاق ! فدخل فقال : حملني الشوقُ إليك على أن بَكَرتُ هذا البُكور ، وقد حملتُ معي نبيذي وعمِلتُ على المُقام عندك . فقلت : مرحباً بك وأهلاً . ودعوت طباخي فسألته عما في المطبخ ، فذكر أشياءَ يَسيرةً ، منها قطعةُ جَدْي وطَباهِجُ ودُرَّاجٌ معلَّق . فقال : ما أُريد غيرَ ذلك ، هاتِه الساعةَ . فقلت للطباخ : عَجِّل بإحضاره ، وعمِلتُ على الأكل معه وعلى أن نأخذ في شأننا . فدخل حاجبي فقال : رسول الأمير إسحاق بن إبراهيم بالباب ، وإذا فُرانِقٌ يذكر أنه وجَّه به إلى محمد بن الفضل ليُحْضِرَه . قال فقال لي إسحاق : قم في حفظ الله واجتهد في أن تتعجَّل . قال : فتقدمت إلى الخادم بإخراج الجواري إليه ووضْعِ النَّبيذ بين يديه ، ولبستُ ثيابي وخرجت وركِبت . فلما سِرتُ قليلاً قلت في نفسي : أنا أخسَرُ الناسِ صفقةً إن تركتُ إسحاقَ بن إبراهيم الموصلي في منزلي ومضَيْتُ إلى إسحاق بن إبراهيم المُصْعَبي ، ولا أدري ما يريد مني . فقلت للفرانِق : هل لك في خير ؟ قال : وما هو ؟ قلت : تأخذ ثلاثين درهماً وتمضي فتقول : إنك وجدتني شاربَ دواءٍ . قال نعم . فدفعتُ إليه ثلاثين درهماً ، وختمتُ له خَتْماً ورجعت . فقال لي إسحاق : أسرعتَ الكرَّةَ ، فأخبرته بما صنعتُ ؛ فقال وُفِّقتَ . فجلست وكان يأكل فأكلت معه ، فأخذنا في شأننا . وخرج الجواري إليه يغنين حتى مرَّ صوت إبراهيم بن المهدي في شعره وهو : [من مجزوء الرمل]

جَدَّدَ الحـبُّ بَلايا ... أمرُهـا ليس يسيرا

ولحنه من الثقيل الثاني ، قال : فطرِب إسحاق طرباً ما رأيته طَرِب مِثْلَه قط ، وعجب من إحسانه في صنعته وجودة قسمته ، ولم يزل صوتَنا يومَنا أجمع لا نغني غيره حتى شرِب

إسحاق قَطْرَميزَه[1] ، وفيه من المشمس الذي كان يشربه ثلاثة عشر رطلاً ، وكلّما حضرتْ صلاةٌ قام إسحاق يصلي بنا ، فصلَّى بنا العَتَمة وقد فني قَطْرَميزُه فشرِب من نبيذي رِطْلين على الصوت . قال : وكان محمد بن الفضل ينزل بسُوقِ الثلاثاء وإسحاق ينزل على نهر المهدي . وقد وُزِّرَ محمد بن الفضل للمتوكل قبل عبيد الله بن يحيى .

نسبة هذا الصوت

[من مجزوء الرمل]

جَـدَّدَ الحـبُّ بلايا أمرُهـا ليس يسيرا
كَبِـرَ الحـبُّ وقِدْماً كان إذ حـلَّ صغيرا
ذلَّـلَ الحـبُّ رِقاباً كان أدناهـا عسيرا
ليس لي من حبِّ إلْفِي غيرُ حرماني السرورا

الشعرُ والغناءُ لإبراهيم بن المهدي ثاني ثقيل .

[أحب جارية عند بعض أهله]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولي قال حدثني محمد بن موسى بن حماد قال حدثني عبد الوهاب بن محمد بن عيسى قال : استتَر إبراهيم بن المهدي عند بعض أهله من النساء ، فوكَّلتْ بخدمته جاريةً جميلةً وقالت لها : إن أرادكِ لشيءٍ فطاوِعيه وأعلميه ذلك حتى يتسع له ، فكانت تُوفيه حقَّه في الخدمة والإعظام ولا تُعْلمه بما قالت لها ؛ فجلَّ مقدارُها في نفسه إلى أن قبَّل يوماً يدَها ، فقبَّلتِ الأرضَ بين يديه . فقال : [من مجزوء الرمل]

يـا غـزالاً لي إليـهِ شافـعٌ مـن مُقْلَتَيْهِ
والذي أجللتُ خَـدَّ يْـه فقبَّلـتُ يَدَيْـهِ
بأبـي وجهُك مـا أكـ ـثرَ حُسادي عليـهِ
أنا ضيفٌ وجزاءُ الضَّيـ ـفِ إحسانٌ إليـهِ

قال : وعمل فيه بعد ذلك لحناً في طريقة الهَزَج .

[غنى المأمون فرق له وأمنه]

وقال أحمد بن أبي طاهر : غَنَّى إبراهيم بن المهدي يوماً والمأمون مُصْطَبِحٌ ، وقد كان خافه وبلغه عنه تنكُّره : [من الطويل]

ذهبتُ من الدنيا وقد ذهبتْ منّي هَوى الدهرُ بي عنها وولّى بها عني

1 قطرميز : قلة كبيرة من الزجاج .

فرقَّ له المأمون لما سمِعه ، وقال له : والله لا تذهب نفسُك يا إبراهيم على يد أمير المؤمنين ، فَطِبْ نفساً ، فإن الله قد أمَّنك إلا أن تُحْدِث حَدَثاً يشهد عليك فيه عَدْلٌ ، وأرجو ألا يكونَ منك حَدَثٌ إن شاء الله .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الطويل]

ذهبتُ من الدنيا وقد ذهبتْ مني هوى الدهرُ بي عنها وولَّى بها عَنّي
فإن أَبْكِ نفسي أَبْكِ نفساً نفيسةً وإن أَحْتَسِبْها أَحْتَسِبْها على ضَنٍّ

الشعر والغناء لإبراهيم بن المهدي ثاني ثقيل بالوسطى . وهذا الشعر قاله إبراهيم بن المهدي لما أخرج الجُنْدُ عيسى بن محمد ابن أخي خالد من الحبس ، وله في ذلك خبر طويل ، وقد شَرَطْنا ألاّ نذكر من أخباره إلا ما كان من جنس الغناء . وفي هذه القصيدة يقول : [من الطويل]

وأَفْلَتَنــي عيسى وكانت خديعــةً حَلَلْت بها مُلْكي وفُلَّتْ بها سِنّي

قال ابن أبي طاهر وحدثني أبو بكر بن الخصيب قال حدثني محمد بن إبراهيم قال : غنى إبراهيم بن المهدي يوماً عند المأمون فأحسن ، وبحضرة المأمون كاتبٌ لطاهر يُكنى أبا زيد ، فطرِب حتى وثب فأخذ طرَف ثوب إبراهيم فقبَّله . فنظر إليه المأمون مُنْكِراً لفعله . فقال ما تنظر ؟ أُقَبِّلُه والله ولو قُتِلتُ عليه ! فتبسم المأمون وقال : أَبَيْتَ إلا ظَرْفاً .

[يعرض لحسن بن سهل]

قال ابن أبي طاهر وحدثني علي بن محمد قال سمعتُ بعض أصحابنا يقول : اجتمع إبراهيم بن المهدي والحسن بن سهل عند المأمون ؛ فأراد الحسنُ أن يَضَع من إبراهيم فقال له : يا أبا إسحاق أيّ صوت تغنّيه العرب أحسنُ ؟ يريد بذلك أن يُشَهِّر إبراهيم بالغناء والعِلم به . فقال إبراهيم : بيت الأعشى :

تَسْمَع للحَلْيِ وَسْواساً إذا انصرفتْ

أي إنك مُوَسْوِس ، وكان بالحَسَنِ شيءٌ من هذا .

[غنت مغنية بحضرته فداعبها]

أخبرني عمي عن جدي عن علي بن يحيى المنجِّم قال : غنت مغنية وإبراهيم بن المهدي حاضر : [من الخفيف]

مَنْ رأى نُوقــاً غدَتْ سَحَرا

فقال إبراهيم : أنا رأيتُ هذا . قيل له : وأين رأيتَه أيها الأمير ؟ قال : رأيتُ ولد علي بن رَيْطة يَمْضون في السَّحَر إلى الصيد .

[بكاء رومية أعجمية تأثراً من صوته]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني الحسن بن عُلَيْل العَنَزي قال حدثني بعض الكتاب عن رَيِّق قالت : خرجتُ يوماً إلى سيدي (تعني إبراهيم بن المهدي) وقد صنع لحنه في : [من الكامل]

وإذا تُباع كريمــةٌ أو تُشْتَرى فسواك بائعُهـا وأنت المُشْتَرِي

وإذا صنعتَ صنيعــةً أتممتَها بيديـن ليس نَداهمـا بمُكَدَّرِ

وجاريةٌ لنا رومية أعجمية لا تُفْصِح في أقصى الدار تكنُس ، وهو يطرح الصوت على شارية ، والأعجمية تبكي أحرَّ بكاء سمعتُه قط ، فجعلتُ أعجَبُ من بكائها وأنظر إليها حتى سكتَ ، فلما سكت قَطَعَتِ البكاء ، فعلِمتُ أن هذا من غَلَبته بحسن صوته لكل طبعٍ فصيحٍ وأعْجميٍّ .

[إجازة الأمين له على غنائه]

أخبرني الحسين بن يحيى وابن المكي وابن أبي الأزهر عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال : غنى إبراهيم بن المهدي ليلةً محمداً الأمين صوتاً لم أَرْضَه في شعر لأبي نُواس وهو : [من الرمل]

يـا كثيرَ النَّوْحِ في الدِّمَنِ لا عليهـا بـل على السَّكَنِ

سُنّــةُ العُشاقِ واحـــدةٌ فــإذا أحببتَ فـاستَكِنِ

ظَنَّ بي من قـد كَلِفتُ به فهــو يجفوني على الظِّنَنِ

رَشَأٌ لـــولا ملاحتُـــه خَلَـتِ الدُّنيا مــن الفِتَنِ

فأمر له بثلثمائة ألف درهم . قال إسحاق فقال إبراهيم له : يا أمير المؤمنين قد أَجَزْتَني إلى هذه الغاية بعشرين ألف درهم ، فقال : هل هي إلا خراج بعض الكُوَر ؟ هكذا ذكر إسحاق . وقد رَوى محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر هذه الحكاية عن إبراهيم فقال : لما أردتُ الانصراف قال : أَوْقِروا زورق عمي دنانير ، فانصرفتُ بمال جليل .

[يحسن الإيقاع على الطبل والناي]

أخبرني أبو الحسن علي بن هارون قال ذكر لي أبو عبد الله الهِشامي عن أهله قال قال إبراهيم بن المهدي ، وقد خرج إلى ذكر الطَّبْل والإيقاع به ، فقال إبراهيم : هو من

الآلات التي لا يجوز أن تُبلَغ نهايتها . فقيل له : وكيف خُصَّ الطَّبل بذلك ؟ فقال : لأن عمل اليدين فيه عملٌ واحد ، ولا بُد من أن يلحق اليسارَ فيه نَقصٌ عن اليمين ، ودعا بالطبل ليُريَنا كيف ذلك فأوقَع إيقاعاً لم نكن نظن أن مثله يكون ، وهو مع ذلك يرينا موضع زيادة اليمين على اليسار . قال وقال له الأمين في بعض خَلَواته : يا عم أشتهي أن أسمعك تَزْمُر . فقال : يا أمير المؤمنين ، ما وضعتُ على فمي ناياً قط ولا أضعه ، ولكن يدعو أمير المؤمنين بفلانة ، من موالي المهدي ، حتى تَنْفُخ في النَّاي وأُمِرّ يدي عليه . فأُحْضِرتْ ووضَعَت الناي على فيها وأمسكه إبراهيم ، فكلما مَرَّ الهواء أَمَرَّ أصابعَه ، فسمع زمراً أجمع سائر مَن حضر على أنه لم يَسمع مثلَه قط .

[حسن ترجيعه]

وأخبرني أبو الحسن علي بن هارون أيضاً قال حدثني أبي قال حدثني عبيد الله بن عبد الله وأبو عبد الله الهشامي قالا : كان إبراهيم بن المهدي إذا غنى لحنه : [من الكامل]

هل تَطْمِسُون مِن السماءِ نُجومَها ... بأكفِّكم أو تَسْتُرونَ هلالَها

فبلغ إلى قوله : [من الكامل]

جبريلُ بلَّغها النبيَّ فقالَها

هَز حلْقه فيه ورجَّعه ترجيعاً تَتزلزل منه الأرض .

[اختلس لحناً من متيم الهشامية]

أخبرني محمد بن إبراهيم قُرَيض قال حدثني عبد الله بن المعتز قال حدثني الهشامي قال : كانت متيم الهشامية ذات يوم جالسةً بين يدي المعتصم ببغداد وإبراهيم بن المهدي حاضرٌ ، فتغنت متيم في الثقيل الأول : [من الطويل]

لزينبَ طيفٌ تَعْتريني طوارِقُهْ

فأشار إليها إبراهيم أن تُعيده . فقالت متيم للمعتصم : يا سيدي إن إبراهيم يستعيدني الصوت وأظنه يريد أن يأخذه . فقال لها : لا تُعيديه . فلما كان بعد أيام كان إبراهيم حاضراً بمجلس المعتصم وكانت متيمُ غائبةً عنه ، فانصرف إبراهيم بالليل إلى منزله ومتيم في منزلها بالميدان وطريقُه عليها وهي في مَنْظَرةٍ لها مُشْرِفةٍ على الطريق وهي تَطْرَح هذا الصوتَ على بعض جَواري بني هاشم ، فتقدم إلى المَنْظرة على دابته وتَطاوَل حتى أخذ الصوتَ ، ثم ضرب بابَ المنظرة بمِقْرعته وقال : قد أخذناه بلا حَمْدك .

نسبة هذا الصوت

[من الطويل]

لزينـبَ طيفٌ تَعْتَرِيني طوارِقُــهُ ... هُدُوءاً إذا النَّجْمُ ارْجَحَنَّتْ لواحِقُهْ[1]

سَيُبْكيك مِرْنــانُ العَشيّ يُجيبُه ... لطيفُ بَنانِ الكفِّ دُرْمٌ مَرافِقُهْ[2]

إذا مــا بِساطُ اللَّهْوِ مُـدَّ وقُرِّبتْ ... للذّاتِـــــه أنْماطُـــه ونَمــارِقُهْ

الشعر للنُّمَيْري . والغناء لمعبد ، ولحنُه من القَدْر الأوسط من الثقيل الأول بالبنصر في مجراها عن إسحاق . وفيه لمالك خفيفُ ثقيل أول بالبنصر عن يونس والهشامي .

[حكم محمد بن موسى المنجم على غنائه]

أخبرني علي بن هارون قال حدثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال : كان محمد بن موسى المُنجِّم يقول : حكَمتُ أن إبراهيم بن المهدي أحسنُ الناس كلهم غناءً ببرهان ، وذلك أني كنتُ أَراه بمجالس الخلفاء مِثل المأمون والمعتصم يغني المغنون ويغني ، فإذا ابتدأ الصوت لم يَبْقَ من الغِلمان والمُتصرِّفين في الخِدمة وأصحاب الصناعات والمِهَن الصِّغار والكِبار أحدٌ إلا تَرَكَ ما في يده وقَرُب من أقرب موضعٍ يمكنه أن يسمعه ، فلا يزال مُصغياً إليه لاهياً عما كان فيـه مـا دام يُغنـي ، حتـى إذا أمسـك وتَغَنَّـى غيرُه رجَعوا إلى التشاغُل بما كانوا فيه ولم يلتفتوا إلى ما يسمعون . ولا برهان أقوى من هذا في مثل هذا من شهادة الفِطَن له واتّفاق الطبائع ، مع اختلافها وتَشَعُّب طُرُقِها ، على الميل إليه والانقياد له .

[كانت له أشياء لم يكن لأحد مثلها]

حدثني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني هِبـةُ الله بن إبراهيـم بن المهدي قال : قلتُ للمعتصم : كانت لأبي أشياء لم يكن لأحدٍ مثلها . فقال : وما هـي ؟ قلـت : شارية وزامِرَتُها مَعْمَعَة . فقال : أما شارية فعندنا ، فما فعلت الزَّامرة ؟ قلت : ماتت . قال : وماذا ؟ قلت : وساقِيَتُه مَكْنونة ، ولم يُرَ أحسنُ وجهاً ولا أَلينُ ولا أظرفُ منها . قال : فما فعلتْ ؟ قلت : ماتت . قال : وماذا ؟ قلت : نخلةٌ كانت تحمِل رُطَباً طولُ الرُّطبةِ منها شبر . قال : فما فعلت ؟ قلت : جَمَّرْتُها[3] بعد وفاته . قال : وماذا ؟ قلت : قَدَحُه الضَّحْضاح . قال : وما فعل ؟ قلت : الساعةَ واللهِ حَجَمني فيه أبو حَرْمَلة فسألته أن يَهَبه

---

1 ارجحنت : مالت نحو الغروب .

2 مرنان : كثير الرنين . درم : ضئيل العظام .

3 جمّر النخلة : قطع جمارها .

لي ففعل ، ووجَّهتُ به إلى منزلي فغُسِلَ ونُظِّفَ وأُعِيد إلى خِزانتي ، فرأيتُ أبي فيما يَرى النائمُ في ليلتي تلك وهو يقول لي : [من الطويل]

أَيُتْرَعُ ضَحْضاحي دماً بعدَ ما غَدَتْ عليَّ بـه مكنونـةٌ مُتْرَعاً خمرا
فإنْ كنتَ منـي أو تحبُّ مَسَرَّتي فـلا تُغْفِلَنْ قبلَ الصباحِ لـه كَسْرا

فانتبَهْتُ فَزِعاً وما فَرَق الصبحُ حتى كسرتُه .

[بينه وبين إسحاق الموصلي]

فأما المُماظَّة[1] التي كانت بينه وبين إسحاق فقد مضى في خبر إسحاق منها طَرَفٌ . ونذكر هاهنا منها ما جرى مجرى محاسِن إبراهيم والقيامِ بحجته إن كانت له ، وعذره فيما عيب عليه لأنه بذلك حقيق . فمن ذلك نسختُ من كتاب أعطانيه أبو الفضل العباس بن أحمد بن ثَوابة رحمه الله بخط إسحاق في قِرْطاس ، وأنا أعرف خطَّه ، وجوابٍ لإبراهيم بن المهدي في ظهره بخطٍّ ضعيف وأظنُّه خطَّه ؛ لأنه لو كان خط كاتبٍ لكان أجود من ذلك الخط ، وقد ذهب أولُ الكتاب فذهب منه أولُ الابتداء والجواب ، ونسختُ بقيَّتَه ؛ فكان ما وجدتُه من ابتداء إسحاق : وكنتَ ، جُعِلتُ فِداءك ، كتبتَ في كتابك إلى محمد بن واضح تذكر أنك مولاي وسيدي . فمتى دفعتُ ذلك ؟ وهل لي فخرٌ غيره ! أو لأحدٍ عليَّ وعلى أبي رحمه الله من قبلي نعمةٌ سواكم ؟ . وأُحِبُّ ذلك أن يكون ، وأرجو أن أموت قبل أن يَبْتَلِيَني الله بذلك إن شاء الله . فأما ذِكْرُك ، جُعِلْتُ فِداءك ، الصناعةَ فقد أجلَّ الله قدرَك عن الحاجة إلى دفعها والاعتذار عنها . وأما أنا المسكينَ فأنت تعلم أني لم أتَّخذ ما نحن فيه صناعةً قط ، وأني لم أُرِدْها إلا لكم شكراً لنعمتكم وحباً للقرب منكم وإليكم . فليس ينبغي أن يَعِيبني ذلك عندكم ، ولا يجوز لأحد أن يعيبني به إذ كان لكم . وقد علمتُ أنك لم تضعني من عَلويه ومُخارق بحيث وضَعْتَني إلا لغضَبٍ أَحْوَجَكَ[2] إلى ذلك ، وإلا فأنت تعلم أنهما لو كانا مملوكَيْن لي لآثرتُ تعجيلَ الرَّاحةِ منهما بعتقهما أو تَخْلِيَةِ سبيلهما على ثمنٍ أُصيبه ببيعهما أو حَمْدٍ أكتسِبُه بثمنهما ، فكيف أظن أني عندك مِثلهُما ، أو أنك تَقْرِنُني إليهما وتذكرني معهما ! . أو تلومني الآن على أن أخْرَس فلا أنطِق بحرف ، وأن أَفِرَّ من الغناء فِرارَك من الخطأ فيه ، وأمتعضَ منه امتعاضَك ممن يُخفي عليك شيئاً من علومه ؟ . كيف تَرى ، جُعِلْتُ فِداءك ، الآن سِبابي وأنت ترى أن أحداً لا يُحسن السَّبَّ غيرُك ! . قد أحدثتَ لي ، جعلتُ فداءك ، أدباً

1 المماظّة : المخاصمة .
2 ل : أخرجك .

وزِدْتَني بصيرةً فيما أُحِبُّ من تَرْكِه وتركِ الكلام فيه . فإن ظننتَ أن هذا فرارٌ من الحجَّة وتَعْريدٌ[1] عن المناظرة ، كما قلتَ ، فقد ظفِرت وصرت إلى ما أحببت ؛ وإلا فإنه لا ينبغي للحر أن يتلهَّى بما لا تقوم لذَّته بمَعَرَّته ، ولا لعاقلٍ أن يبذل ما عنده لمن لا يَحمدَه ، ولعله لا يقلِّب العينَ فيه حتى يلحقَه ما يكره منه . وأما ما قاله أبي ، رحمه الله ، من أنه لم يزل يتمنَّى أن يَرى من سادته مَنْ يعرِف قدره حقَّ معرفته ويبلُغ علمُه بهذه الصناعةِ الغايةَ العظمى حتى رآك ، فقد صدَق ، ما زال يتمنى ذلك وما زلتُ أتمنَّاه . فهل رأيت ، جُعِلْتُ فِداءك ، حظِّي منه إلا بأن ساويتَ به من لم يكن يساوي شِسْعَه ، ولعلك لا ترضى في بعض القوم حتى تفضِّله عليه ، لا تنفعه عندك معرفةٌ به ، ولا رعايةٌ لطول الصُّحبة والخِدمة ، ولا حفظٌ لآثارٍ محمودةٍ باقيةٍ نذكرها ونحتجُّ بها . ثم ها أنا من بعده تَضَعُني بالموضع الذي تضعني به ، وتَنْسُبني إلى ما تنسبني إليه ؛ لأني توخَّيْتُ الصوابَ واجتهدتُ في البَذْل والمناصحة ، لا يدفعك عني حِفظٌ لسَلَفٍ ، ولا صيانةٌ لخَلَفٍ ، ولا استدامةٌ لقديم ما نعلم ، ولا مصانعةٌ لما تطلب ، ولا ولا مما أكره أن أقوله . فما أرى ، جُعِلتُ فِداءك ، من معرفتك بما في أيدينا إلا تجرُّع الحسرات ، وتطلُّبك لنا العثرات ، والله المستعان . كيف أصنع جُعِلتُ فداءك ! إن سكَتُّ لم تقبل ذلك مني ، وإن صدقتُ كذَّبتني ، وإن كذبتُ ظفرتَ بي ، وإن مزحتُ لأُطربك وأُضحكك وأُقرِب من أُنسك وآخُذ بنصيبي من كرمك غضِبتَ وسبَبتَ ، ولو كنتُ قريباً منك لضربت ! وليتَك فعلت ، فكان ذلك أيسر من غضبك . ثم من أعظم المصائب عندي أمرُك إياي أن أسأل محمد بن واضح عن قول قلته فيَّ عند عمرو بن بانة . فوالله ، جُعِلتُ فداءك ، إني لأبْشَعُ[2] بذكره فكيف أُحِبُّ أن أذكره وأُذْكر له ! . وإني لأرثي لك من النظر إليه ، وأَعجب من صبرك عليه ، مع أني ، أعوذ بالله من ذلك ، لو رغبتُ في هذا منه ومن مثله لكفيتُك ونفسي ذلك بأن أكسُوَه ثوبين ، أو أَهَبَ له دينارين ، أو أقول له أحسنت في صوتين ، حتى نبلغ أكثرَ مما أردت لي أو أريده لنفسي . فالحمد لله الذي جعل حظِّي منك هذا ! ومثلَه غير مستَصْغِر لشأنك ولا مستقلٌّ لقليل حسن رأيك . والله أسأل أن يطيل بقاءك ، ويحسن جزاءك ، ويجعَلَني فداءك . قد طال الكتاب ، وكثر العِتاب . وجملة ما عندي من الإعظام والإجلال اللَّذَيْن لا أخاف أن أجعلهما عندك ، والمحبة التي لا أمتنع منها ولا أعرف سواها ، والسمع والطاعة في تسليم ما تحب تسليمه والإقرار بما أحببتَ أن أُقرَّ به ، وسأُشهِد على ذلك محمد بن واضح وأُشْهِد لك به من أحببتَ وأؤدي الخَراج . ولكن لا بد من فائدة وإلا انكسر ، فهات ، جُعِلْتُ فداءك ، وأوفِ واستوفِ فإنك واجدٌ صحةً واستقامةً إن

1 التعريد : الفرار .

2 بشع بالأمر : ضاق به .

شاء الله . مد الله في عمرك ، وصبَّرني عليك ، وقدمني قَبْلَك ، وجعلني من كل سوء فِداءَك .

[نسخة جواب إبراهيم بعد ما ذهب منه]

. . وأيَّةُ سلامةٍ أقدِر لك عليها إلا أسوقها إليك ، أعطاني الله ما أُحِبُّ من ذلك لك . فأمَّا أن أتكلَّم من ورائك بشيء تستثقله متعمِّداً ؛ فما أنا إذاً بحُرٍّ ولا كريم ، معاذَ الله من ذلك ؛ . ولئن جمعني وإياك وعليَّ بنَ هشام مجلسٌ لأستشهِدَنَّه على أشياء لم أذكرها لك ، ولم أكتب بها إليك ، إجلالاً لقَدْرِ حالِك عندي من اعتداد بمثل ذلك مني ، وأنت عنه غافل ، والله به عليم . وأما الرشوة فأرجو أن تجيئك على ما تشتهي آتاك الله ما تحب فيما تحب وتكره وجعلك له شاكراً . وأما الفوائدُ التي وعدتَ ورودَها علينا فإني لواثقٌ أنك لا تُفيدني شيئاً فأنظر فيه إلا وجدتُني فيه فَطِناً أجيد تفتيشه وأعرف كُنْهَه وأُفيدك فيه وفيما استنبطتَ منه ما لا تجد عند نفسك أكثر منه ، فأما غيرك فالهباءُ المنثور . ويا رأس المُشَنِّعين تقول إني عيَّرتُك بالصناعة ثم تحتج بحذْقك في تحريف الأقوال واكتساب الحجج ، لتُفْحِم خَصْمَك ، وتُعْلي حُجَّتك ، فكيف أَعيبك بحاجتي إليك ، وما أنا داخل فيه معك ؟ لا ؛ ولكني قلت لك : إني لستُ كفلان وفلان ممن لو كان عنده أمر ينازعك به ثَقُل عليك ، إنما أنا رجل من مواليك متوسِّلٌ إليك بما يسرُّك ، أو كصاحب لك تناظره بما تحب أن تجد من تناظره فيه ، فليكن ذلك بالإنصاف وطلبِ الصواب أصبتَه أو أخطأته ، لا بالحميَّة والأَنَفة والحيلة لتَرُدَّ الحق بالباطل . هذا معنى قولي ؛ وقد استشهدت عليك فيه أبا جعفر ، وجاءني كتابُك وهو عندي يشهد لي . والكتاب الذي هذا فيه بخطِّي عنده لم يَرُدَّه عليَّ ، فتَتَبَّعْ ما فيه وخُذْني به . فلَعَمري لئن كنتُ قرَنْتُك بمن ذكرتَ لأَعِيبَك بالتشبيه لك بهم ما عِبتُ غيرَ رأيي ، ولا جهَّلتُ غير نفسي . ولستُ أعتذِر من هذا لأنك تشهد لي بالحق فيه ، وإنما تريد أن تَخْصِمَني[1] بلا حُجَّة ، فيكفيني عِلمُك بما عندي ، وإلا فأنت إذاً بي أجهلُ مني بك . وقلتَ : «تذكرني معهما» فقد ذكر الله النار مع الجنة ، وموسى مع فرعون ، وإبليسَ مع آدم ، فلم يَهُنْ بذلك موسى ولا آدمُ ولا أُكْرِم فرعون وإبليس ، فأعفني من المغالطة لي والتحريف لقولي ، واستمتع بي وأمْتِعْني بالمصادقة . فإن أنت لم تفعل بقيتَ واحداً مستوحشاً ، ولم تَجِدْ غيري إن علم ما تعلم لم ينقُصْكَ ، وإن علم أكثرَ منك لم يَشِنْك ، وإن أفهمتَه كافاك ، وإن استفهمتَه شفاك . لا والله ما أردتُ إلا ما ذكرتُه لك ، ولا أحسَبك ظننتَ فيَّ غيرَ ذلك ؛ لأنك لا تجهلني فأنا عندك غير جاهل . وواحدة هي لك دوني ، ووالله ما كنت أُبالي ألاَّ أسمع من مُخارق وعلويه شيئاً حتى أسمع بنعيهما ، ولا أراهما حتى أراهما مَيِّتَيْن ، وما في هذا غيرُك والإعظام لك

---

1 خصمه : غلبه في الخصومة .

والإكرام . وذلك أنهما كانا لك غلامين فصيَّرتَهما نِدَّيْن تقول فيهما ويقولان فيك ، وإنما هما صَنِيعتاكَ وخِرِّيجا تأديبك وإن كانا غير طائل . فلو أعرضتَ عن انتقاصهما ورفعتَ ما رفع الله من قَدرك عن الإفراط في عيبهما ، لكان ذلك أشبه بك وأجملَ بمحلِّك وخَطَرِك ومكانِك . وكذلك الذي تَرْثي له منه وصاحبُه محمد بن الحارث ، فوالله ما أُحِبُّ لك في أدبك وفضلِك ودِينِك ومحلِّك أن تُشَهِّر نفسك لهما بهذا ومِثْلِه ، وأن ينتهي إليهما ذلك عنك . أقول يعلم الله في ذلك لا لهما . وإن ذلك ، لو صرتَ إليه ، لأجملُ بك وأجلُّ لقدرك وإن كنت لَتَتَخوَّلُهما به . ولو أردتَ ذلك ، وإن زَهِدتَ فيه ، لم تَضَع نفسَك ومحلَّك مع غِلْمانٍ أحداثٍ يبسُطون ألسنتهم فيك بما بسطتَه منهم على نفسك ، ولو لم تفعل لكنتَ أعظمَ في عيونهم من بعض مواليهم الذين تولَّوْا مِنَّتَهم . هذا رأيي لك بما هو أكبرُ لأمرك وأشبهُ بمحلِّك . ووالله ما غَشَشْتُك ولا أوطأتُك عَشْواءَ ، فاخترْ لنفسك ما رأيتَ . ولا والله لا سَمِعا بهذا أبداً ولا بما قلتَه فيَّ إلا خَزِيا حتى يموتا ، ولا أردتُ ، يشهد الله ، بهذا غيرَك . وأمَّا مَنْ ذكرتَ أنّي أسوِّيه بأبي إسحاق رحمه الله وهو لا يساوي شِسْعَه فإنك عَنَيْتَ ابنَ جامع . وأنت لا تدخل بيني وبين أبي إسحاق رضي الله عنه ، ولا أظنك والله أشدَّ حباً له مني ، ولا كان لك أشد حباً منه لي ، فقد تعلم كيف كان لي ، ولكن لا أظلم ابنَ جامع كما تظلمه أنت يا أظلم البشر . ولئن ضَمِنْتَ أن تُنْصِفَني لأكلمنَّك فيه بما لا تدفعه ، ولكني لا أكلِّمك في شيء حتى أَثِقَ بهذه منك ، وإلاَّ وَسِعني من السكوت ما وسعك . ومن العَجَب الذي لم أَرَ مثله والمكابرةِ التي لا يشبهها شيء اعتداؤك عليَّ في التجزئة حيث تقول : [من مجزوء الخفيف]

حَيِّيـا أُمَّ يَعْمَـرا قَبْل شَحْطٍ من النَّوى

يا أخي وحبيب نفسي فانظر كم في هذا من العيوب ؟ قولك : «يـيا» ليكون مثل «شَحْطٍ» في الوزن ، أيكون مثل هذا في الكلام ! وقولك في الجزء الثاني «حَي» حتى يكون مثل «قبل» هل يكون مثل هذا ؟ أو ليس في «ييا» المشددة أربع ياءات ، وفي «حي» التي عطفتَ بها ثلاثٌ فتصير سبع ياءات ، وإنما هي ثلاث في الأصل : الياء المشددة وياء الاثنين حيث تقول «حييا» ! . والناس في هذا بيني وبينك بهائم ، فمَنْ أَسْتعدي عليك ؟ ولو أنصفتَ لعلمتَ أنه لا يمكن في : [من مجزوء الخفيف]

حَيِّيـا أُمَّ يَعْمَـرا

غيرُ ما جزَّأتُ أنا إلا بهذا الغَلَط الذي لا يحول من تحريك ساكنٍ تجعله أولَ الكلام فقد زدتَ قبله حرفاً ، أو تسكينِ متحرك فتزيد بعده حرفاً ؛ كقولك «أم يعمرا قابل شحطن» حيث جعلت قبل الباء ألفاً ، وكقولك «أم يعمرن قَبْلا» فزدتَ الألف لتسكتَ عليها لأن

السكوت على متحرك لا يمكن . فأيةُ حُجَّةٍ هذه ؟ أو مَن يصبر لك على هذا ؟ وإنما أردتُ أنا ما يجوز فجئتني بتجزئةٍ واحدة ، لا أريد غيرَ ذلك منك . ما لَك يا أخي تَنْفَس عليَّ الصوابَ فيما لا نَقِيصةَ عليك فيه ولا عيب ، ثم اتخذتَ تَحَمُّدي إليك ، بما قلتُ لك أن تسأل محمداً عن قولي فيك بظهر الغيب ذنباً بطبعك على الظلم والتحريف ؛ حتى كأني أعلمتُك أن أحداً تنقَّصَك فحَمِيتَ لذلك ، ولم يكن غيرُ الرد عليه . والله ما مثلي يَمُنّ بهذا ، ولكني كنتُ إذا تحدثتُ مع محمد خالياً كلَّمته بمثل ما أكلِّمك به من الردِّ والجَدَل ، فلما كان عندنا مَن يُحْتَشَم كان كلامي بما يجب أن أتكلَّم به من الإكرام والتقديم ، فقال لي : أيُّ شيء هذا الذي أرى ؟ فقلت له : هذا كلام الحشمة وذلك كلام الأنس . فأردتُ بإعلامك هذا أن تعلم أني لا أريد بما أُنازعك فيه شيئاً يَزِيغ عما تعرف مني ، وأني أذكُرك بما يُشبهك في موضعه . فلو اتقيتَ الله وأبقيتَ على الإخاء لَما كنتَ تحرِّف هذا بشيء ، وهو جميل أرضاه من نفسي ، فتصيِّره قبيحاً تريد أن أعتذر إليك منه .

وأما أداء الخَراج والإشهاد ، فهذا شيء لم أطلبه منك ، إنما أنت طلبتَه مني ظالماً لي . وذلك لأني لم أُنازعك إلا منازعةَ مناظرٍ يُحبُّ أن يعرف حسنَ فحصه وثاقب نظرِه .

وأما الرياسة فقد جعلها الله لك على أهل هذا العمل ، ولا رياسة لي عليهم ولا لك عليَّ ؛ لأني في العلم مناظر وفي العمل متلذِّذ . فلا تظلمني ولا نفسَك لي .

ومن بعدُ فإني أُحِبُّ أن تخبرني كيف أنت اليوم بعدُ . والله غممتني ، لا غمَّك الله ولا غمَّني بك . ولو شئتَ أرسلتَ إلى يحيى بن خالد طبيبِ أخي عُبيد الله فإنه رفيقٌ مبارَكٌ عليم ، وهو منك قريب في دار الرُّوم ، فأخذتَ برأيه ومن علاجه . وهَب الله لك العافية ووهَبها لي فيك برحمته .

وإنما ذكرتُ هذا الابتداءَ وجوابَه على طولهما ، وهما قليلٌ من كثير من مكاتباتهما ، لتعرف بهما طرفاً من مقدارهما[1] في المنازعة والمجادلة ، وأن إسحاق كان يريد من إبراهيم التواضع له والخُنوعَ برياسته ويتحامل عليه في بعض الأوقات ، وينحو إبراهيم نحوَ ما فعله به ؛ لأن نفسه تأبى ما يريده إسحاق منه ، فيستعمل معه من المباينة مثلَ ما استعمله ، ويكونان في طَرَفَيْن من الظلم يُبْعِد كل واحدٍ منهما عن إنصاف صاحبه . وقد روى يوسف بن إبراهيم أخباراً فيما جرى بينهما ، فوجدتُ كلامَهما مرصوفاً رَصْفَ إبراهيم بن المهدي ومنظوماً نَظْمَ مَنْطِقِه ، فيها تحاملٌ على إسحاق شديدٌ ، وحكاياتٌ يُنْسَبُ مَن نقَلَها إلى جهلٍ بصناعته . كان إسحاق

1 ل : مغزاهما .

بعيداً من مثله ، فعلمتُ أن إبراهيم عمل ذلك وألَّفه وأمرَ يوسفَ بنشره في الناس ليدور في أيديهم ذِكرٌ له يفضُل به . وذلك بعيدٌ وقوعُه ، ولن تُدفع الحقائق بالأكاذيب ، ولا يُزيل الخطأ الصواب ، ولا الخطلُ السدادَ . وكفى مَن نضَح عن إسحاق بأن أغاني إبراهيم بن المهدي لا يكاد يُعرَف منها صوتٌ ولا يُرْوى منها إلا اليسير ، وأن كلامَه في تجنيس الطرائق اطُّرِح ، وعُمِل على مذهب إسحاق ، وانقضى الصُّنع لإبراهيم بذلك مع انقضاء مدته ، كما يضمحلُّ الباطلُ مع أهله . فعدلتُ عن ذكر تلك الأخبار ؛ لا لأنها لم تَقَع إليَّ ، ولكنها أخبار يتبين فيها التحامل والحَنَق ، وتتضمن من السبِّ لإسحاق والشتمِ والتجهيل ما يعلم أنه لم يكن يقضي على مثله لأحد ولو خاف القتل ، فاستبردتُ ذلك واطَّرَحْتُه ، واعتمدتُ من أخبار إبراهيم على الصحيح ، وما جرى مَجرى هذا الكتاب[1] من خيرٍ مستحسنٍ وحكايةٍ ظريفةٍ دون ما يجري مَجرى التحامل ؛ فقد مضى في صدر الكتاب من أخبارهما وإغصاصِ إسحاق إياه بريقه وتجريعه أَمَرَّ من الصبر ما ينبيء عن بطلان غيره .

وممن صنع من أولاد الخلفاء عُلَيَّةُ بنت المهدي ، ولا أعلم أحداً منهم بعد إبراهيم أخيها كان يتقدمها . وكان يقال : ما اجتمع في الجاهلية ولا الإسلام أخٌ وأختٌ أحسنُ غناء من إبراهيم بن المهدي وعُلية أختِه . وأخبارُها تُذكر بعد هذا تاليةً لما أذكُره من غِنائها . فمن صنعتها : [من الرجز]

صوت

تضحكُ عمَّا لو سَقَتْ منـه شَفا ... مـن أقحوانٍ بَلَّهُ قطـر الندى[2]

أغَـرَّ يجلو عن غِشا العينِ العَشا ... حُلْـوٍ بعَيْنَـيْ كلِّ كَهْـلٍ وفَتى

إنَّ فـؤادي لا تسلِّيـه الرُّقـى ... لـو كان عنها صاحياً لقد صَحا

الشعر لأبي النجم العِجلي . والغناء لعُلية بنت المهدي رملٌ بالوسطى .

1 ل : الجواب .

2 قطر الندى في ل : طلّ الثرى .

[162] ـ أخبار أبي النجم ونسبه[1]

[نسبه]

قال أبو عمرو الشيباني : اسمه المفضَّل ، وقال ابن الأعرابي : اسمه الفضل بن قُدامة بن عبيد الله بن عبد الله بن الحارث بن عبدة بن الحارث بن إلياس بن عوف بن ربيعة بن مالك بن ربيعة بن عِجل بن لُجَيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسِط بن هِنْب بن أفْصى بن دُعْمِي بن جَديلة بن أسَد بن ربيعة بن نزار . وهو من رُجَّاز الإسلام الفُحول المقدَّمين وفي الطبقة الأولى منهم .

[كان أبلغ في النعت من العجاج]

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب الجُمَحي إجازةً عن محمد بن سَلاَّم وذكر ذلك الأصمعي أيضاً قالا قال أبو عمرو بن العَلاء : كان أبو النَّجم أبلغَ في النعت من العجاج .

[انتصاف الرجاز من الشعراء]

أخبرنا محمد بن خَلَف وكيع قال حدثني أبو أيوب المَدِيني قال حدثني الفضل بن العباس الهاشمي عن أبي عبيدة قال : ما زالت الشعراء تغلِب حتى قال أبو النجم : [من الرجز]

الحمدُ للهِ الوهُـوبِ المُجْـزِلِ

وقال العجاج : [من الرجز]

قـدْ جبرَ الديـنَ الإلـهُ فَجَبَرْ

وقال رؤبة : [من الرجز]

وقاتمُ الأعماقِ خاوي المُختَرَقْ

فانتصفوا منهم .

[أعظمه رؤبة]

ووجدتُ في أخبار أبي النجم عن أبي عمرو الشيباني قال : قال له فتيان من عِجل : هذا رؤبة بالمِربَد يجلس فيُسمِع شعرَه ويُنشِد الناس ويجتمع إليه فتيان من بني تَميم ، فما يمنعك من ذلك ؟ قال : أوَ تُحِبُّون هذا ؟ قالوا نعم . قال : فأْتوني بعُسٍّ من نبيذ فأَتَوْه

1 لأبي النَّجم ترجمة في طبقات ابن سلام 745–753 والشعر والشعراء : 502–507 والخزانة 1 : 161 ومعاهد التنصيص 1 : 19 ومعجم المرزباني : 310 والسمط : 327 والموشح : 213 .

به ، فشَرِبه ثم نهض وقال : [من الرجز]

إذا اصطبحتُ أربعاً عرَفْتَني ثــم تجشمتُ الذي جشَّمتني

فلما رآه رؤبة أعْظَمه وقام له عن مكانه وقال : هذا رَجَّاز العرب . وسألوه أن يُنشِدهم فأنشدهم : [من الرجز]

الحمدُ للهِ الوَهُــوبِ المُجْزِلِ

وكان إذا أنْشد أَزْبد ووحَش بثيابه (أي رمى بها) . وكان من أحسن الناس إنشاداً . فلما فَرِغ منها قال رؤبة : هذه أمُّ الرَّجَز . ثم قال : يا أبا النَّجْم ، قد قربت مرعاها إذ جعلتها بين رجل وابنِه . يُوهِم عليه رؤبة أنه حيث قال : [من الرجز]

تبقَّلــتْ مـــن أولِ التَّبَقُّلِ بين رِماحَيْ مالكٍ ونَهْشَلِ

أنه يريد نَهشَل بن مالك بن حنظلة بن زيد مَناةَ بن تَميم . فقال له أبو النجم : هيهاتَ ! الكَمَرُ تشابَهُ . أي إني إنما أريد مالك بن ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل . ونهشل قبيلة من ربيعة وهؤلاء يرعَوْن الصَّمَّان وعَرْض الدَّهناء . قال أبو عمرو : وكان سبب ذِكرِ هاتين القبيلتين (يعني بني مالك ونهشل) أن دماءً كانت بين بني دارِم وبني نهشل وحروباً في بلادهم ، فتَحامى جميعهم الرَّعْيَ فيما بين فَلْجٍ[1] والصَّمَّان مخافةَ أن يُعَرُّوا بشرٍّ حتى عفا[2] كَلَؤه وطال ، فذكر أن بني عجل جاءت لِعِزِّها إلى ذلك الموضع فرَعَتْه ولم تَخَفْ من هذين الحَيَّيْنِ ، ففخَر به أبو النَّجم . قال : ويدُل على ذلك قول الفرزدق[3] : [من الطويل]

أترتعَ بالأحيــاءِ سعــدُ بن مالكٍ وقــد قَتلــوا مَثْنى بِظَنَّةَ واحدِ[4]

فلم يَبْقَ بين الحي سعدِ بن مالكٍ ولا نَهْشَلٍ إلا دمــاءُ الأساودِ[5]

[ترتيب الرجاز]

وقال الأصمعي : قيل لبعض رُواة العرب : مَن أرجزُ الناس ؟ قال : بنو عِجْل ثم بنو سعد ثم بنو عجل ثم بنو سعد . (يريد الأغلبَ ثم العجَّاج ثم أبا النَّجْم ثم رؤبة) .

---

1 ل : فليج .

2 عفا : كثر .

3 ديوان الفرزدق 1 : 152 .

4 ظنة : تهمة .

5 الأساود : شخوص القتلى .

[تسرعه إلى رؤبة]

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال قال عامر بن عبد الملك المِسْمعي : كان رؤبة وأبو النجم يجتمعان عندي فأطلب لهما النبيذ ، فكان أبو النجم يتسرع إلى رؤبة حتى أكفّه عنه .

[مناجزته العجاج]

ونسختُ من كتاب أبي عمرو الشيباني قال حدثني بعض البصريين منهم أبو برزة المَرثَدِي ، قال وكان عالِماً راويةً ، قال : خرج العجاج متحفِّلاً عليه جُبَّة خَزٍّ وعمامة خَزٍّ على ناقةٍ له قد أجاد رَحلها حتى وقف بالمِربَد والناس مجتمعون ، فأنشدهم قوله : [من الرجز]

قــد جبَر الديــنَ الإلهُ فَجَبَرْ

فذكر فيها ربيعة وهجاهم . فجاء رجل من بكر بن وائل إلى أبي النجم وهو في بيته فقال له : أنت جالسٌ وهذا العجاج يهجونا بالمِربد قد اجتمع عليه الناس ؟! قال : صِفْ لي حالَه وزِيَّه الذي هو فيه ، فوصف له . فقال : ابْغِني جَمَلاً طَحَّاناً قد أُكْثِر عليه من الهِناء ، فجاء بالجمل إليه . فأخذ سراويلَ له فجعل إحدى رجليه فيها وأتزَرَ بالأخرى وركِب الجمل ودفع خِطامَه إلى مَن يقوده ، فانطلق حتى أتى المِربَد . فلما دنا من العجاج قال : اخلَعْ خِطامَه فخلَعه ، وأنشد : [من الرجز]

تذَكَّر القلبُ وجَهْلاً مــا ذَكَرْ

فجعل الجملُ يدنو من الناقة يتشمَّمها ويتباعد عنه العجاج لئلا يُفسِد ثيابه ورَحْلَه بالقَطِران ، حتى إذا بلغ إلى قوله : [من الرجز]

شيطانُه أُنثــى وشيطاني ذَكَرْ

تعلَّق الناس هذا البيت وهرب العجاج عنه .

[غلب الشعراء عند الخليفة]

ونسختُ من كتاب أبي عمرو قال حدثني أبو الأزهر ابن بنت أبي النَّجْم عن أبي النجم أنه كان عند عبد الملك بن مروان ، ويقال عند سليمان بن عبد الملك ، يوماً وعنده جماعة من الشعراء ، وكان أبو النجم فيهم والفرزدقُ ، وجاريةٌ واقفةٌ على رأس سليمان أو عبدِ الملك تَذُب عنه ، فقال : من صبَّحني بقصيدة يفتخر فيها وصدَق في فخره فله هذه الجارية . فقاموا على ذلك ثم قالوا : إن أبا النجم يَغْلِبنا بمقطَّعاته (يعنون بالرَّجَز) ، قال : فإني لا أقول إلا قصيدةً . فقال من ليلته قصيدتَه التي فخَر فيها وهي : [من الكامل]

عَلِقَ الهوى بحبائلِ الشَّعْثاء[1]

ثم أصبح ودخل عليه ومعه الشعراء فأنشده ، حتى إذا بلغ إلى قوله : [من الكامل]

مِنا الذي ربَع الجيوشَ لظهرِه عشرونَ وهْو يُعَدُّ في الأَحياء[2]

فقال له عبد الملك : قِفْ ، إن كنتَ صدَقْتَ في هذا البيت فلا نُريد ما وراءه . فقال الفرزدق : وأنا أعرف منه ستة عشر ، ومن وَلَد وَلَدِه أربعة كلُّهم قد ربَع . فقال عبد الملك أو سليمان : وَلَد وَلَدِه هم ولدُه ، ادفع إليه الجارية يا غلام . قال : فغلَبهم يومئذٍ .

قال : وبلغني من وجهٍ آخر أنه قال له : فإذا أقررتَ له بستة عشر فقد وهبتُ له أربعة ، ودفَع إليه الجارية ، فقدِم بها الباديةَ ؛ فكان بينه وبين أهله شرٌّ من أجلها .

[فوزه بجارية خالد بن عبد الله القسري]

وقال أبو عمرو : بعث الجُنَيد بن عبد الرحمن المُرِّي إلى خالد بن عبد الله القَسْري بسَبْيٍ من الهند بيضٍ ، فجعل يَهَبُ لأهل البيت كما هو للرجل من قريش ومن وجوه الناس ، حتى بَقِيتْ جاريةٌ منهن جميلةٌ كان يَدَّخِرها وعليها ثيابٌ أَرْضِها فُوطتان . فقال لأبي النجم : هل عندك فيها شيءٌ حاضر وتأخذها الساعة ؟ قال : نعم أصلَحك الله ؛ فقال العُريان بن الهيثم النَّخْعي وكان على شرط خالد بن عبد الله : كذَب والله ما يقدِر على ذلك . فقال أبو النَّجم : [من الرجز]

عَلِقتُ خَوْداً من بناتِ الزُّطِّ ذاتَ جَهازٍ مُضْغَطٍ مُلَطِّ
رابِي المَجَسِّ جَيِّدِ المَحَطِّ كأنّما قُطَّ على مَقَطِّ
إذا بدا منها الذي تُغَطِّي كأنَّ تحتَ ثوبِها المُنْعَطِّ[3]
شَطّاً رميتَ فوقَه بشَطِّ لم يَنْزُ في البطنِ ولم يَنْحَطِّ[4]
فيه شِفاءٌ من أذى التَّمَطِّي كهامةِ الشيخِ اليمانِي الثَّطِّ[5]

[أغضب هشاماً في وصفه الشمس]

وأومأ بيده إلى هامة العُريان بن الهيثم . فضحِك خالد وقال للعُريان : كيف تَرى ؟ أحتاجَ إلى أن يُرَوِّيَ فيها يا عُريان ؟ ! قال : لا والله ! ولكنه ملعون ابن ملعون : وقال أبو عمرو في هذه

1 الهوى بحبائل في ل : الفؤاد حبائل .
2 ربع الجيوش : أخذ ربع أموالهم ، وكان ذلك حظ الرئيس عند الغلبة .
3 الثوب المنعط : المشقوق .
4 لم ينز : في ل : لم يعل . الشط : جانب السنام .
5 الثطّ : الخفيف اللحية .

الرواية وأخبرني به علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد المُبَرد قال حدثني محمد بن المُغيرة بن محمد عن الزُّبير بن بَكار عن فُلَيْح بن إسماعيل بن جعفر بن أبي كثِير قال : ورد أبو النجم على هشام بن عبد الملك في الشعراء . فقال لهم هشام : صِفُوا لي إبلاً فقَطِّروها وأوْرِدوها وأَصْدِروها حتى كأني أنظر إليها . فأنشدوه وأنشده أبو النَّجم : [من الرجز]

الحمـدُ للهِ الوَهُوبِ المُجْزِلِ

حتى بلغ إلى ذكر الشمس فقال «وهي على الأُفْق كعين . . .» وأراد أن يقول «الأَحولِ» ثم ذكر حَولة هشام فلم يُتِمَّ البيت وأُرْتج عليه . فقال هشام : أَجزِ البيت . فقال «كعين الأحولِ» وأتم القصيدة . فأمر هشام فُوجِيء عُنُقه وأُخرِج من الرُّصافة . وقال لصاحب شُرْطته : يا رَبيع إياك وأن أرى هذا ! . فكلم وجوهُ الناس صاحب الشُّرطة أن يقروه ففعل ، فكان يُصيب من فُضول أطعمة الناس ويأْوِي إلى المساجد . وقال الزُّبير في خبره قال أبو النجم : ولم يكن أحدٌ بالرُّصافة يُضيف إلا سُلَيْم بنَ كَيْسان الكلبي وعمرو بن بِسطام التَّغلبي . فكنتُ آتي سُليماً فأتغدَّى عنده ، وآتي عمراً فأتعشى عنده ، وآتي المسجد فأَبيتُ فيه . قال : فاهتَم هشام ليلةً وأمسى لَقِسَ النَّفْس وأراد محدِّثاً يحدِّثه ، فقال لخادمٍ له : ابْغِني مُحَدِّثاً أعرابياً أهوجَ شاعراً يَرْوِي الشعر . فخرج الخادم إلى المسجد فإذا هو بأبي النَّجم ، فضرَبه برجله وقال له : قُمْ أَجِبْ أميرَ المؤمنين . قال : إني رجل أعرابي غريب . قال : إياك أَبْغِي ، فهل تَرْوي الشعر ؟ قال : نعم وأقوله . فأقبل به حتى أدخله القصر وأغلَق البابَ ، قال : فأيْقَن بالشر ، ثم مضى به فأدخله على هشام في بيت صغير ، بينه وبين نسائه سِتْرٌ رقيقٌ والشَّمْعُ بين يديه تَزْهَر . فلما دخل قال له هشام : أبو النَّجم ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين طَرِيدُك . قال : اجلس . فسأله وقال له : أين كنتَ تأْوِي ومن كان يُنْزلك ؟ فأخبرَه الخبرَ . قال : وكيف اجتمعا لك ؟ قال : كنتُ أتغدَّى عند هذا وأتعشى عند هذا . قال : وأين كنتَ تبيت ؟ قال : في المسجد حيث وجدني رسولك . قال : وما لَكَ من الولدَ والمال ؟ قال : أما المالُ فلا مالَ لي ، وأما الولدُ فلِي ثلاثُ بناتٍ وبُنَيٌّ يقال له شَيبان . فقال : هل زَوَّجْتَ[1] من بناتك أحداً ؟ قال : نعم زوّجتُ اثنتين ، وبَقِيَتْ واحدة تَجْمِز[2] في أبياتنا كأنها نعامة . قال : وما وصَّيْتَ به الأولى ؟ ، وكانت تسمى «بَرّة» بالراء ، فقال : [من الرجز]

أَوْصَيتُ من بَـرّةَ قلبـاً حُرّا ... بالكلـبِ خيراً والحَمـاةِ شَرّا

1 ل : أخرجت .

2 تجمز : تعدو .

لا تَسْأَمِي ضَرْباً لها وَجَرّا ... حتى تَرى حلوَ الحياةِ مُرّا
وإن كَسَتْكِ ذهباً ودُرّا ... والحيَّ عُمِّيهم بشرٍّ طُرّا

فضحِك هشام وقال : فما قلتَ للأُخرى ؟ قال قلت : [من الرجز]

سُبِّي الحَماةَ وابْهَتِي عليها ... وإن دَنَتْ فازْدَلِفي إليها
وأَوْجِعي بالفِهْرِ ركبتَيْها ... ومِرْفَقَيْها واضْرِبي جَنْبَيْها[1]
وظاهِري النُّذْرَ لها عليها ... لا تُخْبِري الدَّهْرَ به ابنتَيْها

قال : فضَحِك هشام حتى بدَتْ نواجِذُه وسقط على قَفاه . فقال : وَيْحَك ؛ ما هذه وصية يعقوب ولدَه ؛ فقال : وما أنا كيعقوب يا أمير المؤمنين . قال : فما قلتَ للثالثة ؟ قال قلت : [من الرجز]

أُوصيكِ يا بنتي فإني ذاهبُ ... أُوْصيكِ أن تَحْمَدكِ القرائبُ
والجارُ والضيفُ الكريمُ الساغبُ ... لا يُرْجَعُ المسكينُ وهْو خائبُ
ولا تَني أظفارُكِ السَّلاهِبُ ... منهنَّ في وجه الحَماةِ كاتبُ[2]
والزوجَ إنَّ الزوجَ بئسَ الصاحبُ

قال : فكيف قلتَ لها هذا ولم تَتزوج ؟ وأي شيء قلتَ في تأخير تزويجها ؟ قال قلت فيها : [من الرجز]

كأنَّ ظَلاّمَةَ أختَ شَيْبانْ ... يَتيمةٌ ووالداها حيّانْ
الرأسُ قَمْلٌ كلُّه وصِئْبانْ ... وليس في الساقَيْن إلاّ خَيْطانْ
تلك التي يَفْزَعُ منها الشيطانْ

قال : فضحِك هشام حتى ضحك النساء لضَحكِه ، وقال للخَصِي : كم بَقِي من نفقتك ؟ قال : ثلثمائة دينار . قال : أَعْطِه إياها ليجعلها في رِجْل ظَلاَّمةَ مكان الخيطين .

[سرعة بديهته]

وقال الأصمعي أخبرني عمي وأخبرني ببعض هذا الحديث ابنُ بنت أبي النَّجْم أن أبا النَّجْم قال : [من الرجز]

الحمدُ للهِ الوَهُوبِ المُجْزِلِ

---

1 الفهر : الحجر .
2 السلاهب : الطويلة .

في قَدْر ما يَمشي الإنسان من مسجد الأَشْياخِ إلى حاتمٍ الجزار . ومقدار ما بينهما غَلْوةٌ[1] أو نحوُها . قال : وكان أسرعَ الناس بَدِيهةً .

[رأي الأصمعي في رجزه]

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع قال حدثنا أبو أيوب المَدِيني قال حدثنا أبو الأسود النوجشاني[2] قال : مَرَّ أبي بالأصمعي وأنا عنده فقال له : يا أبا سعيد أي الرَّجَز أحسن وأجود ؟ قال : رَجَزُ أبي النَّجْم .

[رأيه في النساء]

نسختُ من كتاب أحمد بن الحارث الخَراز قال حدثنا المدائني قال : دخل أبو النَّجم على هشام بن عبد الملك وقد أتت له سبعون سنة . فقال له هشام : ما رأيُك في النساء ؟ قال : إني لأنظر إليهن شَزْراً وينظرن إليَّ خَزْراً . فوهب له جارية وقال له : اغْدُ عليَّ فأعْلِمْني ما كان منك . فلما أصبح غدا عليه . فقال له : ما صنعتَ ؟ فقال : ما صنعتُ شيئاً ولا قدَرْتُ عليه ، وقد قلتُ في ذلك أبياتاً . ثم أنشده : [من الكامل]

نظرتْ فأَعْجبَها الذي في دِرْعِها ... من حُسْنه ونظرتُ في سِرْباليا
فرأتْ لها كَفَلاً يَميلُ بخَصْرِها ... وَعْثاً روادِفُه وأَجْثَمَ جاثِيا[3]
ورأيتُ مُنْتَشِرَ العِجانِ مُقَلِّصاً ... رِخْواً مفاصِلُه وجِلْداً بالِيا
أُدْني له الرَّكَبَ الحَلِيقَ كأنما ... أُدْني إليه عقارباً وأفاعِيا
إنَّ النَّدامةَ والسَّدامةَ فاعْلَمَنْ ... لو قد صَبَرْتُك للمَواسي خالِيا
ما بالُ رأسِك من ورائيَ طالِعاً ... أظننتَ أنَّ حِرَ الفتاةِ ورائِيا
فاذهبْ فإنّكَ ميتٌ لا تُرْتَجى ... أبدَ الأبيدِ ولو عَمِرتَ لياليا
أنتَ الغَرُورُ إذا خُبِرتَ وربما ... كان الغَرورُ لمن رجاه شافِيا
لكن أُيْري لا يُرَجى نفعُه ... حتى أعودَ أخا فَتاءٍ ناشِيا

فضحِكَ هشام وأمر له بجائزة أُخرى .

[يضحك هشام بن عبد الملك]

قال أبو عمرو الشَّيباني قال ابن كُناسة : قال هشام بن عبد الملك لأبي النَّجْم : يا أبا النَّجْم

1 الغلوة : رمية السهم .
2 لعلها النوشجاني نسبة إلى نوشجان بفارس .
3 الوعث : اللين .

حدِّثني . قال : عني أو عن غيري ؟ قال : لا بل عنك . قال : إني لما كَبِرتُ عرَض لي البَوْلُ ، فوضعتُ عند رجلي شيئاً أبول فيه . فقمتُ من الليل أبول ، فخرج مني صوتٌ فتشددت ، ثم عُدْتُ فخرج مني صوتٌ آخر ، فأَوَيْتُ إلى فراشي ، فقلت : يا أُم الخيار هل سمِعتِ شيئاً ؟ فقالت : لا والله ولا واحدةً منهما ؛ فضَحِك . قال : وأُم الخيار التي يَعْني بقوله : [من الرجز]

قد أصبحتْ أُمُّ الخِيار تَدَّعي عليّ ذنباً كلُّه لم أصْنَعِ

وهي أرجوزة طويلة .

[ذكر فتاة في شعره فتزوجت]

وقال أبو عمرو الشَّيْباني : أتت مولاة لبني قَيْس بن ثعلبة أبا النَّجم فذكرتْ له أن بنتاً لها أدركتْ منذ سنتين ، وهي من أجمل النساء وأمدِّهن قامةً ولم يخطُبها أحدٌ ، فلو ذكرتَها في الشعر ! فقال : أفعل ، فما اسمها ؟ قالت : نَفِيسة . فقال : [من الرجز]

نَفِيسَ يا قَتالةَ الأقْوامِ أقصدتِ قلبي منكِ بالسِّهامِ
وما يُصِيب القلبَ إلا رَامِ لو يعلم العلمَ أبو هشامِ
ساقَ إليها حاصِلَ الشامِ وجِزْيةَ الأهْوازِ كلَّ عامِ
وما سَقى النِّيلُ من الطعامِ إذ ضاقَ منها مَوْضِعُ الإدْغامِ
أجْثَمُ جاثٍ مُسْتَديرٌ حامِ يَعَضُّ في كَيْنٍ له تُوأمِ
عَضَّ النجاريِّ على اللِّجامِ

فقالت : حسبك حسبك ؛ ووفد إلى الشام ، فلما رجَع سمِع الزَّمْر والجَلَبة ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : نفيسة تزوجت .

[فهود عبد الملك بن بشر بن مروان]

قال أبو عمرو وذكر علي بن المِسْوَر بن عمرو عن الأصمعي قال أخبرني بعضُ الرُّواة وحدثني ابن أخت أبي النَّجْم : أن عبد الملك بن بِشْر بن مروان قال لأبي النَّجْم : صِفْ لي فُهُودي هذه . فقال : [من الرجز]

إنا نَزَلْنا خيرَ مَنْزِلاتِ بينَ الحُمَيْراتِ المُبارَكاتِ
في لَحْمِ وحْشٍ وحُبارَياتِ وإن أرَدنا الصيدَ ذا اللَّذّاتِ
جاءَ مُطيعاً لُمطاوِعاتِ عُلِّمنَ أو قد كنَّ عالِماتِ
فسَكَّنَ الطَّرْفَ بمُطْرِفاتِ تُريكَ آماقاً مخطَّطاتِ

[أقطعه الحجاج وادياً في بلاده]

ونسختُ من كتاب الخَراز عن المدائني عن عثمان بن حَفْص أن أبا النَّجْم مدَح الحجاجَ برجزٍ يقول فيه : [من الرجز]

وَيْـلُ آمّ دُورِ عِزةٍ ومَجْدِ دُورِ ثَقيفٍ بسَواء نَجْـدِ
أهلُ الحصونِ والخيولِ الجُرْدِ

فأعجبَ الحجاجَ رَجَزُه وقال : ما حاجتك ؟ قال تُقْطعني ذا الجبنين . فوجَم لها وسكت ، ثم دعا كاتبَه فقال : انظر ذا الجبنين ما هو ؛ فإن ذا الأعرابي سألنيه لعله نهر من أنهار العراق . فسألوا عنه فقيل : واد في بلاد بني عِجْل أعلاه حَشَفةٌ وأسفلُه سَبَخَةٌ يخاصمه فيه بنو عم له . فقال : اكتبوا له به . قال : فأهلُه به إلى اليوم .

[ما أُخذ عليه]

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثني أبو أيوب المَدِيني قال قال الأصمعي : أخطأ أبو النَّجْم في أشياء أُخِذَتْ عليه ، منها قوله : [من الرجز]

وهي على عَـذْبٍ رَوِيٍّ المَنْهلِ دَحْلِ أبي المِرْقالِ خيرِ الأَدْحُلِ
من نَحْتِ عادٍ في الزمانِ الأوّلِ

قال الأصمعي : الدَّحْل لا تُورَده الإبلُ إنما تُورَد الرَّكايا[1] . وقد عِيب بهذا وعِيب بقوله في البيت الذي يَلِيه : إن هذا الدَّحْلَ من نحت عاد . قال : والدُّحْلان لا تُحْفَر ولا تُنحَت ، إنما هي خروق وشعاب في الأرض والجبال لا تُصيبها الشمسُ ، فتَبْقى فيها المياه ؛ وهي هُوة في الأرض يَضِيق فَمُها ثم يتسع فيدخلها ماء السماء .

قال الأصمعي : وقال يصف فرسه وقد أجراه في حَلْبَة : [من الرجز]

تسبَح أُخـْراهُ ويَطْفُـو أولُـهْ

قال الأصمعي : أخطأ في هذا ؛ لأنه إذا سبَح أُخراه كان حِمارُ الكُساح أسرعَ منه . قال الأصمعي : وحدثني أبي أنه رأى فرسه هذا فقوَّمه بسبعين درهماً . وإنما يُوصف الجواد بأنه تسبَحُ أُولاه وتَلْحَق رجلاه . قال : وخير عَدْو الذكور أن تُشْرِف ، وخيرُ عَدْو الإناث أن تَنْبَسِط وتَصْغى[2] كعَدْوِ الذئبِ .

---

1 الركايا : جمع ركية وهي البئر .
2 تصغى : تميل .

[163] ـ أخبار علية بنت المهدي ونسبها ونُتف من أحاديثها[1]

[أمها أم ولد]

عُلَيّة بنت المهدي أُمها أُم ولد مُغنيةٌ يقال لها مَكْنونة ، كانت من جواري المَروانية المغنية .

نسختُ من كتاب محمد بن هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات أن ابن القَدّاح حدثه قال : كانت مكنونة جاريةُ المروانية ، وليست من آل مروان بن الحكم ، هي زوجة الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، مغنِّية ، وكانت أحسنَ جاريةٍ بالمدينة وجهاً ، وكانت رَسْحاء[2] ، وكان بعض من يمازحها يعبَث بها فيصيح : طَسْت طَسْت . وكانت حَسَنة الصدر والبطن ، فكانت تُوضِح بهما وتقول : ولكن هذا ! فاشْتُرِيَتْ للمهدي في حياة أبيه بمائة ألف درهم ، فغَلَبتْ عليه ، حتى كانت الخَيزران تقول : ما مَلك امرأةً أغْلَظَ عليَّ منها . واستتر أمرُها عن المنصور حتى مات ، فولدتْ له عُلَيّةَ بنت المهدي .

[بعض صفاتها]

أخبرني عمِّي قال حدثني علي بن محمد النوفلي عن عمِّه قال : كانت عليّة بنت المهدي من أحسن الناس وأظرفِهم تقول الشِّعرَ الجيِّد وتصوغ فيه الألحانَ الحسنةَ ، وكان بها عيب ، كان في جبينها فَضْلُ سَعَة حتى تسمج ، فاتخذت العصائب المكلَّلة بالجوهر لتستُر بها جبينها ، فأحدثتْ والله شيئاً ما رأيتُ فيما ابتَدَعَتْه النساء وأحدَثَتْه أحسنَ منه .

[كانت حسنة الدين]

أخبرني الحسين بن يحيى ووَكِيع قالا حدثنا حمَّاد بن إسحاق قال سمعتُ إبراهيم بن إسماعيل الكاتب يقول : كانت عُليّة حَسَنَة الدِّين ، وكانت لا تغنِّي ولا تشرَب النَّبيذ إلا إذا كانت معتزلةَ الصلاةِ ، فإذا طَهُرَتْ أقبلتْ على الصلاة والقرآن وقراءة الكتب ، فلا تَلَذُّ بشيء غير قول الشعر في الأحيان ، إلا أن يدعُوَها الخليفةُ إلى شيء فلا تَقْدِر على خلافه . وكانت تقول : ما حرَّم الله شيئاً إلا وقد جعل فيما حَلَّل منه عِوَضاً ، فبأيِّ شيء يحتجُّ عاصيه والمُنتَهِكُ لحُرُماته ! . وكانت تقول : لا غفَر الله لي فاحشةً ارتكبتُها قط ، ولا أقول في شعري إلا عبثا .

---

1 لعلية بنت المهدي ترجمة في فوات الوفيات 3 : 123–126 والنجوم الزاهرة 2 : 191 والدر المنثور : 349 وشذرات الذهب 1 : 311 ونزهة الجلساء : 80 وانظر أعلام الزركلي .

2 رسحاء : قليلة لحم العجز والرجلين .

[غناؤها]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني عون بن محمد الكِنْدي قال سمعت عبد الله بن العباس بن الفضل بن الرَّبيع يقول : ما اجتمع في الإسلام قط أخ وأخت أحسن غناء من إبراهيم بن المهدي وأختِه عُلَية ، وكانت تُقدَّم عليه .

[شعرها في طَلّ]

أخبرني محمد قال حدثنا عون بن محمد الكِندي قال حدثنا سعيد بن إبراهيم قال : كانت عليَّة تحب أن تُراسِل بالأشعار مَن تختصُّه ، فاختصَّت خادماً يقال له «طَلّ» من خَدَمِ الرشيد ، فكانت تراسله بالشعر ، فلم تره أياماً ، فمَشَتْ على مِيزابٍ وحدثته وقالت في ذلك : [من الكامل]

قـد كان ما كُلِّفتُه زمناً يا طَلُّ من وَجْدٍ بكم يكفي
حتى أتيتكَ زائراً عَجِلاً أمشي على حَتْفٍ إلى حَتْفِ

فحلف عليها الرشيد ألا تكلِّم طَلاًّ ولا تسمِّيه باسمه ، فضمِنَتْ له ذلك . واستمع عليها يوماً وهي تَدْرُس آخرَ سورة البقرة حتى بلغتْ إلى قوله عز وجل : ﴿فإنْ لَمْ يُصبْها وابِلٌ فَطَلٌّ﴾ وأرادتْ أن تقول : «فَطَلٌّ» فقالت : فالذي نهانا عنه أمير المؤمنين . فدخل فقبَّل رأسَها وقال : قد وهبتُ لكِ طَلاًّ ، ولا أمنعك بعد هذا من شيء تريدينه . ولها في طَلٍّ هذا عِدَّةُ أشعارٍ فيها لها صنعة . منها : [من الكامل]

صوت

يا ربِّ إني قد غَرِضْتُ بهجرِها فإليكَ أشكو ذاكَ يا رَبَّاهْ[1]
مولاةُ سَوْءٍ تستهين بعبدها نِعْمَ الغلامُ وبئستِ المولاهْ
«طَلٌّ» ولكني حُرِمْتُ نعيمَه ووصالَه إن لم يُغِثْني اللهْ
يا ربِّ إن كانت حياتي هكذا ضراً عليَّ فما أريدُ حياهْ

الشعر والغِناء لها خفيفُ ثقيلٍ مطلق في مجرى الوسطى . وقد ذكر ابن خُرْداذبه أن الشعر والغناء لنُبَيْهٍ الكوفي ، وأنه هوِي جارية تُغنِّي ، فتعلَّم الغِناء من أجلها وقال الشعر ، ولم يزل يتوصل إليها بذلك حتى صار مُقَدَّماً في المغنِّين ، وأن هذا الشعر له فيها والصنعة أيضاً .

أخبرني أحمد بن محمد أبو الحسن الأَسَدي قال حدثني محمد بن صالح بن شيخ بن عُمَير عن

1 غرضت : ضقت .

أبيه قال : حُجِب طَلٌّ عن عُلية فقالت وصحَّفتِ اسمَه في أول بيت : [من الطويل]

أيــا سَرْوَةَ البستانِ طالَ تشوقي ... فهــلْ لي إلى ظِـلٍّ لديكِ سبيلُ

متى يلتقي مَنْ ليس يُقْضَى خروجُه ... وليس لمــن يَهْـوى إليـه دخولُ

عسى الله أن نرتاحَ من كُرْبَةٍ لنا ... فيَلْقــى اغتباطـاً خُـلَّــةٌ وخليلُ

عروضه من الطويل . الشعر والغناء لعليَّة خفيف رملٍ . كذا ذكر ميمون بن هارون ، وذكر عمرو بن بانة أنه لسَلْسل خفيف رملٍ بالوسطى . وأول الصوت :

متى يلتقي مَنْ ليس يُقْضى خروجُه

وذكر حبشٌ أنه للهذلي خفيف رمل بالبنصر .

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا أحمد بن محمد بن إسحاق الطَّالقاني قال حدثني أبو عبد الله أحمد بن الحسين الهشامي قال : قالت عُليَّة في طلٍّ وصحَّفت اسمَه في هذا الشعر وغنَّت فيه : [من مجزوء الكامل]

صوت

سَلِّمْ على ذاك الغزالِ ... الأغيَدِ الحسنِ الدلالِ

سَلِّمْ عليــه وقُــلْ لـه ... يا غُــلَّ ألبابِ الرجالِ

خلَّيْتَ جسمي ضاحياً ... وسكنتَ في ظلِّ الحِجالِ

وبلغــتَ منــي غايــةً ... لم أدرِ فيها مـا احتيالي

الشعر والغناء لعليَّة خفيف رمل . وذُكر غير هذا أن الغناء لأحمد بن المكي في هذه الطريقة .

[شعرها في خادمها رشأ]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني ميمون بن هارون عن محمد بن علي بن عثمان الشِّطْرَنجي : أن عليَّة كانت تقول الشعر في خادم لها يقال له «رشأ» وتكْني عنه . فمن شعرها فيه وكَنَتْ عنه بزينب : [من مجزوء الكامل]

صوت

وجَــدَ الفــؤادُ بزينبا ... وَجْـداً شديـداً مُتْعِبا

أصبحتُ من كَلَفِي بها ... أُدْعَــى سقيماً مُنْصَبا[1]

---

1 سقيماً في ل : شقياً .

ولقد كَنَيْتُ عن اسمها ... عمداً لكي لا تَغْضَبا
وجعلتُ زينبَ سُتْرَةً ... وكتمتُ أمراً مُعْجِبا
قالتْ وقد عَزَّ الوصا ... لُ ولم أجِدْ لي مذهبا
واللهِ لا نلتَ المودّ ... ةَ أو تنالَ الكوكبا

هكذا ذكر ميمون بن هارون ، وروايتُه فيه عن المعروف بالشِّطْرَنْجي ولم يحصل ما رواه . وهذا الصوت شعرُه لابن رُهَيْمة المدني . والغِناء ليونس الكاتب ، ولحنه من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر ، وهو من زَيانِب يونس المشهورات وقد ذكرته معها . والصحيح أن عُلَيَّة غنَّت فيه لحناً من الثقيل الأول بالوسطى ، حكى ذلك ابن المكي عن أبيه ، وأخبرني به ذُكاء عن القاسم بن زُرْزُور .

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني الحسين بن يحيى الكاتب أبو الجماز قال حدثني عبيدالله بن العباس الرَّبيعي قال : لما عُلِم من عُلية أنها تَكْني عن رشأ بزينب قالت : [من السريع]

صوت

القلبُ مشتاقٌ إلى رَيْبِ ... يا رَبِّ ما هذا من العيبِ
قد تَيَّمَتْ قلبي فلم أستطعْ ... إلا البكا يا عالِمَ الغيبِ
خبأتُ في شعري إسمَ الذي ... أردتُه كالخَبْءِ في الجيبِ

قال : وغنَّت فيه لحناً من طريقة خفيف الرَّمَلِ الأول فصحَّفَتِ اسمَها في ريب .

[هجت طغيان جارية أم جعفر]

قال : وكانت لأم جعفر جارية يقال لها طغيان ، فوشَتْ بعُليَّة إلى رشأ وحكَتْ عنها ما لم تقل ، فقالت عليَّة : [من الطويل]

لطُغْيانَ خُفٌّ مُذْ ثلاثين حِجَّةً ... جديدٌ فلا يَبْلى ولا يتخرَّقُ[1]
وكيفَ بِلَى خُفٍّ هو الدَّهْرَ كُلَّه ... على قدميها في الهواء مُعَلَّقُ
فما خرَقَتْ خُفاً ولم تُبْلِ جَوْرَباً ... وأمَّا سَراويلاتُها فتُمزقُ

قال : وحلَف رَشَأ ألاّ يشرب النبيذ سنةً ، فقالت : [من السريع]

صوت

قد ثبتَ الخاتمُ في خِنصري ... إذ جاءني منكِ تَجَنِّيكِ

1 ثلاثين في ل : ثلاثون .

حَرَّمتُ شربَ الرَّاحِ إذ عِفتِها فلستُ في شيءٍ أعاصيكِ
فلو تَطَوَّعتِ لعوَّضتني منه رُضابَ الرِّيقِ من فيكِ
فيالها عنديَ من نعمةٍ لستُ بها ما عشتُ أُجْزيكِ
يا زينباً قد أرَّقَتْ مُقْلتي أُمْتعني اللهُ بحُبِّيكِ

غنَّتْ فيه علية هزجاً .

[غضب المعتصم من نسبة الشعر لها]

أخبرني جحظة ومحمد بن يحيى قالا حدثنا ميمون بن هارون قال حدثني الحسن بن إبراهيم بن رَباح قال : قال لي محمد بن إسماعيل بن موسى الهادي : كنت عند المعتصم وعنده مخارق وعلويه ومحمد بن الحارث وعَقِيد ، فتغنَّى عَقِيد وكنت أضرب عليه : [من الرمل]

صوت

نامَ عُذالي ولم أَنَمِ واشتفَى الواشونَ من سَقَمي
وإذا ما قلتُ بي أَلَمٌ شَكَّ مَنْ أهواه في أَلَمي

فطرِب المعتصم وقال : لمن هذا الشعر والغناء ؟ فأمسكوا . فقلت : لعليَّة ، فأعرض عني ، فعرفت غلَطي وأن القوم أمسكوا عَمْداً ، فقُطِع بي . وتبيَّن حالي ، فقال : لا تُرَعْ يا محمد ؛ فإن نصيبك فيها مِثل نصيبي . الغناء لعليَّة خفيف رمل . وقد قال قوم : إن هذا اللحن للعباس بن أشرس الطُّنبوري مولى خُزاعة ، وإن الشعر لخالد الكاتب .

[غنى بنان للمنتصر بلحن لها في شعر الرشيد]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني أحمد بن يزيد قال حدثني أبي قال : كنا عند المنتصر ، فغناه بَنانٌ لحناً من الرمل الثاني وهو خفيف الرمل : [من السريع]

صوت

يا رَبَّةَ المنزلِ بالبِرْكِ وربَّةَ السلطانِ والمُلْكِ[1]
تَحَرجي باللهِ من قتلنا لسنا من الدَّيْلَم والتُّركِ

فضحِكتُ . فقال لي : مِمَّ ضحِكتَ ؟ قلت : من شَرَفِ قائلِ هذا الشعر ، وشرفِ مَنْ عَمِل اللحن فيه ، وشرفِ مُستَمِعِه . قال : وما ذاك ؟ قلت : الشعرُ فيه للرشيد ، والغناء لعليَّة بنت المهدي . وأميرُ المؤمنين مستمعه . فأعجبه ذلك وما زال يستعيده .

---

1 بالبرك في ل : بالعرك .

[تنتحل لحناً لإسحاق]

حدثني إبراهيم بن محمد بن بركشة قال سمعت شيخاً يحدث أبي وأنا غلام فحفِظتُ عنه ما حدثه به ولم أعرِف اسمَه ، قال حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال : عَمِلتُ في أيام الرشيد لحناً وهو : [من البسيط]

صوت

سقْياً لأرض إذا ما نِمْتُ نَبَّهني ... بعـدَ الهدوِّ بهـا قَرْعُ النواقيس
كأنَّ سَوْسَنَها في كلِّ شارقـةٍ ... على الميادين أذنابُ الطواويس

قال : فأعجبني وعَمِلتُ على أن أُباكِر به الرشيد . فلقِيَني في طريقي خادم لعُلَيَّة بنت المهدي ، فقال : مولاتي تأمرك بدخول الدِّهليز لتسمع من بعض جواريها غِناءً أخذتْه عن أبيك وشكَّتْ فيه الآن . فدخلتُ معه إلى حجرة قد أفردت لي كأنها كانت مُعدة ، فجلستُ ، وقُدم لي طعامٌ وشرابٌ فنِلت حاجتي منهما ، ثم خرج إليَّ خادم فقال لي : تقول لك مولاتي : أنا أعلم أنك قد غدوتَ إلى أمير المؤمنين بصوت قد أعددتَه له مُحْدَثٍ ، فأسمِعنيه ولك جائزةٌ سنية تتعجلها ، ثم ما يأمر به لك بين يديك ، ولعله لا يأمر لك بشيء أوْ لا يقع الصوت منه بحيث توخَّيتَ ، فيذهب سعيُك باطلاً . فاندفعتُ فغنَّيْتُها إياه ، ولم تزل تستعيده مراراً ، ثم أخرجتْ إليَّ عشرين ألف درهم وعشرين ثوباً ، وقالت : هذه جائزتك ، ولم تزل تستعيـده مـراراً . ثـم قالـت : اسمعه مني الآن ؛ فغنته غِناءً ما خرَق سمعي مثلُه . ثم قالت : كيف تراه ؟ قلت : أرى والله ما لم أرَ مثله . قالت : يا فلانة أعيدي له مثل ما أخذ ؛ فأحضرت لي عشرين ألفاً أخرى وعشرين ثوباً . فقالت : هذا ثمنه ، وأنا الآن داخلةٌ إلى أمير المؤمنين ، أبدأ أتغنى به ، وأُخبِر أنه من صنعتي . وأعطِي الله عهـداً لئن نطقـتَ أن لك فيه صنعةً لأقتلنك ؛ هذا إن نجوتَ منه إن علم بمصيرك إليَّ . فخرجتُ من عندها ووالله إني لكالموقن بما أكره من جائزتها أسفاً على الصوت ، فما جَسَرتُ والله بعد ذلك أن أتنغَّم به في نفسي فضلاً عن أن أُظهره حتى ماتت . فدخلتُ على المأمون في أول مجلس جلسه للهْو بعدَها ، فبدأتُ به أول ما غَنَّيت . فتغيَّر لون المأمون وقال : من أين لك ويلك هذا ؟ ! قلت : ولِيَ الأمانُ على الصدق ؟ قال : ذلك لك . فحدثتُه الحديث . فقال : يا بغيض ؛ فما كان في هذا من النفاسة حتى شهرتَه وذكرتَ هذا منه مع ما قد أخذتَه من العوض ؛ وهجَّنني فيه هُجْنَـةً وَددتُ معهـا أني لم أذكـره . فآليـتُ ألاَّ أغنِّيه بعدهـا أبداً . الشعرُ في هذا الصوت لإسماعيل بن يسار النسائي ، وقيل : إنه لإسحاق ، والغناء لإسحاق لا شك فيه ولحنُه من الثقيل الأول مطلق في مجرى الوسطى . وذكر حبش أنه للهُذلي ، ولم يحصِّل ما قاله .

[طارحت أخاها إبراهيم الغناء]

أخبرني عمي قال حدثني الحسن بن عُلَيل العنزي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال قال لي يَنْشُو المغني حدثني أبو أحمد بن الرشيد قال : كنت يوماً عند المأمون وإلى جانبي منصور وإبراهيم عَمَّاي ، فجاء ياسر دخلة فسارّ المأمون . فقال المأمون لإبراهيم : إن شئت يا إبراهيم فانهض ، فنهض . فنظرتُ إلى ستر قد رُفِع ممّا يلي دار الحُرَم ، فما كان بأسرع من أن سمعتُ شيئاً أقلقني . فنظر إليَّ المأمون وأنا أميل فقال لي : يا أبا أحمد ما لك تميل ؟ فقلت : إني سمعت شيئاً ما سمعتُ بمثله . فقال : هذه عمَّتك عُلية تطارح عمك إبراهيم : [من السريع]

ما لي أَرى الأبصارَ بي جافيهْ

نسبة هذا الصوت

صوت

[من السريع]

ما لي أرى الأبصارَ بي جافيهْ ... لم تلتفتْ منّي إلى ناحيهْ
لا ينظرُ الناسُ إلى المُبْتَلى ... وإنّما الناسُ مع العافيهْ
صَحْبي سَلُوا ربَّكُم العافيهْ ... فقد دهتني بعدَكم داهيهْ
صارَمَني بعدَكم سيِّدي ... فالعينُ من هِجرانهِ باكيهْ

الشعر لأبي العتاهية ، وذكر ابن المعتز أنه لعليّة وأن اللحن لها خفيف رمل . وذُكر أنه لغيرها خفيف رمل مطلق ، ولحن عليّة مزمومٌ .

[هديتها للرشيد وأخيه منصور]

أخبرني عمي قال حدثني أبو العباس أن بِشراً المرثدي قال قالت لي رَيِّقُ : كنت يوماً بين يدي الرشيد وعنده أخوه منصور وهما يشربان ، فدخلتْ إليه خَلُوب (جارية لعلية) ومعها كأسان مملوءتان وتحيَّتان ، ومع خادم يتبعها عودٌ ، فغنتهما قائمة والكأسان في أيديهما والتحيتان بين أيديهما : [من السريع]

صوت

حيّاكما اللهُ خَلِيلَيّا ... إنْ مَيِّتاً كنتُ وإن حيّا
إن قلتما خيراً فخيرٌ لكم ... أو قلتما غَيّاً فلا غَيّا

فشربا . ثم دفعتْ إليهما رقعةً فإذا فيها : «صنعتْ يا سيدي أُختُكما هذا اللَّحنَ اليوم ، وألقتْه على الجواري ، واصطبحتُ فبعثتُ لكما به ، وبعثتُ من شرابي إليكما ومن تحياتي وأَحْذَق جواري لتغنّيَكما . هنأكما الله وسرّكما وأطاب عيشَكما وعيشي بكما» .

[إبراهيم بن المهدي يغني لحناً لها]

أخبرني عمي قال حدثني بنحوٍ مِنْ هذا أبو عبد الله بن المرزبان قال حدثني إبراهيم بن أبي دلَف العِجلي قال[1] : كنا مع المعتصم بالقاطول وكان إبراهيم بن المهدي في حَرَّاقته بالجانب الغربي ، وأبي وإسحاق بن إبراهيم الموصلي في حَراقَتَيْهما بالجانب الشرقي . فدعاهما في يوم جمعة ، فعبرا إليه في زلال وأنا معهما وأنا صغير ، عليَّ أقْبيةٌ ومِنطقةٌ . فلما دنونا من حَرَّاقة إبراهيم فرآنا نهض ونهضتْ بنهوضه صبية له يقال لها «غَضَّةٌ» وإذا في يديها كأسان وفي يده كأس . فلما صعِدا إليه اندفع فغنَّى : [من السريع]

حيَّـــاكما اللهُ خليليَّـــــا إنْ مَيِّتاً كنتُ وإن حيّـــا
إن قلتمـا خيراً فأَهْلاً بـــه أو قلتمـا غَيّاً فـــلا غَيّـــا

ثم ناول كلَّ واحدٍ منهما كأساً ، وأخذ هو الكأسَ الثالث الذي في يد الجارية وقال : هلُمَّ نشرب على رِيقنا قدحاً . ثم دعا بالطعام فأكلنا ، ووُضِع النبيذُ فشرِبنا ، وغنياه وغناهما وضربا معه وضرب معهما ، وغنَّت الصبية ، فطرِب أبي وقال لها : أحسنتِ أحسنت . فقال له إبراهيم : إن كانت أحسنَتْ فخُذْها ، فما أخرجتُها إلا لك .

[استرضاؤها الرشيد لأم جعفر]

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم وإسماعيل بن يونس قالا حدثنا أبو هِفان قال : أُهْدِيتْ إلى الرشيد جاريةٌ في غاية الجمال والكمال ، فخلا معها يوماً وأخرج كلَّ قينة في داره واصطبح ، فكان جميع من حضره من جواريه المغنِّيات والخَدَمة في الشراب زُهاء أَلفَيْ جاريةٍ في أحسن زِيٍّ من كلِّ نوع من أنواع الثياب والجوهر . واتصل الخبر بأُمِّ جعفر فغلُظ عليها ذلك ، فأرسلت إلى عُليّة تشكو إليها . فأرسلت إليها عليّةُ : لا يَهُولَنكِ هذا ، فوالله لأردنه إليكِ ، قد عزمتُ أن أصنع شعراً وأصوغ فيه لحناً وأطرحه على جواري ، فلا تبقى عندك جاريةٌ إلا بعثت بها إليّ وأَلبسيهنَّ ألوانَ الثياب ليأخذْنَ الصوتَ مع جواري ، ففعلتْ أُمُّ جعفر ما أمرتْها به عليّة . فلما جاء وقت صلاة العصر لم يشعر الرشيد إلا وعُليّة قد خرجت عليه من حُجرتها ، وأُم جعفر من حجرتها معها زهاء ألفَيْ جاريةٍ من

---

1 تقدم هذا الخبر بنصه وسنده في ترجمة إبراهيم بن المهدي ، ص 97 .

جواريها وسائر جواري القصر ، عليهن غرائب اللباس ، وكلهن في لحنٍ واحد هَزَجٍ صَنَعْته عليّة : [من مجزوء الرجز]

صوت

منفصــلٌ عنّــي ومــا قلبــيَ عنــه منفصِلْ
يــا قاطعــي اليومَ لِمَنْ نويتَ بعدي أن تَصِلْ

فطرِب الرشيد وقام على رجليه حتى استقبل أمَّ جعفر وعليّة وهو على غاية السرور ، وقال : لم أرَ كاليوم قط . يا مسرور لا تُبقِينَّ في بيت المال دِرهماً إلا نثرتَه . فكان مبلغ ما نثره يومئذٍ ستةَ آلاف ألف درهم ، وما سُمِع بمثل ذلك اليوم ِقط .

[تحب لحن الرمل]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد المبرد قال : كانت عُلَيَّة تقول : من لم يُطْرِبْه الرمل لم يُطربه شيء . وكانت تقول : من أصبح وعنده طَباهِجةٌ باردةٌ ولم يصطبح فعليه لعنةُ الله .

[طرب الإخوة]

حدثني عمي قال حدثني هبةُ الله بن إبراهيم بن المهدي قال حدثني يوسف بن إبراهيم قال قالت لي عَرِيبُ : أحسنُ يومٍ رأيته وأطيبُه يومٌ اجتمعتُ فيه مع إبراهيم بن المهدي عند أخته عليّة وعندهم أخوهم يعقوب ، وكان أحذَق الناس بالزَّمْر . فبدأت عليّة فغنتهم من صنعتها وأخوها يعقوب يزمُر عليها : [من الطويل]

صوت

تَحَبَّبْ فــإن الحـبَّ داعيـةُ الحـبِّ وكم مِنْ بعيدِ الدارِ مستوجبُ القربِ

وغنى إبراهيم في صنعته وزمَر عليه يعقوب : [من البسيط]

صوت

يا واحـدَ الحُبِّ مالي منكَ إذ كَلِفتْ نفسي بحُبِّــكَ إلا الهــمُّ والحَـزَنُ[1]
لم يُنسنِيــك سرورٌ لا ولا حَــزَنٌ وكيفَ لا كيفَ يُنْسى وجهُك الحَسَنُ
ولا خـلا منكَ قلبي لا ولا جَسَدي كُلِّــي بِكُلِّــكَ مشغــولٌ ومُرْتَهَنُ
نــورٌ تولَّـدَ مِن شمسٍ ومِــن قمرٍ حتـى تكامـلَ منـه الرُّوحُ والبَـدَنُ

فما سمعتُ مثلَ ما سمعته منهما قط ، وأعلم أني لا أسمع مثله أبداً .

1 واحدَ الحبِّ في ل : فردة الحسن .

[عدد أصواتها]

قال ميمون بن هارون قلت لعريب : رأيتُ في النوم كأني سألت عليّة بنت المهدي عن أغانيها فقالت لي : هي نَيِّفٌ وخمسون صوتاً . فقالت لي عَرِيب : هي كذلك . وقد أخبرني بنحو هذا الخبر عبد الله بن الربيع الرَّبيعي قال حدثني وسواسة وهو أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم قال حدثتني خِشْف الواضحية أنها تمارت هي وعريب في غِناء علية بحضرة المتوكل أو غيره من الخلفاء ، فقالت هي : هي ثلاثةٌ وسبعون صوتاً . فقالت عَريب : هي اثنتان وسبعون صوتاً . فقال المتوكل : غنِّيا غِناءها ، فلم تزالا تغنِّيان غناءها حتى مضى اثنان وسبعون صوتا ، ولم تذكر خشْف الثالثَ والسبعين فقُطِع بها واستولت عريب عليها وانكسرت . قالت : فلما كان الليل رأيتُ عليّة فيما يرى النائم فقالت : يا خِشْفُ خالفتْكِ عَرِيبُ في غِنائي ! قلت : نعم يا سيدتي . قالت : الصواب معكِ ، أفتدرين ما الصوتُ الذي أُنْسِيتِه ؟ قلت : لا والله ! ولَوَدِدتُ أني فَدَيت ما جرى بكل ما أملك . قالت هو : [من الرمل]

صوت

بُنِـيَ الحُبُّ على الجَـوْرِ فَلَوْ ... أنْصفَ المعشوقُ فيـه لسَمُجْ
ليسَ يُستَحْسَنُ في حكم الهوى ... عاشقٌ يُحسنُ تأليـفَ الحُجَجْ
لا تَعِيبنْ مـن محبٍّ ذِلَّـةً ... ذلَّـةُ العاشقِ مِفتاحُ الفرجِ
وقليـلُ الحبِّ صِرْفـاً خالصاً ... لكَ خيرٌ مـن كثيرٍ قـد مُزِجْ

وكأنها قد اندفعت تغنِّيني به ، فما سمعتُ أحسنَ مما غنَّتْه ، ولقد زادت لي فيه أشياء في نومي لم أكن أعرفها . فانتبهتُ وأنا لا أعقِل فرحاً به . فباكرتُ الخليفةَ وذكرتُ له القصة . فقالت عَريب : هذا شيء صنعتِه أنتِ لِما جرى بالأمسِ ، وأما الصوت فصحيح . فحلفتُ للخليفة بما رضي به أن القصة كما حَكَيْتُ . فقال : رؤياكِ والله أعجب ، ورحِم الله علية ! فما تركت ظَرَفَها حيَّة وميِّتة ، وأجازني جائزة سنِية . ولعليّة في هذا الصوت أعنى : [من الرمل]

بُنِـيَ الحـبُّ على الجَـوْر فلوْ

لحنان : خفيف ثقيلٍ وهزج . وقيل إن الهَزَج لغيرها .

[الرشيد يمدح لحنين لها]

ونسختُ من كتاب محمد بن الحسن الكاتب حدثني أحمد بن محمد الفيرزان قال حدثني

بعض خَدَمِ السلطان عن مسرور الكبير ، ونسختُ هذا الخبر بعينه من كتاب محمد بن طاهر يرويه عن ابن الفيرزان ، وفيهما خلاف يذكر في موضعه ، قال : اشتاق الرشيد إلى إبراهيم الموصلي يوماً ، فركِب حماراً يقرب من الأرض ، ثم أمر بعض خدم الخاصة بالسعي بين يديه ، وخرج من داره ، فلم يزل حتى دخل على إبراهيم . فلما أحسَّ به استقبله وقبَّلَ رجليه . وجلس الرشيد فنظر إلى مواضع قد كان فيها قومٌ ثم مَضَوْا ، ورأى عيداناً كثيرةً ، فقال : يا إبراهيم ما هذا ؟ فجعل يدافع . فقال : ويلَك ! اصدُقْني . فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، جاريتان أطرح عليهما . قال : هاتهما . فأحضر جاريتين ظريفتين ، وكانت الجاريتان لعلية بنتِ المهدي بعثت بهما يطرَح عليهما . فقال الرشيد لإحداهما : غني ، فغنتْ ، وهذا كله من رواية محمد بن طاهر : [من الرمل]

بُنيَ الحُبُّ على الجَوْرِ فلوْ ... أنْصفَ المعشوقُ فيه لسَمُجْ
ليس يُستحسنُ في حكم الهوى ... عاشقٌ يُحسِنُ تأليفَ الحُجَجْ
لا تَعِيبَن من محبٍّ ذِلةً ... ذِلَّةُ العاشقِ مِفتاحُ الفَرَجْ
وقليلُ الحبِّ صرفاً خالصاً ... لكَ خيرٌ من كثيرٍ قد مُزِجْ

فأحسنتْ جداً . فقال الرشيد : يا إبراهيم لمن هذا الشعر ؟ ما أملحه ! ولمن اللحن ؟ ما أظرفه ! فقال : لا عِلم لي . فقال للجارية ، فقالت : لستِّي . قال : ومَن سِتُّكِ ؟ قالت : عليّة أختُ أميرِ المؤمنين . قال : الشعرُ واللحن ؟ ! قالت نعم ! فأطرق ساعة ثم رفع رأسَه إلى الأُخرى فقال : غني ؛ فغنَّتْ : [من الطويل]

صوت

تَحَبَّبْ فإنَّ الحبَّ داعيةُ الحبِّ ... وكم من بعيدِ الدارِ مستوجبُ القربِ
تَبصَّرْ فإن حُدِّثتَ أن أخا هوى ... نجا سالِماً فارجُ النَّجاةَ من الحبِّ
إذا لم يكن في الحبِّ سُخْطٌ ولا رِضاً ... فأينَ حلاواتُ الرسائلِ والكُتْبِ

الغناء لعليّة خفيف ثقيلٍ . وفي كتاب علويه : الغناء له ، فسأل إبراهيم عن الغناء والشعر ؛ فقال : لا عِلم لي يا أمير المؤمنين . فقال للجارية : لمن الشعر واللحن ؟ فقالت لستِي . قال : ومَن سِتُّكِ ؟ فقالت : عليّة أختُ أمير المؤمنين . فوثب الرشيد وقال : يا إبراهيم احتفظ بالجاريتين . ومضى فركِب حِماره وانصرف إلى عليّة . هذا كله في رواية محمد بن طاهر ، ولم يذكره محمد بن الحسن ، ولكنه قال في خبره : إن الرشيد زار الموصلي هذه الزيارة ليلاً ، وكان سببها أنه انتبه في نصف الليل فقال : هاتوا حِماري فأُتِي بحمارٍ كان له أسْوَدَ يركبه في

القصر قريبٍ من الأرض ، فركبه وخرج في دُرَّاعةِ وشي متلثّماً بعمامة وشيٍ مُلْتَحِفاً برداء وشيٍ ، وخرج بين يديه أربعمائة خادم أبيض سوى الفراشين . وكان مسرور الفَرْغاني جريئاً عليه لمكانته عنده ، فلما خرج على باب القصر قال : أين يريد أمير المؤمنين في هذه الساعة ؟ قال : أردتُ منزلَ الموصلي . قال مسرور : فمضى ونحن بين يديه حتى انتهى إلى منزل إبراهيم ، فتلقَّاه وقبَّل حافرَ حِماره وقال : يا أمير المؤمنين ، جعلني الله فداءك ، أفي مثل هذه الساعة تظهر ؟! قال : نعم شوقٌ طرَق بي . ثم نزل فجلس في طَرَف الإيوان وأجلس إبراهيم . فقال له إبراهيم : يا سيدي أتنشَط لشيءٍ تأكله ؟ قال : نعم ، وما هو ، قال : خامِيزُ[1] ظبيٍ . فأتي به كأنما كان مُعَداً له فأصاب منه شيئاً يسيراً ، ثم دعا بشرابٍ كان حُمِل معه . فقال له إبراهيم الموصلي : أوُغنِّيك يا سيِّدي أم يغنيك إماؤك ؟ فقال : بل الجواري . فخرج جواري إبراهيم فأخذْنَ صَدْرَ الإيوان وجانبيه . فقال : أيَضْرِبْنَ كلُّهن أم واحدةٌ واحدةٌ ؟ فقال : بل تَضْرِب اثنتان اثنتان وتغنّي واحدةٌ فواحدةٌ . ففعلن ذلك حتى مَرَّ صدرُ الإيوان وأحدُ جانبيه والرشيد يسمع ولا ينشط لشيءٍ من غِنائهن ، إلى أن غَنَّتْ صبيةٌ من حاشية الصفِّ : [من البسيط]

صوت

يا مُورِيَ الزَّنْدِ قد أعيتْ قوادحُه اقْبِسْ إذا شئتَ من قلبي بمِقْباسِ
مـا أقبحَ الناسَ في عيني وأسمجَهم إذا نظـرتُ فلم أُبْصِرْك في الناسِ

فطرِب لغنائها واستعاد الصوتَ مراراً وشرب أرطالاً ، ثم سأل الجارية عن صانعه فأمسكتْ ، فاستدناها فتقاعست . فأمر بها فأُقيمت إليه ، فأخبرته بشيءٍ أسرَّته إليه . فدعا بحماره فانصرف والتفتَ إلى إبراهيم فقال : ما عليك ألا تكونَ خليفةً ! فكادت نفسُه تخرُج ، حتى دعا به بعدُ وأدناه . هذا نظمُ رواية محمد بن الحسن في خبره . وقال محمد بن طاهر في خبره : فقال للموصلي : احتفظ بالجاريتين ، وركِب من ساعته إلى عليّة فقال : قد أحببتُ أن أشربَ عندكِ اليومَ . فتقدَّمتْ فيما تُصْلِحُه ، وأخذا في شأنهما . فلما أن كان في آخر الوقت حمل عليها بالنبيذ ، ثم أخذ العودَ من حِجر جارية فدفعه إليها ، فأكبرتْ ذلك . فقال : وتُربة المهدي لَتُغَنِّنَّ ! . قالت : وما أُغنّي ؟ قال : غَنّي : [من الرمل]

بُنِيَ الحـبُّ على الجَـوْرِ فلوْ

---

1 الخاميز : مرق السكباج المبرد المصفى من الدهن .

فعلمت أنه قد وقف على القصة فغنّتْه . فلما أتت عليه قال لها غَنِّي : [من الطويل]

تَحَبَّبْ فإن الحبَّ داعيةُ الحبِّ

فلَجْلَجَتْ ثم غنته . فقام وقبّل رأسَها وقال : يا سيِّدتي هذا عندكِ ولا أعلم ! وتمَّمَ يومَه معها .

[تذهل جاريتها أخاها إبراهيم]

حدثني جحظة قال حدثني أبو العَنْبَس بن حمدون قال قال إبراهيم بن المهدي : ما خَجِلتُ قَطُّ خَجْلَتي من علية أختي . دخلتُ عليها يوماً عائداً فقلت : كيف أنت يا أُختي جُعِلْتُ فِداءك وكيف حالُك وجسمُك ؟ فقالت : بخير والحمد لله . ووقعتْ عيني على جارية كانت تَذُبُّ عنها فتشاغلتُ بالنظر إليها فأعجبتني وطال جلوسي ، ثم استحيَيْتُ من عليّة فأقبلتُ عليها فقلت : وكيف أنتِ يا أُختي جُعِلْتُ فِداءك وكيف حالُك وجسمُك ؟ فرفعتْ رأسَها إلى حاضنةٍ لها وقالت : أليس هذا قد مضى مرة وأجبنا عنه ؟ فخجِلتُ خَجَلاً ما خَجِلتُ مِثْلَه قَطُّ ، وقمتُ وانصرفتُ .

[جعفر يسمع غناءها عند الرشيد]

أخبرني عبد الله بن الربيع الربيعي قال حدثني أحمد بن إسماعيل عن محمد بن جعفر بن يحيى بن خالد قال : شَهِدتُ أبي جعفراً وأنا صغيرٌ وهو يحدث يحيى بن خالد جدي في بعض ما كان يخبره به من خلَواته مع الرشيد ، قال : يا أبتِ ، أخذ بيدي أمير المؤمنين ثم أقبل على حُجرة يخترقها حتى انتهى إلى حُجْرة مغلقة ففُتِحتْ له ، ثم رجع مَن كان معنا من الخدَم ، ثم صرنا إلى حُجْرة مغلقة ففتحها بيده ودخلنا جميعاً وأغلقها من داخلٍ بيده ، ثم صرنا إلى رِواقٍ ففتحه وفي صدره مجلس مغلق فقعَد على باب المجلس ، فنقَر هارون الباب بيده نَقَراتٍ فسمِعنا حساً ، ثم أعاد النَّقرَ فسمِعنا صوتَ عود ، ثم أعاد النَّقْر ثالثةً فغنَّتْ جاريةٌ ما ظننت والله أن الله خلَق مِثْلَها في حُسْن الغِناء وجودة الضَّرب . فقال لها أمير المؤمنين بعد أن غنَّتْ أصواتاً : غَنِّي صوتي ، فغنَّتْ صوتَه ، وهو : [من الكامل]

صوت

ومُخنَّثٍ شَهِد الزِّفافَ وقَبْلَه غَنَّى الجواريَ حاسراً ومُنَقَّبا
لبِس الدَّلالَ وقامَ يَنْقُر دُفَّهُ نَقْراً أقرَّ به العيونَ وأطْرَبا
إنَّ النساءَ رأينه فعشِقْنَه فشكونَ شدّةَ ما بهنَّ فأكذبا

في هذا اللحن خفيفُ رملٍ نسبه يحيى المكي إلى ابن سريج ولم يصح له ، وفيه خفيف ثقيل في كتاب عليّة أنه لها ، وذكر عبد الله بن محمد بن عبد الملك الزيات أنه لرَيِّقَ . واللَّحن مأخوذٌ من : [من الكامل]

إنَّ الرجالَ لهم إليكِ وسيلةٌ

وهو خفيف ثقيلٍ للهُذَلي ، ويقال إنه لابن سريج ، وهو يأتي في موضع آخر ، قال : فطرِبتُ والله طرباً هممتُ معه أن أنطح برأسي الحائطَ . ثم قال غنِّي : [من المديد]

طـــال تكذيبي وتصديقي

فغنَّت : [من المديد]

صوت

طالَ تكذيبي وتصديقي ... لم أَجِدْ عهــداً لمخلوقِ
إنَّ ناساً في الهوى غَدَروا ... أحدثــوا نَقْضَ المــواثيقِ
لا تَـراني بعدَهــم أبداً ... أشتكـي عِشقــاً لمعشوقِ

لحنُ عليّة في هذا الصوت هزج . والشعر لأبي جعفر محمد بن حُمَيد الطُّوسي وله فيه لحنٌ خفيف ثقيلٍ . ولعَرِيبَ فيه ثقيلٌ أول وخفيفُ ثقيل آخر ، قال : فرقَص الرشيد ورقصتُ معه ، ثم قال : امْضِ بنا فإني أخاف أن يبدو منا ما هو أكثر من هذا ، فمضَيْنا . فلما صرنا إلى الدِّهليز قال وهو قابض على يدي : أعرفتَ هذه المرأة ؟ قال قلت : لا يا أمير المؤمنين . قال : فإني أعلم أنك ستسأل عنها ولا تكتُم ذلك ، وأنا أُخبرك أنها عُلَيَّة بنتُ المهدي . ووالله لئن لَفَظْتَ به بين يَدَيْ أحدٍ وبلغني لأقتلنك . قال : فسمِعتُ جدي يقول له : فقد والله لفظتَ به ، ووالله ليقتلنَّك ! فاصنعْ ما أنت صانع .

نسبة الصوت الذي أُخذ منه :

[من الكامل]

ومُخَنَّثٍ شهِدَ الزِّفــافَ وقَبْلَه

صوت

[من الكامل]

إنَّ الرجــالَ لهــم إليــكِ وسيلةٌ ... إن يأخــذوكِ تَكَحَّلي وتَخَضَّبي
وأنــا امــرؤٌ إن يأخذوني عَنْــوةً ... أُقْـرَنْ إلى سَيْرِ الرِّكابِ وأُجْنَبِ

ويكونُ مركبُكَ القَعودَ وحِدْجَه   وابنُ النَّعامةِ يومَ ذلك مَرْكَبي[1]

الناس يَرْوون هذه الأبيات لعنترة بن شَداد العَبْسي ، وذكر الجاحظ أنها لخُزَز بن لَوْذان ، وهو الصحيح . وخُزَزٌ شاعرٌ قديم يقال إنه قبل امرىء القيس . وقد اختُلِف في معنى قوله «ابن النعامة» فقال أبو عبيدة والأصمعي : النعامة فرسُه وابنُها ظِلُّها . يقول : أُقاد في الهاجرة إلى جَنْبها فيكون ظِلِّي كالراكب لظِلِّها . وقال أبو عمرو الشَّيْباني : ابن النَّعامة مُقَدَّم رِجْله مما يَلي الأصابع . يقول : فلا يكون لي مركبٌ إلا رِجلي . وقال خالد بن كلثوم : ابن النعامة الخشبة التي يُصْلَب عليها . يقول : أُقْتَلُ وأُصْلَبُ فتكون الخشبة مركبي . واحتجَّ مَن ذكر أنه يَعني ظلَّ فرسه وأنه يكون كالراكب له بقول الشاعر[2] :   [من الكامل]

إذ ظَلَّ يحسَبُ كلَّ شيءٍ فارساً   ويَرى نعامةَ ظِلِّه فيَحُولُ

قال : وابن النعامة : ظِلُّ كلِّ شيء . وقد مضى هذا الصوت مفرداً مع خبره في موضع آخر .

[مزيد من غنائها للرشيد]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا أحمد بن يزيد المهلَّبي قال حدثنا حماد بن إسحاق قال : زار الرشيد عليَّة فقال لها : بالله يا أُختي غَنِّيني . فقالت : وحياتِك لأعملنَّ فيك شعراً ولأعملنَّ فيه لحناً ، فقالت من وقتها :   [من الكامل]

صوت

تَفديك أُختُك قد حَبَوْتَ بنعمةٍ   لسنا نَعُدُّ لها الزمانَ عديلا

إلاَّ الخلودَ ، وذاك قربُك سيِّدي   لا زالَ قربُك والبقاءُ طويلا

وحَمِدتُ ربِّي في إجابةِ دعوتي   فرأيتُ حمدي عندَ ذاكَ قليلا

وعَمِلتْ فيه لحناً من وقتها في طريقة خفيف الرَّمل ، فأطربَ الرشيد وشرب عليه بقيَّة يومه .

قال : وقالت للرشيد أيضاً وقد طلب أختَها ولم يطلبها .

صوت

[من البسيط]

ما لي نُسِيتُ وقد نُودِي بأصحابي   وكنتُ والذِّكْرُ عندي رائحٌ غادي

---

1 القعود : ما يخصص للركوب من الإبل . الحدج : من مراكب النساء .

2 البيت لجرير ، ص 382 (طبعة دار صادر) .

أنـا التي لا أطيقُ الدَّهْرَ فُرْقَتَكم فَرِقٌ لي يا أخي مـن طولِ إبعادِ

قال : وغنّت فيه لحناً من الثقيل الثاني ، وبعثت مَن غناه للرشيد ، فبعث فأحضرها .

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني عون بن محمد قال حدثني زُرْزُور الكبير غلام جعفر بن موسى الهادي : أن عليّة حجَّتْ في أيام الرشيد ، فلما انصرفتْ أقامت بطِيزَناباذَ[1] أياماً ، فانتهى ذلك إلى الرشيد فغضِب . فقالت علية : [من الخفيف]

صوت

أيُّ ذنـبٍ أذنبتُـه أيُّ ذنبٍ أيُّ ذنبٍ لـولا رجائي لربِّي

بمُقامـي بطِيزَنابـاذَ يومـاً بعـدَه ليلـةٌ على غيرِ شُرْبِ

ثـم باكرتُهـا عُقاراً شَمُولاً تَفتِـنُ الناسِكَ الحليمَ وتُصْبي

قَرْقَفاً قهـوةً تراهـا جَهُولاً ذاتَ حِلْم فَرَّاجَـةٌ كلَّ كَرْبِ

قال : وصنعتْ في البيتين الأولين لحناً من خفيف الثقيل ، وفي البيتين الأخيرين لحناً من الرمل . فلما جاءت وسمِع الشعر واللحنين رضي عنها .

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني عبد الله بن المعتز قال حدثني عبد الله بن إبراهيم بن المهدي قال : اشتاق الرشيد إلى عمتي عليّة بالرَّقة ، فكتب إلى خالها يزيد بن منصور في إخراجها إليه فأخرجها . فقالت في طريقها : [من البسيط]

صوت

اشْرَبْ وغَنِّ على صوتِ النَّواعِيرِ مـا كنتُ أعرِفها لولا ابنُ منصورِ

لـولا الرجاءُ لمـن أمَّلتُ رُؤْيَتَه مـا جُزْتُ بغدادَ في خوفٍ وتغريرِ

وعَمِلتْ فيه لحناً في طريقة الثقيل الأول .

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني أحمد بن محمد بن إسحاق قال حدثنا الهِشامي أبو عبد الله قال : لما خرج الرشيد إلى الرَّي أخذ أُخته عُليّة معه . فلما صار بالمَرْج عمِلتْ شعراً وصاغت فيه لحناً في طريقة الرمل وغنت به ، وهو : [من الطويل]

صوت

ومُغْتَرِبٍ بالمَـرْج يَبْكي لِشَجْوِهِ وقد غابَ عنه المُسعِدون على الحبِّ

---

1 طيزناباذ : موضع بين الكوفة والقادسية .

إذا ما أتاه الرَّكْبُ مِن نَحوِ أرضِه تنشَّق يَسْتشفي برائحةِ الرَّكْبِ

فلما سمِع الصَّوت علِم أنها قد اشتاقت إلى العراق وأهلِها به فردها .

ونسختُ من كتاب هارون بن محمد الزيات حدثني بعضُ موالي أبي عيسى بن الرشيد عن أبي عيسى : أن عليّة غنَّتِ الرشيد في يوم فِطر : [من البسيط]

صوت

طالتْ عليَّ ليالي الصَّومِ واتصلتْ حتى لقد خِلتُها زادتْ على الأَبدِ

شوقاً إلى مجلس يُزْهَى بصاحبِهِ أُعِيذُه بجلالِ الواحدِ الصَّمَدِ

الغناء لعلية ثاني ثقيل لا يُشَكّ فيه ، وذكر بعضُ الناس أنه للواثق ، وذكر آخرون أنه لعبد الله بن العباس الربيعي . والصحيح أنه لعلية . وفيه لعريب ثقيلٌ أول غنَّته المعتمد يوم فِطْر فأمر لها بثلاثين ألف درهم .

[ضربت وكيلها وحبسته لخيانته]

وقال ميمون بن هارون حدثني أحمد بن يوسف أبو الجَهم قال : كان لعلية وكيل يقال له سِباعٌ ، فوقفتْ على خيانته فضربته وحبسته ، فاجتمع جيرانه إليها فعرفوها جميلَ مذهبه وكثرة صِدْقه[1] ، وكتبوا بذلك رقعة ، فوقعتْ فيها : [من الطويل]

ألا أيُّهَذا الراكبُ العِيسَ بَلِّغَنْ سِباعاً وقُلْ إن ضَمَّ دارَكم السَّفْرُ

أتَسْلُبني مالي وإنْ جاءَ سائلٌ رَقَقْتَ له أنْ حطَّه نحوَكَ الفقرُ

كشافيةِ المَرْضَى بعائدةِ الزِّنا تؤمِّل أجراً حيثُ ليس لها أجرُ

[تركت الغناء لموت الرشيد]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني ميمون بن هارون قال حدثتني عَلَمُ السَّمراءِ جارية عبد الله بن موسى الهادي أنها شَهِدَتْ عُلَيَّة غَنَّت الأمين في شعر لها ، وهو آخر شعر قالته فيه ، وطريقته من الثقيل الثاني . وكانت لما مات الرشيد جَزِعتْ جَزَعاً شديداً وتركت النَّبيذَ والغِناء . فلم يزل بها الأمينُ حتى عادت فيهما على كرهٍ . والشعر : [من البسيط]

صوت

أَطَلْتِ عاذِلَتي لَوْمي وتَفْنِيدي وأنتِ جاهلةٌ شوقي وتَسْهِيدي

1 ل : صدقته .

لا تَشْرَبِ الرَّاحَ بين المُسْمِعاتِ وزُرْ ظَبْياً غَرِيراً نَقيَّ الخدِّ والجِيدِ
قد رنَّحتْه شَمُولٌ فَهْوَ مُنْجَدِلٌ يَحْكِي بوجنته ماءَ العناقيدِ
قامَ الأمينُ فأغْنى الناسَ كلَّهمُ فما فقيرٌ على حالٍ بموجودِ

لحن علية في هذا الشعر ثاني ثقيل . ولعريب فيه هزج ، وقيل إنَّ الهَزج لإبراهيم بن المهدي .

[شعرها في لبانة بنت أخيها]

وقال ميمون بن هارون حدثني محمد بن أبي عون قال حدثتني عريب أن علية قالت في لبانة بنتِ أخيها علي بن المهدي شعراً وغنَّت فيه من الثقيل الأول : [من الطويل]

صوت

وحدثني عن مجلسٍ كنتِ زَيْنَه رسولٌ أمينٌ والنساءُ شُهودُ
فقلتُ له كُرَّ الحديثَ الذي مَضى وذِكْرَكِ مِن ذاك الحديث أريدُ

وقد ذكر الهشامي أن هذا اللحن لإسحاق غنَّاه بالرَّقَّة . وليس ذلك بصحيح .

[أذهلت إسماعيل بن الهادي بغنائها]

أخبرني محمد بن يحيى عن عون بن محمد عن أبي أحمد بن الرشيد . ونسخت هذا الخبر من كتاب محمد بن الحسن عن عون بن محمد عن أبي أحمد بن الرشيد واللفظُ له قال : دخل يوماً إسماعيل بن الهادي إلى المأمون ، فسَمِع غِناءً أذهله . فقال له المأمون : مالَكَ ؟ قال : قد سَمِعتُ ما أذهلني ، وكنتُ أُكذِّب بأن الأُرْغُن الرُّومي يقتُل طرباً ، وقد صدقتُ الآن بذلك . قال : أَوَ لا تَدْرِي ما هذا ؟ قال : لا والله ! قال : هذه عَمَّتُك عليّة تُلقي على عمِّك إبراهيمَ صوتاً من غِنائها . إلى هاهنا رواية محمد بن يحيى . وفي رواية محمد بن الحسن قال : هذه عمَّتُك تُلقي على عَمِّك إبراهيم صوتاً استحسنه من غنائها . فأصغيتُ إليه فإذا هي تُلقي عليه : [من الخفيف]

صوت

ليس خَطْبُ الهوى بخطبٍ يسيرِ ليس يُنْبِيكَ عنه مِثْلُ خبيرِ
ليس أمرُ الهوى يُدَبَّر بالرأ ي ولا بالقياسِ والتفكيرِ

اللَّحنُ في هذا لعليّة ثقيل أوَّل . وفيه لإبراهيم بن المهدي ثاني ثقيل عن الهشامي .

[وفاتها]

أخبرني جحظة قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي عن أبيه : أن عليّة بنت المهدي وُلِدتْ سنة ستين ومائة ، وتُوفِّيتْ سنة عشر ومائتين ولها خمسون سنة . وكانت عند موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس . وأخبرني محمد بن يحيى عن عون بن محمد قال حدثني محمد بن علي بن عثمان قال : ماتت علية سنة تسع ومائتين ، وصلى عليها المأمون . وكان سبب وفاتها أن المأمون ضمَّها إليه وجعل يقبِّل رأسها ، وكان وجهُها مُغَطىً ، فشَرِقت من ذلك وسعَلتْ ثم حُمَّتْ بعَقِب هذا أياماً يسيرةً وماتت .

وممن صنع من أولاد الخلفاء أبو عيسى بن الرشيد

فمن صنعته : [من مجزوء الرجز]

صوت

قـام بقلبـي وقَعَـدْ ... ظبيٌ نَفـى عنّي الجَلَدْ
خلَّفنـي مُدَلَّهـا ... أهِيـمُ في كلِّ بَلَـدْ
أَسْهَـرني ثـم رَقَـدْ ... وما رثى لي من كَمَدْ
ظبيٌ إذا ازددتُ لـه ... تذلُّـلاً تـاه وصَدّ
واعَطَشا إلى فَـمٍ ... يَمُجُّ خمراً مـن بَرَدْ

عروضه من مجزوء الرَّجَز . والشعر والغِناء لأبي عيسى بن الرشيد ، ولحنُه فيه ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى من روايتي عبد الله بن المعتز والهشامي . وذكر الهشامي أن له أيضاً فيه لحناً من ثقيل الرمل ، وذكر حبشٌ أن الرمَل لحسين بن مُحْرِز . وفيه لأبي العَنْبَس بن حمدون خفيف ثقيلٍ .

[164] ـ أخبار أبي عيسى بن الرشيد ونسبه

[شيء من أوصافه]

اسمه أحمد ، وقيل بل اسمه صالح بن الرشيد . وهذا النَّسبُ أشهرُ من أن يُشْرَح [1] . وأُمُّه أمُّ ولدٍ بَرَبَرِيَّة . وكان من أحسنِ الناس وجهاً ومجالسة وعِشرة ، وأمجنهم وأحدّهم نادرةً وأشدهم عَبَثاً . وكان يقول شعراً ليِّناً طيِّباً من مثْله .

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد الوراق قال حدثني محمد بن عبد الله بن طاهر أنه سمع أباه يقول : سمعتُ أبي (يعني طاهر بن الحسين) يحدث أنه سمع الرشيد يقول للمأمون : أنت تعلم أنك أحبُّ الناس إليَّ ، ولو أستطيع أن أجعل لك وجه أبي عيسى لفعلت .

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني مسيَّح بن حاتم العُكْلي قال حدثنا إبراهيم بن محمد قال : كان يقال : انتهى جمالُ وَلَد الخلافة إلى أولاد الرشيد ، ومن أولاد الرشيد إلى محمد وأبي عيسى . وكان أبو عيسى إذا عزَم على الركوب جلس الناس له حتى يَرَوه أكثر مما يجلسون للخلفاء .

[مدحت عريب حسنه وغناءه]

حدثني محمد قال حدثني يعقوب بن بَنان قال حدثني علي بن الحسين الإسكافي قال : كنتُ عند أبي الصَّقْر إسماعيلَ بن بُلْبُل وعنده عَرِيب ، فسمعتُها تقول : انتهى جمالُ الرشيد إلى محمد الأمين وأبي عيسى ، ما رأى الناس مثلهما ، وكان المعتز في طِرازهما . قال : وسمعتُها تقول لأبي العباس بن حمدون : ما غناؤك من غِناء أبي عيسى بن الرشيد ! وما سمِعتُ قطُّ غِناءً أحسنَ من غنائه ، ولا رأيت وجهاً أحسن من وجهه .

[عجب الرشيد من جواب له في صباه]

أخبرني محمد قال حدثني الغَلابي قال حدثنا يعقوب بن جعفر قال : قال الرشيد لأبي عيسى ابنه وهو صبي : ليت جمالك لعبد الله (يعني المأمون) . فقال له : على أن حظَّه منك لي . فعجِب من جوابه على صِباه وضمَّه إليه وقبَّله .

---

1 ل : ينمى .

[سخط من رؤية هلال شهر رمضان]

وأخبرني الحسن بن علي وأحمد بن عبيد الله بن عمار قالا حدثنا عبدُ الله بن أبي سعد عن محمد بن عبد الله بن طاهر عن أبيه قال : حدثني مَن شَهِد المأمونَ ليلةً وهم يتراءَوْن هلالَ شهرِ رمضان وأبو عيسى أخوه معه وهو مُسْتَلْقٍ على قفاه ، فرأوْه وجعلوا يَدْعُون . فقال أبو عيسى قولاً أُنكِر عليه في ذلك المعنى . كأنه كان متسخِّطاً لورود الشهر ، فما صام بعده .

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا الحسين بن فَهم قال : قال أبو عيسى بن الرشيد : [من الطويل]

دهانيَ شهرُ الصَّومِ لا كان من شهرِ وما صُمْتُ شهراً بعدَه آخِرَ الدَّهرِ
فلو كان يُعْدِيني الإمامُ بقُدْرةٍ على الشهرِ لاستعدَيْتُ جهدي على الشَّهرِ

فناله بعقب قوله هذا الشعر صَرْعٌ ، فكان يُصْرَع في اليوم مرَّاتٍ إلى أن مات ، ولم يبلغ شهراً آخر .

[رأي إبراهيم بن المهدي في غنائه]

وذكر علي بن الهشامي عن جده ابن حمدون قال : قلت لإبراهيم بن المهدي : مَن أحسن الناس غناء ؟ قال : أنا . قلت : ثم مَن ؟ قال : أبو عيسى بن الرشيد . قلت : ثم مَن ؟ قال : مُخارق .

[عابث طاهر بن الحسين أمام المأمون]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني ابن أبي سعد قال حدثنا محمد بن عبد الله بن طاهر قال حدثنا محمد بن سعيد أخو غالب الصَّعْدي[1] قال : كان أبو عيسى بن الرشيد وطاهر بن الحسين يتغديان مع المأمون ، فأخذ أبو عيسى هِندَباءةً فغمَسها في الخلِّ وضرب بها عينَ طاهر الصحيحة . فغضِب طاهرٌ وشَقَّ ذلك عليه وقال : يا أمير المؤمنين إحدى عَيْنَيَّ ذاهبةٌ ، والأُخرى على يَدَيْ عَدْل ، يُفْعَل هذا بي بين يديك ؟! فقال له المأمون : يا أبا الطَّيِّب إنه والله لَيَعْبَث بي أكثر من هذا العَبَث .

[يُضحك المأمون وهو يخطب يوم الجمعة]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن طاهر قال حدثني أبو عيسى بن علي بن عيسى بن ماهان قال : بينا المأمونُ يخطُب يومَ الجمعة على المِنبر

1 نسبة إلى صعدة في اليمن .

بالرصافة وأخوه أبو عيسى تِلْقاءَ وجهه في المقصورة ، إذ أقبل يعقوب بن المهدي وكان أفسى الناس ، معروفاً بذلك . فلما أقبل وضع أبو عيسى كمَّه على أنفه ، وفَهِم المأمونُ ما أراد فكاد أن يضحَك . فلما انصرف بعَث إلى أبي عيسى فأحضره وقال له : والله لهمَمْتُ أن أبطحك فأضربك مائةَ دِرة ! ويْلَكَ ! أردتَ أن تفضَحني بين أيدي الناس يوم الجمعة وأنا على المنبر ؟ إياك أن تعود لمثل هذه ! . قال : وكان يعقوب بن المهدي لا يقدِر أن يُمْسك الفُساء إذ جاءه . فاتخذت له دايةٌ مُثَلَّثةً وطيَّبتْها وتنوَّقتْ فيها . فلما وضعتْها تحتَه فَسا ، فقال : هذه ليست بطيِّبة . فقالت له الداية : فديتُك ؛ هذه قد كانت طيِّبة وهي مثلثة ، فلما ربَّعتها فسدتْ . قال : وكان يعقوب هذا مُحمَّقاً ، كان يخطُر بباله الشيء فيشتهيه فيُثْبِتهُ في إحصاء خزائنه . فضَجَّ خازنُه من ذلك ، فكان يُثْبِتُ الشيء ثم يثبتُ تحتَه أنه ليس عنده ، وإنما أثبته ليكون ذكرُه عنده إلى أن يملِكه . فوُجِد في دفتر له فيه ثَبَتُ ثياب : «ثَبَتُ ما في الخزانة من الثِّياب المثقَّلة الإسكندرانية والهِشامية ، لا شيء ، أستغفر الله ، بل عندنا منها زرحية كانت للمهدي . الفصوص الياقوت الأحمر التي من حالها كذا وكذا لا شيء ، أستغفر الله ، بل عندنا منها دُرْجٌ كان فيه للمهدي خاتَمٌ هذه صفتُه» . فحُمِل ذلك الدفتر إلى المأمون ، فضحِك لما قرأه حتى فحَص برجله وقال : ما سمعتُ بمثل هذا قَط ! .

[كان المأمون يحبه]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا سليمان بن داود المهلَّبي قال حدثني الهيثم بن محمد بن عباد عن أبيه قال : كان المأمون أشد الناس حباً لأبي عيسى أخيه ، كان يُعِدُّه للأمر بعدَه ، وتذاكرنا ذلك كثيراً . وسمعتُه يقول يوماً : إنه ليَسْهُل عليَّ أمرُ الموت وفَقْدُ المُلك ، وما يسهل شيء منهما على أحد ، وذلك لمحبتي أن يَلِيَ أبو عيسى الأمرَ من بعدي لشدة حُبِّي إياه .

[محبته صيد الخنازير]

أخبرني محمد بن علي قال حدثني عبد الله بن المعتز قال : كان سبب موت أبي عيسى بن الرشيد أنه كان يحب صيد الخنازير ، فوقع عن دابَّته فلم يَسلَم دماغُه ، فكان يتخبط في اليوم مرَّاتٍ إلى أن مات .

[تعزية محمد بن عباد المأمون فيه]

حدثني محمد قال حدثنا أبو العَيناء قال حدثنا محمد بن عباد المهلبي قال : لما مات أبو عيسى بن الرشيد دخلتُ إلى المأمون وعِمامتي عليَّ ، فخلعت عِمامتي ونبذتُها وراءَ ظهري ، والخلفاء لا تُعَزَّى في العمائم ، ودنوتُ . فقال لي : يا محمد ، حال القَدَرُ دون الوَطَر[1] .

1 قريب من المثل «حال الأجل دون الأمل» في مجمع الميداني 1 : 204 .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، كلُّ مصيبةٍ أخطأتك تهون ، فجعل الله الحزنَ لك لا عليك .

[وفاته]

أخبرنا محمد قال حدثنا عون بن محمد قال سمعت هِبة الله بن إبراهيم يقول : مات أبو عيسى بن الرشيد سنة تسع ومائتين ، وصلّى عليه المأمون ونزل في قبره ، وامتنع من الطعام أياماً حتى خاف أن يَضُرَّ ذلك به .

[حزن المأمون عليه]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني أبو العيناء قال سمعت محمد بن عَباد يقول : لما توفي أبو عيسى بن الرشيد وجدَ المأمون عليه وَجْداً شديداً ، وكان له مُحِباً وإليه مائلاً . فركِب إلى داره حتى حضر أمرَه وصلَّى عليه ، وحضره الناس ، وكنتُ فيمن حضَر ، فما رأيتُ مُصاباً حزيناً قط أجمل أمراً في مُصيبةٍ ولا أُحْرَقَ وجداً منه من رجل صامت تجري دموعُه على خديه من غير كلح ولا استِنْثارٍ[1] .

[بكاء المأمون عليه]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن أبي سعد الوراق قال حدثني محمد بن عبد الله بن طاهر قال حدثني أبي قال قال أحمد بن أبي دُواد : دخلتُ على المأمون في أول صحبتي إياه وقد تُوفِّيَ أخوه أبو عيسى وكان له محباً وهو يَبكِي ويَمْسَح عينيه بمِنديل ، فقعَدتُ إلى جنب عمرو بن مَسعدَةَ وتمثَّلتُ قول الشاعر : [من السريع]

نَقْصٌ من الدنيا وأسبابِها ... نقصُ المنايا من بني هاشم

ولم يزل على تلك الحال ساعة يبكي ، ثم مسح عينيه وتمثل : [من الطويل]

سأبكيك ما فاضتْ دموعي فإن تَغِضْ ... فحسبُك مني ما تُجِنُّ الجوانحُ

كأنْ لم يَمُتْ حيٌّ سِواك ولم تَقُمْ ... على أحدٍ إلا عليكَ النوائحُ

ثم التفت إليَّ فقال : هِيه يا أحمد ! فتمثَّلتُ قولَ عبدة بن الطَّبيب : [من الطويل]

عليكَ سلامُ اللهِ قَيسُ بنَ عاصمٍ ... ورحمتُه ما شاءَ أن يترحَّما

تحيَّةَ مَنْ أَوْلَيْتَه منكَ نعمةً ... إذا زارَ عن شَحْطٍ بلادَك سلَّما

وما كان قيسٌ هُلْكُه هُلْكَ واحدٍ ... ولكنّه بنيانُ قومٍ تهدَّما

فبكى ساعةً ثم التفتَ إلى عمرو بن مسعدة فقال : هِيهِ يا عمرو ؛ قال : نعم يا أمير المؤمنين : [من الكامل]

---

1 كلح : يقال : كلح وجه الرجل أي تكشر في عبوس . والاستنثار : إخراج ما في الأنف .

بَكُّوا حُذَيْفَةَ لم تُبَكُّوا مثْلَه   حتى تعودَ قبائلٌ لم تُخْلَقِ

فإذا عريبُ وجَوارٍ معها يسمعنَ ما يدور بيننا ، فقلن : اجعلوا لنا معكم في القول نصيباً . فقال لها المأمون : قُولي ، فرُبَّ صوابٍ منكِ كثير . فقالت[1] : [من الطويل]

كذا فَلْيَجِلَّ الخطبُ ولْيَفْدَحِ الأمرُ   وليس لعينٍ لم يَفِضْ ماؤُها عُذْرُ

كأنَّ بني العباسِ يومَ وفاتِهِ   نجومُ سماءٍ خَرَّ من بينها البدرُ

فبكى وبكينا . ثم قال لها المأمون : نُوحِي ، فناحت ورد عليها الجواري . فبكى المأمون حتى قلتُ : قد خرجتْ نفسُه ، وبكَيْنا معه أحرَّ بكاء ، ثم أمسكتْ . فقال لها المأمون : اصْنَعي فيه لحناً وغَنِّي به . فصنعت فيه لحناً على مذهب النَّوْح وغنَّتْه إياه على العُود . فوالذي لا يُحْلَفُ بأجَل منه لقد بَكَيْنا عليه غِناءً أكثرَ مما بَكَيْنا عليه نَوْحاً .

[طلب المأمون من أبي العتاهية أن يسليه عنه]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا الطيبب بن محمد الباهلي قال حدثني موسى بن سعيد عن أخيه عمرو قال : لما مات أبو عيسى بن الرشيد وجَد عليه المأمون وَجْداً شديداً حتى امتنع من النوم ولم يَطعم شيئاً . فدخل عليه أبو العتاهية ، فقال له المأمون : حدِّثني يا أبا إسحاق بحديث بعض الملوك ممن كان في مثل حالنا وفارقها . فقال : يا أمير المؤمنين ، لبِس سليمان بن عبد الملك أفخرَ ثيابه ومَسَّ أَطْيَبَ طِيبه وركِب أَفْرَهَ خَيْلِه وتقدم إلى جميع مَن معه أن يركب في مثْلِ زِيِّه وأكمل سلاحه ، ونظر في مِرآته فأعجبتْه هيئتُه وحسنُه ، فقال : أنا الملك الشاب ، ثم قال لجارية له : كيف تَرَيْنَ ؟ فقالت : [من الخفيف]

أنتَ نِعْمَ المتاعُ لو كنتَ تَبْقى   غيرَ أنْ لا بقاءَ للإنسانِ

أنتَ خِلْوٌ من العيوبِ ومما   يكره الناسُ غيرَ أنّكَ فاني

فأعرض بوجهه ، فلم تدُر عليه الجمعة إلا وهو في قبره . قال : فبكى المأمون والناس ، فما رأيت باكياً أكثرَ من ذلك اليوم . قال : وهذان البيتان لموسى شهوات .

[بعض أصواته]

ومن غناء أبي عيسى وجَيِّد صنعته ، والشعرُ له ، وطريقتُه من الثقيل الثاني مطلق في مجرى البنصر . وذكر حَبَشٌ أن فيه لحسين بن مُحرِز أيضاً صنعةً من خفيف الرمل : [من مجزوء الخفيف]

---

1 هذان البيتان لأبي تمام في رثاء محمد بن حميد الطوسي الذي قتل سنة 214هـ ، وقد تقدم أن أبا عيسى توفي سنة 209هـ . وقد تغيرت «كأن بني نبهان . . .» إلى «كأن بني العباس . . .» .

صوت

رَقَـدَتْ عنك سَلْوتي　　　والهــوى ليس يَرْقُــدُ
وأطـــارَ السُّهادُ نــو　　　مــي فنومــي مُشَرَّدُ
أنتَ بالحُسْنِ منكَ يا　　　حَسَنَ الوجـهِ تَشْهَـدُ
وفـؤادي بحُسْنِ وجـ　　　ـهِك يَشْقـى ويَكْمَدُ

ومن غِنائه أيضاً وهو من صدور صنعته في شعر الأخطل ، ولحنه من الثقيل الأول : [من الطويل]

صوت

إذا ما زيادٌ عَلَّني ثــم عَلَّنِي　　　ثــلاثَ زُجاجاتٍ لهنَّ هَديرُ
خرجتُ أجُرُّ الذيلَ حتى كأنني　　　عليـك أميــرَ المؤمنــين أميرُ

ولإسحاق في هذا الشعر رمل بالبِنصر عن عمرو .

[165] ـ وممن عرفت له صنعة من أولاد الخلفاء عبد الله بن موسى الهادي

فمن صنعته :

صوت

[من المتقارب]

تقاضاكَ دهـرُكَ مـا أسْلَفـا وكـدَّرَ عيشَكَ بعـدَ الصَّفا

فـلا تَجْزَعـنَّ فإنَّ الزمـانَ رهـينٌ بتشتيت مـا ألَّفـا

وما زالَ قلبُكَ مأوى السرور كثيرَ الهـوى ناعِمـاً مُتْـرَفاً

ألـحَّ عليـكَ برَوْعاتـه وأقبـلَ يَرْمِيـكَ مُسْتهـدِفا

الشعر والغِناء لعبد الله بن موسى . ولحنه ماخُوري وهو خفيفُ الثقيل الثاني بالوسطى .

[ضرب ثقيفاً الخادم رأسه بالعود فحلم عليه]

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني أبو حشيشة قال : كان عبد الله بن موسى الهادي أضْرَبَ الناسِ بالعود وأحسنَهم غِناء . وكان له غلام أسود يقال له قَلَمٌ ، فعلَّمه الصوت وحذَّقه . فاشترته منه أُم جعفر بثلثمائة ألف درهم . قال أبو حشيشة فحدثني دلشاد غلام عبد الله بن موسى قال : كنت أنا وثَقِيفٌ الخادمُ الأسودُ مولى الفضل بن الربيع نُضارِب مولاي عبدَ الله بنَ موسى وقد أخذ النَّبيذُ من الجماعة . فضرَب عبدُ الله وثَقِيفٌ صوتا فاختلفا فيه وتشاجرا . فقال عبد الله : كذا أخذتُه من منصور زَلْزَل . وقال ثَقِيفٌ : كذا أخذتُه منه ، وطال تشاجُرُهما فيه . وكان ثقيف مُعَرْبِداً يَذْهَبُ عقلُه من أدنى شيء يشربه ، وكان عبد الله أيضاً معربِداً . فغضِب ثقيف ورفعَ العودَ وهو لا يعقِل ، فضرَب به رأسَ عبدِ الله بن موسى فطوقه إيَّاه . وابتدر خَدَمُ عبدِ الله ؛ فقال لهم عبد الله بن موسى : لا تَمَسُّوه وأخرِجوا العودَ من عُنُقي فأخرجوه . وكان عبدُ الله بن موسى أشدَّ خَلْقِ الله عَرْبَدَةً أيضاً ، فرُزِق في ذلك اليوم حِلماً لم يُرَ مِثْلُه ، وقال لخَدَمه : إن قتلتُه قتلتُ كلباً وتحدث الناسُ بذلك ، ولكن اخلَعوا عليه وهَبُوا له ولا يدخل منزلي أبداً .

[الحفصي المعزفي يؤثر عليه أخاه إسماعيل]

قال جحظة قال أبو حشيشة أخبرني الحفصي المِعْزَفيّ قال : دعاني عبد الله بن موسى يوماً ودعاني أخوه إسماعيل ؛ فآثرت إسماعيل لِما كان في عبد الله من العربدة . فلم نشعُر إلا بعبد الله قد وافانا وقت العصر على بِرْذَوْنٍ أشهب متقلِّداً سيفاً وهو سكران . فلما رأيناه تطايرنا في الحُجر ، فنزلَ عن دابَّته وجلس . وجثا إسماعيل بين يديه إجلالاً له ، وقال له : يا سيدي قد سَرَرْتَني بتفضُّلكَ ومَصِيرِك إليَّ . قال : دَعْني من هـذا ، مَن عندك ؟ قال : فلان وفلان ، فعَدَّ جماعةَ مَن كان عنده . قال له : هاتِهم . فدعا بنا فخرجنا وقد مُتْنا فَزَعاً . فأقبل عليَّ من بينهم فقال لي : يا حَفْصِي ! أَبْعَثُ إليك ثلاثةَ أيامٍ تباعاً فتَدَعُني وتجيء إلى إسماعيل ! وضرَب بيده إلى سيفه ، فقام إسماعيل بيني وبينه وقال : نَعَمْ ! يَجيئني ويَدَعُك ؛ لأنه لا يَنْصرِفُ من عندك إلا بِشَجَّةٍ أو عَرْبَدَةٍ مع حِرمان ، ولا ينصرف من عندي إلا ببِرٍّ مع خِلْعةٍ ووعدٍ مُحَصَّل ، أفَتلومُه على ذلك ؟ . فكَفَّ عبدُ الله وكان شديدَ العَرْبَدَة وقام وانصرف .

[شعره في خادم لصالح بن الرشيد]

أخبرني الصُّولي قال حدثني عون بن محمد الكِنْدِي قال حدثني محمد بن إسماعيل عن أبيه سليمان بن داود ، وكان يكتب لأبي جعفر ، قال : كنتُ جالساً مع عبد الله بن موسى الهادي ، فمر به خادمٌ لصالح بن الرشيد . فقال له : ما اسمك ؟ فقال له : اسمي «لا تَسَلْ» . فأعجبه حُسْنُه وحُسْنُ مَنْطِقه فقال لي : قُمْ بنا حتى نُسَرَ اليوم بذكر هذا البدر ، فقمتُ معه . فأنشدني في ذلك اليوم : [من مجزوء الرجز]

وشادنٍ مـــرَّ بنـــا ... يجـرَحُ باللَّحْظِ المُقَلْ
مظلـومُ خَصْرٍ ظـالمٍ ... منـه إذا يمشي الكَفَلْ
اعتدلـتْ قامتُـه ... واللحْظُ منـه مـا عَدَلْ
بـدرٌ تـراه أبـداً ... طالِعَ سعـدٍ مـا أَفَلْ
سألتُـه عـن اسمـه ... فقال لي اسمي «لا تَسَلْ»
وأُطْلِعَـتْ في وجنتيـ ... ـه وَرْدتان مـن خَجَلْ
فقلـتُ مـا أخطأ مَـنْ ... سمّـاكَ بل قـال المَثَلْ
لا تسألـنْ عـن شادنٍ ... فـاقَ جمـالاً وكَمُلْ

قال : وقال فيه ، وقد قيل إنه من هذه الأبيات : [من مجزوء الرجز]

عـزَّ الذي نَهْوى وذَلّ ... صَبُّ الفـؤادِ مُخْتَبَلْ

لَجَّ بــه الهجرُ وذا الـ ـــهجرُ إذا لَـــجَّ قَتَلْ
مـــن شادِنٍ مُنْتَطِـقٍ فـــاق جَمـــالاً وكَمَلْ
تناصـفَ الحُسْنُ بـــه فلا تَسَلْ عن «لا تَسَلْ»

[كان له ابن جيد الضرب]

وقال العتابي حدثني محمد بن أحمد المكي عن أبيه قال : دعاني عبد الله بن موسى يوماً فقال لي : أتُقَوِّم غلاماً ضارباً مُغَنِّياً قِيمةَ عدلٍ لا حَيْفَ فيه على البائع ولا على المشتري ؟ فقلت نعم . فأخرج إليَّ ابنه القاسمَ وكنتُ قد عرَفتُه ، وهو أحسن من القمر ليلةَ البدر ، فأخذ عوداً فضرب ، فأكبَبْتُ على يديه أُقَبِّلهما . فقال لي عبد الله : أتُقَبِّل يَد غلامٍ مملوك ؟ ! قلت : بأبي وأُمِّي هو من مملوك ! وقَبَّلْتُ رجلَه أيضاً . فقال : أما إذ عرفته فأُحِبُّ أن تضارِبَه ؛ ففعلت . فلما رأى الغلامُ زيادتي عليه في الضَّرْب اغتمَّ وأقبل على أبيه فقال له كالمعتذر من ذنبه : أنا مُتَلَذِّذٌ وهذا مُتَكَسِّبٌ . فضحِكتُ وقلت : هو ذاك يا سيدي . وعجِبت من حِدَّة جوابه معتذراً على صغَر سنِّه .

[كريم ممدح]

أخبرني الصُّولي قال حدثني عبد الله بن المعتز قال : كان عبد الله بن موسى جواداً كريماً ممدَّحاً ، وفيه يقول الشاعر ، وفيه لعلويه لحن من خفيف الثقيل الأول بالبنصر : [من الوافر]

أعبـــدَ اللهِ أنـــتَ لنـــا أميرُ وأنتَ مـــن الزمانِ لنا مُجيرُ
حكَيْتَ أباكَ موسى في العَطايا إمـــامُ الناسِ والملـكُ الكبيرُ

[غنى بشعر لعمر بن أبي ربيعة]

قـال محمـد بن يحيـى والعَتَّـابي : ولعبد الله بـن موسى غِناءٌ في قـول عمر بـن أبي ربيعة : [من مجزوء الخفيف]

صوت

إنَّ أسمــــاءَ أرسلتْ وأخـــو الشوقِ مُرْسِلُ
أرســـلتْ تَستَزِيـــرُني وتُفَــــدِّي وتعـــذِلُ

ولحنُه فيه رَمَلٌ . قال : وفيه لابن سُرَيج والغَرِيض ومالك ألحانٌ .

[وفاته]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش في كتاب المُغتالين قال حدثني أبو سعيد السُّكَّري عن محمد بن حبيب قال : كان عبد الله بن موسى الهادي مُعَرِبداً ، وكان قد أعضل بالمأمون مما

يُعَرْبِدُ عليه إذا شرِب معه . فأمر بأن يُحبَس في منزله فلا يخرجَ منه ؛ وأُقْعد على بابه حَرَساً . ثم تذمَّم من ذلك فأظهر له الرِّضا وصرَف الحَرَس عن بابه ، ثم نادمه فعَرْبَد عليه أيضاً وكلَّمه بكلام أحفظه . وكان عبد الله مُغرَماً بالصَّيد ، فأمر المأمونُ خادماً من خواص خدمه يقال له «حسين» فسَمَّه في دُرَّاج وهو بموسى أباد ، فدعا عبد الله بالعشاء ، فأتاه حسين بذلك الدُّراج فأكله . فلما أحَسَّ بالسم ركِب في الليل وقال لأصحابه : هو آخر ما تروني . قال : وأكل معه من الدُّراج خادمان ، فأما أحدهما فمات من وقته ، وأما الآخر فبقِي مدة ثم مات ، ومات عبد الله بعد أيام .

ومن رويت له صنعة من أولاد الخلفاء
عبد الله بن محمد الأمين

فمن مشهور صنعته : [من الوافر]

أَلا يــا دَيْــرَ حَنْظَلَةَ المُفَدَّى لقــد أورثتني سَقَمــاً وكَدَّا
أَزُفُّ من العُقارِ إليــكِ زقاً وأجعلُ تحتَــه الوَرَقَ المُنَدَّى

الشعر والغناء لعبد الله بن محمد الأمين ، أخبرني بذلك محمد بن يحيى الصُّولي عن عبد الله بن المعتز وله فيه لحنان خفيفُ رملٍ وخفيفُ ثقيل . وفيه لعبد الله بن موسى الهادي رمل . وفيه ثاني ثقيل ، وذكر حبش ، وهو ممن لا يُحَصَّل قولُه ، أنه لحُنَين ، ولم يَصِح عندنا مَن صانِعُه .

[166] ـ أخبار عبد الله بن محمد ونسبه

[نسبه]

عبد الله بن محمد الأمين بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب . وأُمُّ عبد الله بن محمد أُمُّ وَلَد . وكان ظريفاً غَزِلاً يقول شعراً لَيِّناً ويصنع صنعةً صالحةً . وأُمُّ محمد الأمين زبيدة بنت جعفر بن المنصور . وزبيدة لَقَبٌ غلَب عليها ، واسمُها أَمَةُ العزيز . وكان المنصور يرقِّصها وهي صغيرة ، وكانت سمينة حسنة البدن ، فيقول لها : يا زبيدة يا زبيدة ، فغلَب عليها ذلك .

[أبو نهشل يحث أخاه على التنازل عن جاريته له]

أخبرني الصولي قال حدثني عون بن محمد الكِنْدي قال : كانت بين عبد الله بن محمد الأمين وبين أبي نهشل بن حُميد مودة . فاعترض عبد الله جاريةً مغنِّية لبعض نساء بني هاشم وأَعْطى بها مالاً عظيماً . فعرَفتْ منه رغبةً فيها فزادت عليه في السَّوْم ، فتركها ليكسِرهم . فجاء أخ لأبي نهشل بن حميد فاشتراها وزاد . فتبِعتْها نفسُ عبدِ الله ، فسأل أبا نهشل أن يسأل أخاه النزول له عنها ، فسأله ذلك فوعده ودافعه . فكتب عبد الله إلى أبي نهشل : [من السريع]

يـا ابنَ حُمَيْدٍ يا أبـا نهشلٍ ... مِفْتاحَ بـابِ الحَدَثِ المُقْفَلِ
يـا أكرمَ النـاسِ وِداداً وأر ... عاهـم لحـقٌ ضائـعٍ مُهْمَلِ
أحسنتَ في ودي وأجملتَ بل ... جُزْتَ فِعـال المُحْسِنِ المُجملِ
بيتُكَ في ذي يَمَـنٍ شامخٌ ... تَقْصُـر عنـه قُنَّتـا يَذْبُلِ
خلَفْتَ فينـا حاتماً ذا النَّدى ... وجُدْتَ جُوْدَ العارضِ المُسْبلِ
أَيُّ أخٍ أنـتَ لِذِي وَحْدَةٍ ... تركتَـه بالعِـزٌ في جَحْفِلِ
نجومُ حَظِّي منـكَ مَسْعودةٌ ... فيمـا أُرَجِّـي لَسْنَ بالأفَّلِ
فصَدِّقِ الظـنَّ بمـا قلتَـه ... وسَهِّـلِ الأمـرَ بـه يَسْهُلِ
لا تَحْرِمَنِّـي وَلَدَيْـكَ المُنَى ... بـاللهِ صَيْـدَ الرَّشأ الأَكْحَلِ
رُمِيتُ منـه بسِهامِ الهـوى ... ومـا دَرى بالرَّمْي في مَقْتَلي
أدنَيْتَني بالوعـدِ في صَيْدِه ... إدْنـاءَ عَطْشانٍ مـن المَنْهَلِ

ثـــم تناسيــتَ وأسْلَمْتَنـــي إلى مِطـــالٍ مُـوحش المَنْزِلِ
تركتَنـــي في لُجَّـــةٍ عائمـــاً لا أعرفُ المُدْبِـــرَ من مُقْبِلِ
صَرِّحْ بأمــرٍ واضحٍ بَيِّــنٍ لا خيرَ في ذي لَبَس مُشْكِلِ

قال : فلم يزل أبو نهشل بأخيه حتى نَزَل له عنها .

[مكاتبة بينه وبين أبي نهشل]

وأخبرني الصولي أيضاً بغير إسناد ، ووجدتُ هذا الخبرَ في كتابِ لمحمد بن الحسن الكاتب يَرويه عن أبي حَسَّان الفَزَاري قال : كان أبو نهشل بن حُمَيد صديقاً لعبد الله بن محمد الأمين ونديماً . وكانت لعبد الله ضيعة بالسواد تُعرف بالعَمرية ، فخرج إليها وأقام بها أياماً . فكتب إليه أبو نهشل : [من الطويل]

سقـى اللهُ بالعمريـةِ الغيثَ مَنْزِلاً حَلَلْتَ بــه يـا مؤنسي وأميري
فأنتَ الذي لا يخلُقُ الدهرَ ذكرُه وأنتَ أخـي حقاً وأنتَ سروري

فأجابه عبد الله : [من الطويل]

لئـن كنــتُ بالعَمْرِيةِ اليــومَ لاهياً فإنَّ هـواكم حيثُ كنتُ ضميري
فــلا تحسبنَّــي في هواكـم مُقَصِّراً وكنْ شافعي من سُخْطِكم ومُجيري

قال محمد بن الحسن في خبره : وصنع عبد الله في هذه الأبيات الأربعة لحناً ، وصنع فيها سُلَيم بن سَلاَّم لحناً آخر .

[نادم الواثق والخلفاء من بعده إلى المعتمد]

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا عبد الله بن المعتز قال : كان عبد الله بن محمد الأمين ينادِم الواثقَ ثم نادمَ بعده سائرَ الخلفاء إلى المعتَمِد . قال : وأنشدني له في المعتمد : [من المتقارب]

رأيــتُ الهـلالَ على وجهكا فمــا زِلتُ أدعــو إلهـي لكا
فــلا زلتَ تحيـا وأحيـا معاً وآمننـــي اللهُ مــن فَقْـــدِكا

قال : ومن شعره ، وله فيه لحنٌ من الرمل الثاني وهو خفيف الرمل : [من المجتث]

صوت

يـا مَنْ بــه كلُّ خَلْقٍ تــراه صَبّــاً مُتَيَّـمْ
ومَــنْ تَجالَـــلَ تِيهـاً فمــا تـــراه يُكَلِّـــمْ
لا شيءَ أعجبُ عنـدي ممـــن يـراكَ فيَسْلَـمْ

فأما دير حنظلة الذي ذكره في شعره وفيه الغناء المذكور من صنعته متقدِّماً ، فإنه دير بالجزيرة . أخبرني بخبره هاشم بن محمد أبو دُلَفَ الخُزاعي قال حدثنا الرياشي قال أنشدني أبو المُحَلم لحنظلة بن أبي عَفْراء أحد بني حيَّة الطائيين وهم رَهْطُ أبي زبيد ورهط إياس بن قبيصة : [من الطويل]

ومهما يكــنْ رَيْبُ الزمانِ فإنني أرى قمـرَ الليـلِ المُغَرِّبَ كالفتى
يَهُـلُّ صغيراً ثـم يعظُـمُ ضَوْؤُه وصورتُه حتى إذا ما هــو استوى
تقـارب يخبــو ضَوْءُه وشُعاعُه ويَمْصَحُ حتى يَستَسِرَّ فلا يُرى[1]
كذلك زَيْدُ المـرء ثــم انتقاصُه وتَكْرارُه في دهرِه بعد مـا مضى
تُصَبِّحُ أهـلَ الدَّارِ والدَّارُ زِينـةٌ وتأتي الجبالَ من شَماريخها العُلا
فلا ذا غنيٍّ يُرْجِئْنَ عن فضلِ مالِه وإن قال أخِّرْني وخُذْ رِشوةً أبى
ولا عــن فقيرٍ يــأْتَخِرْنَ لفقـرِه فتنفعَه الشكوى إليهـنَّ إن شَكا

قال : وكان حنظلة هذا قد تعبَّد في الجاهلية وتفكر في أمر الآخرة وتنصَّر وبَنى ديراً بالجزيرة ؛ فهو الآن يُعرَف به ويقال له دير حنظلة . وفيه يقول الشاعر : [من الكامل]

يـا دَيْــرَ حَنْظَلَةَ المهيِّج لي الهَوى قــد تستطيـعُ دواءَ عشقِ العاشِقِ

---

1 يمصح : يذهب . ويستسر : يستتر .

[167] ـ وممن صنَع من أولاد الخلفاء
أبو عيسى بن المتوكل

كان عبد الله بن المتوكل جمع له صنعةً مقدارُها أكثر من ثلثمائة صوت ، منها الجيِّد الصنعة ومنها المتوسط ، قد سمِعنا كثيراً منها ؛ إلا أني أذكر من ذلك ما عرَفتُ شاعرَه وكان له خبرٌ يتصل به حَسَبَ ما شَرَطْناه في هذا الكتاب وضَمَّناه إياه من الأخبار ، ثم أذكر أخبارَ أبي عيسى بعد ذلك .

قال ابن المعتز حدثني النُّميري قال سمِعت أبا عيسى بن المتوكِّل يقول : إذا أتممتُ صنعة ثلثمائة صوت وستين صوتاً عدد أيام السنة تركتُ الصنعة ، فلما صنعها ترك الصنعة . فمنها ، وهو لعمري من جَيد الغِناء وفاخِرِ الصنعة ، ولو لم يصنع غيرَه لكفاه ، في شعر أبي العتاهية : [من المنسرح]

صوت

يَضْطَرِبُ الخوفُ والرجاءُ إذا حــرَّك موسى القضيبَ أو فَكَّرْ

ولحنُه من الثقيل الأول . والشعر لأبي العتاهية ، وقد مَضَتْ أخباره ؛ وإنما قدمتُ ذكرَه لجودة صنعته وأنه شُبِّه فيه بصنعة الفحول ومُحْكَمِ أغاني الأوائل .

ومنها : [من الطويل]

صوت

هي النفسُ مـا حَمَّلتَها تَتحمَّلُ وللدهـرِ أيــامٌ تَجـورُ وتَعْدِلُ
وعاقِبــةُ الصَّبرِ الجميلِ جميلةٌ وأفضلُ أخلاقِ الرجالِ التَّجَمُّلُ

الشعر لعلي بن الجَهم . والغناء لأبي عيسى بن المتوكل ، ثاني ثقيلٍ بالوسطى .

[168] ـ أخبار علي بن الجهم ونسبه[1]

[نسبه]

هو علي بن الجهم بن بَدْر بن الجهم بن مسعود بن أسيد بن أُذَيْنة بن كَرَّان بن كعب بن مالك[2] بن عيينة بن جابر بن الحارث بن عبد البيت بن الحارث بن سامة بن لُؤي بن غالب . هكذا يدعون ، وقريش تدفعهم عن النَّسَب وتسمِّيهم بني ناجية ، يَنسبونهم إلى أمهم ناجية ، وهي امرأة سامة بن لؤي . وكان سامة ، فيما يقال ، خرج إلى ناحية البحرين مغاضِباً لأخيه كعب بن لؤي في مُماظة[3] كانت بينهما ، فطأطأتْ ناقته رأسها إلى الأرض لتأخذ شيئاً من العشب ، فعلِق بمِشفرها أفعى فعطفته على قَتَبها فحكَّتْه به ، فدبَّ الأفعى على القَتَب حتى نهشَ ساقَ سامة فقتله . فقال أخوه يَرثيه[4] : [من الخفيف]

عـينُ جُودِي لسامَةَ بنِ لُؤيٍّ عَلِقــتْ ساقَ سامَــةَ العَلاقهْ[5]
رُبَّ كأسٍ هَرَقْتَهـا ابنَ لُـؤي حَـذَرَ المـوتِ لم تكنْ مُهْراقَهْ

وقال مَن يدفع بني سامة من نَسَّابي قريش : وكانت معه امرأته ناجية . فلما مات تزوجت رجلاً من أهل البحرين فولَدَتْ منه الحارث ، ومات أبوه وهو صغير . فلما ترعرع طمِعتْ أمّه في أن تلحقه بقريش ، فأخبرته أنه ابن سامة بن لؤي . فرحل من البحرين إلى عمِّه كعب وأخبره أنه ابن أخيه سامة . فعرَف كعب أُمَّه وظنَّه صادقاً في دعواه فقبله ومكث عنده مدةً ، حتى قدِم مكةَ رَكْبٌ من أهل البحرين ، فرأَوُا الحارثَ فسلَّموا عليه وحادثوه ساعةً . فسألهم عنه كعب بن لؤي ومن أين يعرفونه ، فقالوا له : هذا ابن رجل من أهل بلدنا يقال له فلان ، وشرحوا له خبره . فنفاه كعبٌ ونَفى أُمَّه ، فرَجعا إلى البحريـن فكانـا هنـاك ، وتزوج الحارث

1 ترجمة علي بن الجهم في معجم المرزباني : 286 وابن خلكان 3 : 355 وطبقات ابن المعتز : 319–322 وانظر مقدمة محقق ديوان (صادر ، بيروت) .

2 في ابن خلكان : بن كعب بن جابر بن مالك بن عتبة بن جابر بن الحارث بن قطن بن خديج بن قطن بن أُحزم بن ذهل بن عمرو بن مالك بن عبيدة بن الحارث بن سامة . . . وفي ل : عتبة بدلاً من عيينة .

3 مماظة : مخاصمة .

4 انظر حكاية سامة بن لؤي وبقية الأبيات في اللسان (مادة فوق) . وفيه أن الذي قال هذا الشعر يرثيه به امرأة الأزدي الذي نزل عليه في عمان فأعجبها ، ولما رحل لدغته حية كما جاء هنا .

5 العلاقة المنية ويريد بها هنا الحية .

وأَعْقَب هذا العَقِبَ . ورُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال : «عَمِّي سامَةُ لم يُعْقِبْ» . وكان بنو ناجيَةَ ارتدوا عن الإسلام . ولما وَلِيَ علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخلافة دعاهم إلى الإسلام ، فأَسْلَم بعضُهم وأقام الباقون على الردة فسَباهم واسترقَّهم ؛ فاشتراهم مَصْقَلَةُ بن هبيرة منه وأدى ثُلثَ ثمنهم وأشهد بالباقي على نفسه ، ثم أعتقهم وهَرَب من تحت ليلِه إلى معاوية ، فصاروا أحراراً ، ولزِمَه الثمنُ ، فشَعَّث[1] عليٌّ بن أبي طالب شيئاً من داره ، وقيل بل هدَمها . فلم يدخل مَصْقَلَةُ الكوفة حتى قُتِل علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

وزعم ابن الكلبي : أن سامةَ بن لؤي وَلَدَ غالبَ بن سامةَ وأُمُّه ناجيةُ ، ثم هلك سامةُ فخلَف عليها ابنه الحارث بن سامة ، ثم هلك ابنا سامة ولم يُعْقِبا ، وأن قوماً من بني ناجية بنت جَرْم بن رَبَّان عِلاف ادَّعَوْا أنهم بنو سامة بن لؤي ، وأن أمهم ناجية هذه ونَسَبوها هذا النسبَ ، وانْتَمَوْا إلى الحارث بن سامة وهم الذين باعهم علي بن أبي طالب إلى مَصْقَلَةَ . قال : ودليلُ ذلك وأن هؤلاء بنو ناجية بنت جَرْم قولُ علقمةَ الخَصي التَّميمي أحدِ بني ربيعةِ بن مالك : [من الوافر]

زعمتم أن ناجِيَ بنتَ جَرْمٍ ... عجوزٌ بعد ما بَلِيَ السَّنامُ
فإن كانت كذاك فألبِسوها ... فإنَّ الحَلْيَ للأُنثى تَمامُ

وهذا أيضاً قولُ الهيثم بن عدِي . فأما الزُّبير بن بكار فإنه أدخلهم في قريش وقال : هم قريشُ العازِبةُ . وإنما سُمُّوا العازِبةَ لأنهم عَزَبوا عن قومهم فنُسِبوا إلى أمّهم ناجية بنت جَرْم بن رَبَّان وهو عِلاف ، وهو أول من اتخذ الرِّحال العِلافيَّة فنُسِبَت إليه . واسم ناجية ليلى ؛ وإنما سُمِّيتْ ناجية لأنها سارت في مَفازةٍ معه فعَطِشَتْ فاستسقته ماء ، فقال لها : الماءُ بين يديكِ ، وهو يريها السَّرابَ ، حتى جاءت الماءَ فشربت وسُمِّيَت ناجية . وللزُّبير في إدخالهم في قريش مذهبٌ وهو مُخالَفةُ فِعْلِ أميرِ المؤمنين عليٍّ رضي الله عنه ومَيْلُه إليهم لإجماعهم على بُغْضِه رضي الله عنه ، حَسَبَ المشهور المأثور من مذهب الزُّبير في ذلك .

[شاعر فصيح خُصَّ بالمتوكل]

وكان علي بن الجَهْم شاعراً فصيحاً مطبوعاً ؛ وخُصَّ بالمتوكِّل حتى صار من جُلسائه ، ثم أبغضه لأنه كان كثير السِّعاية إليه بنُدَمائه والذِّكرِ لهم بالقبيح عنده ، وإذا خلا به عَرَّفه أنهم يَعيبونه ويَثْلِبونه ويتنقصونه ، فيكشف عن ذلك فلا يجد له حقيقة ، فنفاه بعد أن حبَسَه مدة . وأخبارُه تذكر على شرحٍ بعد هذا . وكان ينحو نحوَ مروان بنِ أبي حفصة في هجاء آل أبي طالب

1 فشعث : نقض جزءاً منها .

وذمهم والإغراء بهم وهجاء الشِّيعة ، وهو القائل[1] : [من الوافر]

ورافضةٌ تقولُ بشِعْبِ رَضْوى إمـامٌ ، خـابَ ذلك من إمامِ
إمـامٌ مَـنْ لـه عشرون ألفاً من الأتراكِ مُشْرَعَـةُ السِّهامِ[2]

وفيه يقول البحتري[3] : [من الوافر]

إذا مـا حُصِّلتْ عُلْيـا قُرَيْشٍ فـلا في العِيرِ أنتَ ولا النَّفِيرِ[4]
ومـا رُغَثاؤكَ الجَهْمُ بنُ بَدْرٍ مـن الأقمارِ ثَـمَّ ولا البدورِ[5]
ولـو أعطاك ربُّكَ مـا تَمَنَّى لـزادَ الخلقَ في عِظَمِ الأُيورِ
عَـلامَ هَجَوْتَ مجتهداً عليّاً بما لفَّقتَ مـن كَذِبٍ وزُورِ
أمَالَكَ في استِكَ الوَجْعاءِ شُغْلٌ يَكفُّكَ عـن أذى أهلِ القبورِ

وسمعه أبو العيناء يوماً يطعَن على علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال له : أنا أدري لِمَ تطعـن على علي أميرِ المؤمنين . فقـال لـه : أتعني قصة بَيْعه أهلي من مَصْقَلَة بن هُبيرة ؟ قال : لا ! أنت أوضع من ذلك ، ولكن لأنه قتلَ الفاعلَ فِعْلَ قوم لوطٍ والمفعول به ، وأنت أسْفَلُهما .

[هجا بختيشوع فحبسه المتوكل]

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن سعد الهشامي قال[6] : كان علي بن الجهم قد هجا بختيشُوع ، فسبَّه عند المتوكل فحبسه المتوكل . فقال علي بن الجهم في حبسه عدةَ قصائد كتب بها إلى المتوكل فأطلقه بعد سنة ، ثم نفاه بعد ذلك إلى خُراسان . فقال أولَ ما حُبِس قصيدةً كتب بها إلى أخيه ، أولها قوله : [من الوافر]

توكَّلنـا عـلى رَبِّ السمـاء وسلَّمْنـا لأسبـابِ القضـاء
ووطَّنَّـا عـلى غِيَرِ الليـالي نفوساً سامحـتْ بعـدَ الإبـاء
وأفْنِيـةُ الملـوك محجَّبـاتٌ وبـابُ اللهِ مبـذولُ الفِنـاء

---

1 ديوان علي بن الجهم : 210–211 .
2 إمام في الديوان : إمامي . عشرون في الديوان : سبعون .
3 ديوان البحتري : 1038 .
4 المثل : «لا في العير ولا في النفير» في مجمع الميداني 2 : 221 ومستقصى الزمخشري 2 : 376 .
5 الرغثاء : عرق في الثور يدر اللبن . وكنى به عن الأب .
6 ديوانه : 58–61 .

هـي الأيـامُ تَكْلُمُنا وتأسُو ... وتأتـــي بـالسعادةِ والشقاء
وما يُجْدِي الثَّراءُ على غَنِـيٍّ ... إذا مـا كانَ محظورَ العَطاء[1]
حَلَبْنا الدَّهْـرَ أشْطُرَهُ ومرّتْ ... بنـا عُقَبُ الشّدائـدِ والرَّخاء
وجرَّبْنـا وجـرَّبَ أُوَّلُونـا ... فـلا شيءٌ أعـزّ من الوفاء
ولم نَـدَعِ الحيـاءَ لمسِّ ضرّ ... وبعضُ الضرّ يذهـبُ بالحياء
ولم نَحْـزَنْ على دنيا تَوَلّتْ ... ولم نُسْبَـقْ إلى حُسْنِ العَزاء
تَوَقَّ الناسَ يـا ابنَ أبي وأُمّي ... فهـم تَبَـعُ المخافـةِ والرَّجاء
ولا يَغْرُرْكَ مـن وَغْـدٍ إخاءٌ ... لأمـر مـا غـدا حَسَنَ الإخاء
أَلَمْ تَـرَ مُظْهِريـنَ علـيَّ عَيْباً ... وهم بالأمسِ إخوانُ الصَّفاء[2]
فلما أن بُلِيتُ غَـدَوْا وراحُوا ... عـليَّ أشدَّ أسبـابِ البَلاء
أبَتْ أخطارُهم أن يَنْصُروني ... بمـالٍ أو بجـاه أو ثَراء
وخافُـوا أن يقالَ لهـم خَذَلتم ... صديقاً فادّعَوْا قِـدَمَ الجَفاء
تضافرتِ الرَّوافِضُ والنصارى ... وأهـلُ الاعتـزالِ على هِجائي

يعني بأهل الاعتزال علي بن يحيى المنجم وقد كان بلغه عنه ذكر له :

وعابـوني ومـا ذنبـي إليهم ... سوى عِلْمـي بـأولادِ الزِّناء
فبَخْتِيَشُوعُ يشهَد لابن عمرو ... وعَـزُّونٌ لهـارونَ المـرائي
ومـا الجَذْماءُ بنتُ أبي سُمَيْرٍ ... بجذمـاءِ اللِّسانِ عـن الخَناء
إذا مـا عُـدَّ مِثلُكـم رجـالاً ... فما فضلُ الرجالِ على النساء[3]
عليكـم لعنـةُ اللهِ ابتـداءً ... وعَوْداً في الصَّباحِ وفي المَساء
إذا سُمِّيتُـمُ للنـاسِ قالـوا ... أُولئِك شَرُّ مَـنْ تحت السماء
أنـا المتوكِّلي هـوىً ورأيـاً ... ومـا بالواثِقِيَّـةِ مـن خَفاء
ومـا حَبْسُ الخليفةِ لي بعـارٍ ... وليس بمُؤْيِسي منـه التنائي

1 غني في الديوان : بخيل .
2 عيباً في الديوان : غشاً .
3 مثلكم في الديوان : مثلهم .

[يقدرون شعره في الحبس بشعر عدي بن زيد]

أخبرني عمي قال حدثنا محمد قال قال لي أبو الشِّبْل البُرْجُمي : ما شِعر علي بن الجهم في الحبس بدون شعر عَدِي بن زيد .

[حبسه المتوكل بسعاية جلسائه]

أخبرني عمي قال حدثنا محمد قال : كان سببُ حبس المتوكل عليَّ بن الجهم أن جماعةً من الجُلَساء سَعَوْا به إليه وقالوا له : إنه يُجَمِّشُ الخَدَم ويَغْمِزهم ، وإنه كثيرُ الطعن عليك والعيبِ لك والإزراء على أخلاقك ؛ ولم يزالوا به يُوغِرون صدرَه عليه حتى حبسه ؛ ثم أبلغوه عنه أنه هجاه . فنفاه إلى خُراسان وكتب بأن يصْلَبَ إذا وَرَدها يوماً إلى الليل . فلما وصل إلى الشاذِياخ حبسه طاهر بن عبد الله بن طاهر بها ، ثم أُخرِج فصُلِب يوماً إلى الليل مجرداً ثم أُنزِل . فقال في ذلك[1] : [من مجزوء الكامل]

لم يَنْصِبــوا بالشَّاذِياخِ عَشِيَّةَ ... الإثنين مسبوقاً ولا مجهولا[2]
نصَبوا بحمدِ اللهِ مِـلْءَ قلوبهم ... شَرَفاً ومِلْءَ صدورهم تَبْجِيلا[3]
مــا ازدادَ إلا رفعــةً بِنكوله ... وازدادت الأعداءُ عنه نُكُولا[4]
هل كان إلا الليثَ فارق غِيلَه ... فرأيتَــه في مَحْمَــلٍ محمولا
لا يأمَــن الأعداءُ من شَداته ... شداً يفصِّــل هامهــم تفصيلا
مــا عابــه أن بُــزَّ عنه لِباسُه ... فالسيفُ أهْوَلُ ما يُرى مسلولا
إن يُبْتَذَلْ فالبدرُ لا يُزْرِي به ... أن كان ليلــةَ تِمِّــه مبذولا
أو يَسْلُبوه المالَ يُحْزِنْ فقدُه ... ضيفــاً أَلــمَّ وطارقــاً ونَزِيلا
أو يَحْبِسوه فليس يُحبَس سائرٌ ... من شعرِه يَــدَعُ العزيزَ ذليلا
إنَّ المصائــبَ ما تعدَّتْ دِينَه ... نِعَمٌ وإن صعُبَتْ عليــه قليلا
واللهُ ليس بغافــلٍ عــن أمره ... وكَفــى بربِّك ناصِراً ووكيلا
ولَتعْلَمَنَّ إذا القلوبُ تكشَّفَتْ ... عنها الأكِنَّةُ مَنْ أَضَلُّ سبيلا

---

1 ديوانه : 185–187 .
2 عشية في الديوان : صبيحة . مسبوقاً في الديوان : مغموراً .
3 قلوبهم في الديوان : عيونهم .
4 نكوله : التنكيل به . ونكولا : الفرار منه والاحجام عنه .

[المتوكل يأمر بإطلاقه]

أخبرني عمّي قال حدثنا محمد بن سعد قال : كتب المتوكّل إلى طاهر بن عبد الله بإطلاق علي بن الجَهْم . فلما أطلقه قال[1] : [من الطويل]

أطاهِرُ إنّي عن خُراسانَ راحلُ ... ومُسْتَخْبَرٌ عنها فما أنا قائِلُ
أأصْدُق أم أكْني عن الصِّدق أيُّما ... تَخَيرتَ أدتْهُ إليكَ المحافِلُ
وسارتْ به الرُّكْبانُ واصْطَفَقَتْ به ... أكُفٌّ قِيانٍ واجْتَبته القبائلُ
وإنّي بغالي الحمدِ والذمِّ عالم ... بما فيهما نامي الرَّمِيَّةِ ناضلُ
وحقاً أقولُ الصِّدقَ إني لمائلٌ ... إليكَ وإن لم يَحْظَ بالودِّ مائلُ
ألا حُرْمَةٌ تُرْعى ألا عَقْدُ ذمةٍ ... لجارٍ ألا فِعلٌ لقولٍ مُشاكِلُ
ألا مُنْصِفٌ إن لم نجدْ متفضِّلاً ... علينا ألا قاضٍ من الناسِ عادلُ
فلا تَقْطَعَنْ غيظاً عليَّ أناملاً ... فقبلكَ ما عُضت عليَّ الأناملُ
أطاهِرُ إن تُحْسِنْ فإنّي مُحْسِنٌ ... إليكَ وإن تَبْخَل فإنّيَ باخلُ

فقال له طاهر : لا تقل إلا خيراً فإني لا أفعل بك إلا ما تحب فوصَله وحمَله وكَساه .

[جمش جارية فباعدته]

أخبرني عمي قال حدثني محمد قال : كان علي بن الجَهْم في مجلس فيه قَيْنةٌ ، فعابثها وجَمَّشها ، فباعدَته وأعرضتْ عنه ، فقال فيها[2] : [من الطويل]

خَفِي اللّهَ فِيمن قد تَبلت فؤادَه ... وغادَرْته نِضْواً كأنَّ به وَقرا
دعِي البخل لا أسمع به منك إنّما ... سألتُك أمراً ليس يُعْري لكم ظَهْرا

فقالت له : صَدَقْتَ يا أبا الحسن ، ليس يُعْرِي لنا ظَهْراً ، ولكنه يملأ لنا بطناً ! !

[تشاؤمه من الحارثي]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرُوَيه قال حدثنا إبراهيم بن المدبر قال حدثنا علي بن الجَهْم قال : كان الحارثي يجيء إلى حُلْوان وأنا أتولاها ، وكان عليّ بن الجَهْم على مظالِمها ، فإذا وردَها وقع الإرْجافُ[3] بي ، فلم يَزَل متَّصِلاً حتى يخرج ، فإذا خرج سكن الإرجاف ، فأتاني مرةً وظهر كوكب الذَّنب في تلك الليلة ،

1 ديوانه : 175–176 .
2 ديوانه : 134 .
3 الارجاف هنا : الزلازل .

فقلت[1] : [من الكامل]

لَمـا بَـــدا أيقنتُ بالعَطَــبِ ... فسألــتُ ربِّــي خير مُنْقَلَبِ
لم يَطْلُعــــــا إلا لآبِــــــدةٍ ... الحارثــيُّ وكوكــبُ الذَّنَبِ[2]

قال ابن المدبر : وكان الحارثي أعور مُقَبَّح الوجه ، وفيه يقول أبو علي البصير : [من الكامل]

يـا مَعْشَرَ البُصَراءِ لا تَتَطرَّفـوا ... جيشي ولا تتعرَّضوا لنَكِيري
رُدُّوا عـليَّ الحارِثــيَّ فإنّــه ... أَعْمــى يُدَلِّس نفسَه في العُورِ

[ادعاؤه شعراً لإبراهيم بن العباس]

أخبرني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال أنشدني إبراهيم بن المدبر لعلي بن الجهم وذكر أن علياً أنشده إياه لنفسه : [من الوافر]

أمِيلُ مـع الذِّمام على ابن أُمِّي ... وآخُذ للصَّديـقِ مـن الشَّقيقِ
وإن أَلْفَيْتَني حُـــراً مُطاعــاً ... فإنّكَ واجِـدِي عَبْدَ الصديقِ
أُفَــرِّق بـين معـروفي ومَنِّي ... وأَجْمَـعُ بـين مـالي والحقوقِ

فقال إبراهيم : كذَب والله عليُّ بن الجَهْم وأَثِم . والله لهذا الشعرُ أشهرُ بإبراهيم بن العباس من إبراهيم بالعباس أبيه .

[أثبت المتوكل كذبه]

أخبرني الحسن قال حدثني ابن مهرويه قال حدثنا إبراهيم بن المدبر قال قال المتوكل : علي بن الجهم أكذَبُ خَلْقِ الله . حَفِظْتُ عليه أنه أخبرني أنه أقام بخُراسان ثلاثين سنة ، ثم مضت مدة أُخرى وأنسيَ ما أخبرني به ، فأخبرني أنه أقام بالثغور ثلاثين سنة ، ثم مضت مدة أُخرى وأُنْسِيَ الحكايتين جميعاً ، فأخبرني أنه أقام بالجبل ثلاثين سنة ، ثم مضت مدةٌ أُخرى فأخبرني أنه أقام بمصر والشام ثلاثين سنة ، فيجب أن يكون عمره على هذا وعلى التقليل مائةً وخمسين سنة ، وإنما يُزاهي سنُّه الخمسين سنةً . فليت شعري أيُّ فائدة له في هذا الكذب وما معناه فيه !! .

[هجاؤه ولد علي بن هشام]

أخبرني محمد بن إبراهيم قال حدثنا عبد الله بن المعتز ، وحدثني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال : اجتمع علي بن الجهم مع قوم من ولد علي بن هشام في مجلس ، فعربد عليه

1 ديوانه : 74—75 .
2 الآبدة : الأمر العظيم .

بعضهم ، فغضِب وخرج من المجلس ، واتصل الشرُّ بينهم حتى تقاطعوا وهجروه وعابوه واغتابوه . فقال يهجوهم[1] : [من البسيط]

بَني مُتَيَّمَ هل تَدْرونَ ما الخبرُ ... وكيفَ يُسْتَرُ أمرٌ ليس يَسْتَتِرُ
حاجيتُكم : مَنْ أبوكم يا بني عُصَبٍ ... شَتَّى ولكنَّما للعاهرِ الحَجَرُ
قد كان شَيْخُكُمُ شيخاً له خَطَرٌ ... لكن أُمَّكُم في أمرِها نَظَرُ
ولم تكن أُمّكُم ، واللهُ يكلَؤُها ، ... محجوبةً دونَها الحُراسُ والسُّتُرُ
كانت مغنِّيَةَ الفِتْيانِ إن شَرِبوا ... وغيرَ ممنوعةٍ منهم إذا سَكِروا
وكان إخوانُه غُرّاً غَطارِفةً ... لا يُمْكِنِ الشيخَ أن يَعْصِي إذا أَمَروا
قومٌ أَعِفّاءُ إلا في بيوتكمُ ... فإنَّ في مِثْلِها قد تُخْلَعُ العُذُرُ
فأصبحتْ كمُراحِ الشَّولِ حافلةً ... من كل لاقِحةٍ في بطنِها دِرَرُ[2]
فجئتُم عُصَباً من كلِّ ناحيةٍ ... نوعا مَخانِيثَ في أعناقِها الكَبَرُ[3]
فواحِدٌ كِسْرَوِيٌّ في قَراطِقِهِ ... وآخَرٌ قُرَشِيٌّ حين يُخْتَبَرُ[4]
ما عِلمُ أُمِّكُمُ مَنْ حَلَّ مِئزرَها ... ومَنْ رماها بكم يأيُّها القَذَرُ
قوم إذا نُسِبوا فالأم واحدةٌ ... واللهُ أعلمُ بالآباءِ إذ كَثُروا
لم تَعْرِفوا الطَّعْنَ إلا في أسافلكم ... وأنتم في المخازي فِتْيَةٌ صُبُرُ
أَحببتُ إعلامَكم إنّي بأمرِكُم ... وأمرِ غيركُم من أهلِكم خَبَرُ
تَفَكَّهونَ بأعراضِ الكرامِ وما ... أنتم وذِكْرُكُم الساداتِ يا عُرَرُ[5]
هذا الهجاءُ الذي تَبْقى مياسِمُه ... على جباهِكمُ ما أَوْرَقَ الشَّجَرُ

[حبسه المتوكل لسعيه بجلسائه وهجائه]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني إبراهيم بن المدبّر قال : كتب صاحب الخبر إلى المتوكل أن الحسن بن عبد الملك بن صالح احترق فمات . فقال علي بن الجَهْم : قد بلغني أن العامل قتَله وصانع صاحب الخبر حتى كتب بهذا . وكان يسعى

---

1 ديوانه : 121–122 .
2 كمراح في ل : كمريح . الشول من النوق : التي قل لبنها .
3 الكبر : الطبل .
4 القراطق : جمع قرطق وهو القباء .
5 عرر : جمع عرة وهو شين القوم .

بالجلساء إلى المتوكل فأبغضَه وأمره بأن يلزم بيته ، ثم بلغه أنه هجاه فحبَسه . وأحسنُ شعر قاله في الحبس قصيدته التي أولها[1] : [من الكامل]

قالت حُبِسْتَ فقلتُ ليس بضائري حَبْسي وأيُّ مُهَنَّدٍ لا يُغْمَدُ
أوَ ما رأيتِ اللَّيْثَ يألَفُ غِيلَه كِبْراً وأوباشُ السِّباع تَرَدَّدُ
والشمسُ لولا أنّها محجوبةٌ عن ناظِرَيْك لما أضاءَ الفَرْقَدُ
والبدرُ يُدْركه السَّرارُ فتنجلي أيامُه وكأنَّه مُتَجَدِّدُ[2]
والغيث يَحْصُره الغَمامُ فما يُرى إلا وريِّقُه يَرُوعُ ويَرْعُدُ
والزاعِبيّة لا يُقيم كُعُوبَها إلا الثِّقافُ وجَذْوَةٌ تَتوَقَّدُ[3]
والنارُ في أحجارِها مخبوءةٌ لا تُصْطَلى إن لم تُثِرْها الأَزْنُدُ
والحبس ما لم تغشَه لدَنِيَّةٍ شنعاءَ نِعْمَ المنزِلُ المُتَوَرَّدُ[4]
بيتٌ يجدِّدُ للكريمِ كرامةً ويُزارُ فيه ولا يزورُ ويُحْمَدُ[5]
لو لم يكنْ في الحبسِ إلا أنه لا يستذِلُّكَ بالحجابِ الأَعْبُدُ
كم مِن عليلٍ قد تخطاه الرَّدى فنجا وماتَ طبيبُه والعُوَّدُ
يا أحمدُ بنَ أبي دوادٍ إنّما تُدْعى لكلِّ عظيمةٍ يا أحمدُ
أبْلِغْ أميرَ المؤمنينَ فدونَه خَوْضُ الرَّدى ومخاوِفٌ لا تَنْفَدُ
أنتم بنو عمِّ النبي محمدٍ أولى بما شَرَع النبيُّ محمَّدُ
ما كان من كَرَمٍ فأنتم أهلُه كَرُمَتْ مَغارِسُكم وطابَ المَحْتِدُ[6]
أمِنَ السَّوِيَّةِ يا ابنَ عَمِّ محمدٍ خَصْمٌ تُقَرِّبُه وآخرُ تُبْعِدُ
إنَّ الذينَ سَعَوْا إليكَ بباطلٍ حُسَّادُ نعمتِكَ التي لا تُجْحَدُ
شهِدوا وغِبْنا عنهمُ فتحكَّموا فينا وليس كغائبٍ مَنْ يَشْهَدُ

---

1 ديوانه : 88–93 .
2 السرار : آخر أيام الشهر .
3 الزاعبية : رماح منسوبة إلى رجل اسمه زاعب .
4 المتورد الذي يورد ويزار .
5 ويحمد في الديوان : يحفد أي يخدم .
6 كرم في الديوان : حسن .

لو يجمعُ الخُصَماءَ عندَكَ مجلسٌ يومـاً لبان لكَ الطريـقُ الأقْصَدُ
فبـأيِّ جُـرْمٍ أصْبحتْ أعراضُنا نَهْبـاً تَقَسَّمها اللئيمُ الأَوْغَدُ[1]

[قوله في علة المتوكل وغضبه من جاريته قبيحة]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدثني حماد بن إسحاق قال قال لي أبو الفضل الرَّبعي قال قال لي علي بن الجَهْم : دخلت على المتوكل وقد بَلَغني أنه كلَّم قَبيحةَ جاريته فأجابته بشيء أغضبه ، فرماها بمِخَدَّةٍ فأصابتْ عينَها فأثرتْ فيها ، فتأوَّهَت وبَكَتْ وبكى المعتز لبكائها ؛ فخرج المتوكل وقد حُمَّ من الغم والغضب . فلما بَصُرَ بي دعاني وإذا الفتح[2] يُرِي بَخْتِيَشوعَ القارورة ويشاوره فيها . فقال لي : قل يا علي في عِلتي هذه شيئاً وصفْ أن الطبيب ليس يَدْري ما بي ؛ فقلت[3] : [من الوافر]

تنكَّـر حـالَ عِلَّتِـي الطَّبيـبُ وقال أرى بجسمك مـا يَرِيبُ
جَسستُ العِرْقَ منكَ فدَلَّ جَسِّي على أَلَـمٍ لـه خَبَرٌ عجيـبُ
فمـا هذا الذي بكَ هاتِ قُلْ لي فكـان جوابَـه مِنِّـي النَّحِيبُ
وقلـت أيا طبيبُ الهجـرُ دائي وقلبـي يـا طبيبُ هُـو الكئيبُ
فحـرَّك رأسَه عَجَباً لقـولي وقـال الحـبُّ ليس لـه طبيبُ
فأعجبني الذي قـد قال جِـداً وقلـتُ بَـلى إذا رضي الحبيبُ
فقـال هـو الشفاءُ فـلا تُقَصِّرْ فقلـتُ أجَـلْ ولكن لا يُجيبُ
ألا هـل مُسْعِدٌ يبكي لشَجْوِي فإنِّـي هائـمٌ فَـرْدٌ غريبُ

فقال : أحسنتَ وحَياتي ؛ يا غلام اسقِني قَدَحاً ؛ فجاءه بقَدَح فشَرِب وسُقِيَت الجماعة مثله . وخرجت إليه فَضْلُ الشاعرة بأبيات أمرتْها قَبيحة أن تقولها عنها . فقرأها فإذا هي : [من البسيط]

لأكتُمنَّ الذي في القلبِ من حُرَقٍ حتى أموتَ ولم يَعْلَمْ به الناسُ
ولا يقـالُ شَكا مَنْ كان يَعْشَقُه إنَّ الشَّكاةَ لمن تَهْوى هي الياسُ
ولا أبـوحُ بشيءٍ كنتُ أكتُمه عندَ الجلوسِ إذا ما دارت الكاسُ

---

1 تقسمها في الديوان : يشيد بها أي يُفشون المكروه والقبيح عنها .
2 أي الفتح بن خاقان وزير المتوكل .
3 ديوانه : 68–69 .

فقال المتوكِّل : أحسنتِ يا فَضل . وأمر لها ولي بعشرين ألف درهم ، ودخل إلى قَبيحةَ فترضّاها .

[قتاله أعراباً قطعوا على قافلتهم الطريق في الشام]

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن سعد قال : خرج عليُّ بن الجهم إلى الشام في قافلة ، فخرجتْ عليهم الأعراب في خُساف فهرَب من كان في القافلة من المُقاتِلة ، وثبت علي بن الجهم فقاتلهم قتالاً شديداً ، وثاب الناس إليه فدفعهم ولم يحظَوْا بشيء . فقال في ذلك[1] : [من الطويل]

صبَرتُ ومثلي صبرُه ليس يُنْكَرُ ... وليس على تَـرْكِ التَّقَحُّـمِ يُعْذَرُ
غريـــزةُ حـرٍّ لا اختلاقُ تَكَلُّفٍ ... إذا خامَ في يـوم الوَغى المُتَصَبِّرُ[2]
ولمَّـا رأيتُ المـوتَ تَهْفُو بُنودُه ... وبانــتْ علامـاتٌ له ليس تُنْكَرُ
وأقبلتِ الأعرابُ من كلِّ جانبٍ ... وثــارَ عَجاجٌ أسودُ اللَّون أكْدَرُ
بكـلِّ مُشِيـحٍ مُستميتٍ مُشَمِّرٍ ... يَجُولُ بـه طِـرفٌ أقَبُّ مُشَمِّرُ[3]
بأرضِ خُسافٍ حين لم يكُ دافِعٌ ... ولا مانــعٌ إلا الصَّفيحُ المُذَكَّرُ[4]
فقلَّلَ في عَيْنَـيَّ عُظْـمَ جموعِهم ... عزيمةُ قلبٍ فيه مـا جَـلَّ يَصْغُرُ
بمُعْتَرَكٍ فيــه المنايـــا حواسِرٌ ... ونـارُ الوغـى بالمَشْرَفيَّـةِ تُسْعَرُ
فما صُنْتُ وجهي عن ظُباتِ سُيوفِهم ... ولا انْحَزْتُ عنهم والقنا تَتَكَسَّرُ
ولم أَكُ في حـرِّ الكريهةِ مُحْجِماً ... إذا لم يكن في الحربِ للورْدِ مَصْدَرُ
إذا ساعـدَ الطِّرْفُ الفتى وجنانُه ... وأسْمَـــرُ خَطِّــيٌّ وأبيضُ مِبْتَرُ
فذاك ، وإن كان الكريمُ بنفسِه ، ... إذا اصطكَّتِ الأبطال في النَّقْع عَسْكَرُ
مَنَعْتُهمُ مـن أن ينالــوا قُلامَـةً ... وكنـتُ شَجاهـم والأسنـةُ تَقْطُرُ
وتلك سجايانـــا قديمـــاً وحادثـاً ... بهـا عُـرِف الماضي وعَزَّ المؤخَّرُ
أبَتْ لي قُـرُومٌ أنجبتنيَ أن أُرى ... وإنْ جَـلَّ خَطْبٌ خاشعاً أتضجَّرُ

---

1 ديوانه : 119–120 .
2 خام : نكص وجبن .
3 المشيح : المقبل مانعاً ما وراء ظهره . والطرف : الكريم من الخيل .
4 الصفيح : السيف العريض .

أولئك آلُ اللهِ فهْـرُ بـن مالكٍ ... بهم يُجْبَرُ العظمُ الكَسيرُ ويُكْسَرُ
هم المَنْكِـبُ العالي على كلِّ مَنْكِبٍ ... سيوفُهـمُ تُفنِـي وتُغْنـي وتُفْقِرُ

[حبسه أبوه في الكتاب وهو صبي]

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق والحسن بن علي قالا جميعاً حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني عيسى بن أبي حرب قال حدثني علي بن الجهم قال : حبسني أبي في الكُتـاب ، فكتبت إلى أُمي[1] : [من الكامل]

يـا أُمَّنا أَفْدِيـكِ مـن أُمٍّ ... أشكو إليكِ فَظاظـةَ الجَهْمِ
قـد سُرِّح الصِّبيانُ كلُّهـمُ ... وبَقيـتُ محصوراً بـلا جُرْمِ

قال : وهو أول شعر قلته وبعثت به إلى أُمِّي ؛ فأَرسلتْ إلى أبي : والله لئن لم تُطلِقه لأَخرُجن حاسرةً حتى أُطْلِقَه . قال عيسى فحدثت بهذا الخبر إبراهيم بن المدبر فقال : عليٌّ بن الجهم كذَّاب ، وما يمنعه من أن يكون وَلَّدَ هذا الحديثَ وقال هذا الشعر وله ستون سنة ، ثم حدثكم أنه قاله وهو صغير ، ليرفع من شأن نفسه ! .

[تشفعه بأحمد بن أبي دواد وهو في الحبس ثم هجاؤه]

أخبرني عمِّي قال حدثنا محمد بن سعد قال : كان أحمد بن أبي دُواد منحرِفاً عن علي بن الجهم لاعتقاده مذهب الحشويَّة . فلما حُبِس عليٌّ بن الجهم مدح أحمدَ بن أبي دواد عدة مدائح ، وسأله أن يقوم بأمره ويَشْفَع فيه ، فلم يفعل وقعد عنه . فمنها قوله[2] : [من الكامل]

يـا أحمـدُ بنَ أبي دُوادٍ إنما ... تُدْعى لكلِّ عظيمـةٍ يـا أحمدُ[3]
أَبْلِـغْ أميرَ المؤمنينَ ودونَـه ... خَوْضُ الرَّدى ومَخاوِفٌ لا تَنْفَدُ
أنتـم بنـو عـمِّ النبي محمدٍ ... أَوْلى بما شرَع النبـيُّ محمدُ

وهذه الأبيات من قصيدته التي أولها : [من الكامل]

قالت حُبِسْتَ فقلتُ ليس بضائري

فلما نفى المتوكِّلُ أحمدَ بن أبي دواد شَمِتَ به علي بن الجهم وهجاه فقال[4] : [من الكامل]

1 ديوانه : 212 .
2 ديوانه : 92 .
3 عظيمة في ل : شديدة .
4 ديوانه : 99-100 .

يا أحمدُ بنَ أبي دُوادٍ دعوةً بعثتْ إليكَ جنادلاً وحديدا
مـا هـذه البِدَعُ التي سمَّيتَها بالجهلِ منكَ العدل والتوْحيدا
أفسدتَ أمرَ الدِّينِ حين وَلِيتَه ورَمَيْتَه بأبي الوليـدِ وليدا[1]
لا مُحْكَماً جَزْلاً ، ولا مُسْتَطْرفاً كَهْلاً ، ولا مُسْتَحْدَثاً مَعْمودا[2]
شَرِهاً ، إذا ذُكِرِ المكارمُ والعُلا ذَكَـرَ القَلايـا مُبْدِئاً ومُعِيدا
ويَوَدُّ لو مُسِخَتْ ربيعةُ كلُّها وبنـو إيـادٍ صَحْفَـةً وثَرِيدا
وإذا تربَّـع في المجالس خِلْتَه ضَبُعاً وخِلتَ بنـي أبيه قرودا
وإذا تَبَسَّمَ ضاحكـاً شبَّهتَـه شَرِقاً تَعَجَّـلَ شُرْبُـه مَرْدودا
لا أصبَحَتْ بالخيرِ عينٌ أبصرتْ تلك المَناخِـرَ والثَّنايا السُّودا

[كتابه لطاهر بن عبد الله بن طاهر من الحبس]

أخبرني عمّي قال حدثنا محمد قال : كتب علي بن الجهم إلى طاهر من الحبس[3] : [من السريع]

إنْ كان لي ذنبٌ فلي حُرْمَـةٌ والحـقُّ لا يدفعـه الباطلُ
وحُرْمَتـي أعظـمُ من زلَّتي لـو نالني مـن عَدْلِكم نائلُ
ولي حقـوقٌ غيرُ مجهولةٍ يعرِفُهـا العاقـلُ والجاهلُ
وكلُّ إنسانٍ لـه مذهـبٌ وأهـلُ مـا يفعلـه الفاعلُ
وسيرةُ الأمـلاكِ منقولـةٌ لا جائـرٌ يَخْفى ولا عادلُ
وقـد تعجَّلـتَ الذي خِفتُـه منـكَ ولم يـأتِ الذي آمُلُ

[شعره في مقين كان ينزل عنده بالكرخ]

حدثني عمي قال حدثنا محمد قال : كان علي بن الجهم يعاشر جماعة من فِتيان بغداد لما أُطلِق من حبسه ورُدَّ من النفي ، وكانوا يتقاينون[4] ببغداد ، ويلزمون منزل مُقَيِّنٍ بالكَرخ يقال له المفضَّل . فقال فيه علي بن الجهم[5] : [من الطويل]

نزلنـا ببابِ الكَرْخ أطْيَبَ مَنْزلٍ على مُحْسِناتٍ مـن قِيانِ المُفَضَّلِ

---

1 أبو الوليد : محمد بن أحمد بن أبي دواد كان يتولى المظالم بسامراء .
2 معمودا في الديوان : محمودا .
3 الديوان 177-178 .
4 المقين : صاحب القيان . ويتقاينون : يجالسون القيان .
5 ديوانه : 188-191 .

فلابـنِ سُرَيْجٍ والغَريض ومَعْبَدٍ   بدائــعُ في أسماعنــا لم تُبَدَّلِ
أوانِسُ مـا للضَّيفِ منهنَّ حِشْمةٌ   ولا رَبُّهُــنَّ بالجليــلِ المُبَجَّلِ
يُسَرُّ إذا مـا الضَّيْفُ قَـلَّ حياؤه   ويَغْفُل عنـه وهــو غيرُ مُغَفَّلِ
ويُكْثِر مـن ذمِّ الوقـارِ وأهلِـه   إذا الضَّيفُ لم يَأْنَسْ ولم يَتَبَذَّلِ
ولا يدفـعُ الأيدي المُرِيبةَ غَيْرةً   إذا نـالَ حَظّاً من لَبُوسٍ ومأْكَلِ
ويُطرِقُ إطْراقَ الشُّجاعِ مَهابـةً   ليُطْلِق طَـرْفَ الناظـرِ المتأمِّلِ
أشِرْ بيدٍ واغْمِزْ بطَرْفٍ ولا تَخَفْ   رَقِيباً إذا مـا كنـتَ غيرَ مُبَخَّلِ
وأَعْرِضْ عن المِصباحِ والْهَجْ بمثْلِه   فإنْ خَمَـدَ المِصباحُ فادْنُ وقَبِّلِ
وسَلْ غيرَ ممنوعٍ وقُلْ غيرَ مُسْكَتٍ   ونَـمْ غيرَ مَذْعُورٍ وقُمْ غيرَ مُعْجَلِ
لك البيتُ ما دامَت هَداياك جَمَّةً   وكنتَ مليـاً بـالنَّبيذِ المُعَسَّلِ
فبادِرْ بأيــام الشَّبــاب فإنّهـا   تَقَضَّى وتَفنـى والغَوايـةُ تَنْجَلِي
ودَعْ عنكَ قولَ الناسِ أَتْلَفَ مالَه   فلانٌ فأضحى مُدْبِـراً غيرَ مُقْبِلِ
هـلِ الدَّهرُ إلا ليلةٌ طَرَحَتْ بنا   أَواخرُهـا في يـوم لَهْوٍ مُعَجَّلِ
سقى اللهُ بابَ الكَرْخِ من مُتَنَزَّهٍ   إلى قَصْرِ وَضَّاحٍ فبِرْكَةِ زَلْزَلِ[1]
مَساحِبُ أذيالِ القِيانِ ومَسْرَحِ الـ   ـحِسان ومَثْوى كلِّ خِرْقٍ مُعَذَّلِ[2]
لَوَ آن امرأ القيس بن حُجْرٍ يَحُلُّها   لأقْصَرَ عن ذِكْر الدَّخُول وحَوْمَلِ
إذاً لرأى أن يَمْنَحَ الوُدَّ شادِناً   مقصِّرَ أذيــالِ القَبـا غيرَ مُسْبِلِ
إذا الليلُ أدنى مَضْجَعي منه لم يَقُلْ   عَقَرتَ بَعِيري يا امْرأَ القيس فانْزِلِ

[إبراهيم بن المدبر يتهمه بانتحال شعر]

حدثني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني إبراهيم بن المدبر قال أنشدني علي بن الجهم لنفسه[3] :   [من الكامل]

وإذا جَـزى اللهُ امرءاً بفِعالــه   فجزى أخاً لي ماجِداً سَمْحا

1 قصر وضاح : قصر بني للمهدي قرب رصافة بغداد وتولى الانفاق عليه رجل اسمه وضاح فنسب إليه . وبركة زلزل : بركة حفرها زلزل الضارب ووقفها على المسلمين .

2 الخرق : الرجل الواسع الكرم . والمعذل : الذي يعذله الناس على اسرافه في الكرم .

3 قال محقق ديوانه : البيتان موجودان في ديوان الصولي .

نادِيتُـــه عــن كُرْبــةٍ فكأنما أطلعتُ عــن ليــلٍ بــه صُبْحا

فقلت له : وَيْلَكَ ؛ هذا لإبراهيم بن العباس يقوله في محمد بن عبد الملك الزيَّات ! فجَحَدني وكابر . فدخل يوماً عليّ بن الجهم إلى إبراهيم بن العباس وأنا عنده . فلما رآني قال : اجتمع الإبراهيمان . فتركتُه ساعةً ثم أنشدتُ البيتين ، وقلت لإبراهيم بن العباس : إن هذا يزعمُ أن هذين البيتين له . فقال : كَذَب ، هذان لي في محمد بن عبد الملك الزيات . فقال له علي بن الجهم بقِحَةٍ : ألم أنهَكَ أن تَنْتَحِل شعري ؟ فغضِب إبراهيم وجعل يقول له بيده : سَوْءةً عليك سَوْءةً لك ! . ما أوقحك ! وهو لا يُنْكِر[1] في ذلك ولا يَخجل . ثم التقينا بعد مدة فقال : أرأيتَ كيف أخزيتُ إبراهيم بن العباس ؟! فجعلت أَعْجَبُ من صَلابة وجهه .

[شعره في الفراق]

حدثني عمي قال أنشدنا محمد بن سعد لعلي بن الجهم وفيه غناء[2] : [من الخفيف]

اعْلَمِــي يــا أحبَّ شيءٍ إليّا أنَّ شوقــي إليــكِ قــاضٍ عليّا
إن قَضَــى اللهُ لي رجوعاً إليكم لا ذكرتُ الفِراقَ ما دمتُ حيّا[3]
إن حَــرَّ الفِراقِ أنْحَـلَ جسمي وكوى القلبَ منكِ بالشَّوقِ كيّا

[كان الزيات يسبعه عند الخليفة فهجاه]

حدثني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال : كان محمد بن عبد الملك الزيات منحرفاً عن علي بن الجهم وكان يسبِعُه[4] عند الخليفة ويعيبه ويذكره بكلِّ قبيح . فقال فيه علي بن الجهم : [من مجزوء الرجز]

لَعائِـــنُ اللهِ مُتابَعـــاتِ مُصَبِّحـــاتٍ ومُهَجِّـــراتِ
على ابنِ عبد الملك الزيـاتِ عَـرَّضَ شَمْلَ المُلكِ للشَّتاتِ
وأنْفَــذَ الأحكامَ جائــراتِ على كتــابِ اللهِ ذاريــاتِ[5]
وعن عقــول الناس خارجاتِ يرمــي الدواويــنَ بتوقيعاتِ
مُعَقَّــداتٍ كَرُقَــى الحيَّــاتِ سبحانَ مَنْ جَلَّ عن الصِّفاتِ

---

1 ل : لا يفكر .
2 ديوانه : 224 .
3 إليكم في ل : إليكِ .
4 ل : يشنعه .
5 ذاريات : تذرو التراب .

بعد ركوب الطَّوْف في الفُراتِ وبعـدَ بَيْعِ الزَّيْـتِ بالحَبَّاتِ[1]
صرتَ وزيـراً شامخَ الثَّباتِ هارونُ يا ابنَ سَيِّدِ الساداتِ[2]
أمـا تـرى الأمورَ مُهْمَلاتِ تشكو إليك عَـدَمَ الكُفاةِ
فعاجِـلِ العِلْـجَ بمُرْهَفـاتِ من بعد أَلْفِ صُخَّبِ الأصواتِ[3]
بمُثْمِـراتٍ غيـرِ مُورِقـاتِ تُـرى بمَتْنَيْـه مُرَصَّفـاتِ[4]
تَراصُفَ الأسنان في اللِّثاتِ

[شماتته بعمر بن الفرج عندما قبض عليه]

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن سعد قال : كان علي بن الجَهْم سأل عمرَ بن الفَرَج الرُّخَّجِي[5] معاونته ، واسْتَرْفَده في نكبته فلم يُعاوِنه ولم يُـرْفِدْه ، ثم قُبِض على عمر بن الفرج وأُسْلِم إلى نَجاح ليصادره . فقال علي بن الجهم له[6] : [من البسيط]

أَبْلِغْ نَجاحاً فتـى الفِتْيانِ مأْلُكَةً تَمْضي بها الرِّيحُ إصْداراً وإيرادا
لن يخرجَ المالُ عفواً من يَدَيْ عُمَرٍ أو يُغْمَدَ السَّيفُ في فَوْدَيه إغمادا
الرُّخَّجِيُّون لا يُوفُـونَ ما وَعَدوا والرُّخَّجِيَّـاتُ لا يُخْلِفْـنَ مِيعادا

قال وقال في عمر بن الفَرَج أيضاً[7] : [من البسيط]

جمعتَ أمرَيْنِ ضاعَ الحزمُ بينهما تيـهَ الملـوكِ وأفعـالَ المماليكِ
أردتَ شكراً بلا بِـرٍّ ومَرْزِئـةٍ لقـد سلكـتَ طريقاً غيرَ مسلوكِ
ظننتَ عِرْضَكَ لا يُـرْمى بقارعةٍ ومـا أُراكَ على حـالٍ بمتروكِ

[تمثل بشعره نديم لسليمان بن وهب]

أخبرني عمي قال حدثني الحسن بن الحسن بن رجاء عن أبيه قال : كان لسليمان بن وهب نديمٌ يأْنَسُ به ويأْلَفه ، فعربد عليه ليلةً من الليالي عربدةً قبيحة ، فاطَّرحه وجفاه مدة .

---

1 الطوف : قرب ينفخ فيها فتطفو على الماء فيركب عليها .
2 يقصد الواثق الخليفة العباسي .
3 يقصد ألف سوط .
4 مثمرات : أي لها عقد في أطرافها .
5 هو وأبوه من أعيان الكتاب في أيام المأمون إلى المتوكل الذي نكبه عند توليه الخلافة .
6 ديوانه : 98 .
7 ديوانه : 169 .

فوقف له على الطريق . فلما مَرَّ به وَثَب إليه فقال له : أيها الوزير ، أَلا تكون في أمري كما قال علي بن الجهم[1] : [من البسيط]

القومُ إخوانُ صِدْقٍ بينهم نَسَب ... من المودةِ لم يُعْدَلْ بها نَسَبُ
تراضَعُوا دِرَّة الصهباء بينهمُ ... فأوجبوا لرضيع الكأسِ ما يَجِبُ
لا تَحْفَظنَّ على السَّكرانِ زَلَّتَه ... ولا تَرِيبَنْك من أخلاقِه رِيَبُ

فقال له سليمان : قد رَضِيتُ عنك رضاً صحيحاً ، فَعُدْ إلى ما كنتَ عليه من ملازمتي .

وأول هذه الأبيات : [من البسيط]

الوَرْدُ يضحكُ والأوتار تصطخِبُ ... والنَّاي يَنْدُبُ أشجاناً ويَنْتَحِبُ
والرَّاحُ تُعْرَضُ في نَوْرِ الرَّبيعِ كما ... تُجْلى العَروسُ عليها الدُّرُّ والذَّهَبُ[2]
واللَّهو يُلْحِقُ مَغْبوقاً بمُصْطَبِحٍ ... والدور سيَّان محثوثٌ ومُنْتَخَبُ
وكلَّما انسكبتْ في الكأس آونةً ... أقسمتُ أن شُعاعَ الشَّمسِ يَنْسَكِبُ

[يسري عن عبد الله بن طاهر بشعره]

أخبرني عمِّي قال حدثنا محمد بن سعد قال حدثني أَسْلَم مولى عبد الله بن طاهر قال : دخل علي بن الجهم يوماً على عبد الله بن طاهر في غُدْوة من غُدُواتِ الرَّبيع وفي السماء غَيْم رقيق والمطرُ يجيء قليلاً ويسكن قليلاً ، وقد كان عبد الله عزَم على الصَّبُوح . فغاضبته حَظِيَّةٌ له ، فتنغَّص عليه عَزْمُه وفتَر . فخُبِّر علي بن الجهم بالخبر وقيل له : قُلْ في هذا المعنى شيئاً ، لعله ينشَط للصَّبوح . فدخل عليه فأنشده[3] : [من البسيط]

صوت

أَمَا ترى اليومَ ما أحْلى شمائلَه ... صَحْوٌ وغَيْمٌ وإبْراقٌ وإرْعادُ
كأنَّه أنتَ يا مَنْ لا شبيهَ له ... وَصْلٌ وهَجْرٌ وتَقْرِيبٌ وإبْعادُ
فباكِرِ الرَّاحَ واشربْها مُعتَّقةً ... لم يَدَّخِرْ مِثْلَها كِسْرى ولا عادُ
واشْرَبْ على الرَّوضِ إذ لاحتْ زَخارِفُه ... زَهْرٌ ونَوْرٌ وأَوْراقٌ وأَوْرادُ[4]

---

1 ديوانه : 67–68 .
2 نور في ل : ثوب وفي شرح المقامات للشريشي : يوم .
3 ديوانه : 96–97 .
4 لاحت في الديوان :وشى . وأوراق في الديوان : توراق .

كأنّما يومُنا فِعْلُ الحبيبِ بنا بَذْلٌ وبُخْلٌ وإبعادٌ وميعادُ
وليس يذهبُ عنّي كلُّ فعلكمُ غَيٌّ ورُشْدٌ وإصلاحٌ وإفسادُ

فاستحسن الأبيات وأمر له بثلثمائة دينار ؛ وحمَله وخلَع عليه ، وأمر بأن يُغنّى في الأبيات . الغِناء لبَذْل الطاهرية ، خفيفُ رملٍ . وفيه لغيرها هزجٌ .

[جلس في المقابر بعد خروجه من السجن]

حدثني عمي قال حدثني محمد بن سعد قال حدثني رجلٌ من أهل خُراسان قال : رأيت علي بن الجهم بعد ما أُطلِقَ من حبسه جالساً في المقابر ؛ فقلت له : ويحك ؛ ما يُجلسك هاهنا ؟ فقال[1] : [من البسيط]

يشتاقُ كلُّ غريبٍ عندَ غُربَتِه ويذكرُ الأهلَ والجيرانَ والوطنا
وليس لي وطنٌ أمسَيْتُ أذكره إلا المقابرَ إذ صارتْ لهم وطنا

حدثني عمّي قال أنشدنا أحمد بن عبيد ومحمد بن سعد لعلي بن الجهم وفيه غناء[2] : [من مجزوء الرمل]

لو تَنَصَّلْتَ إلينا لَوَهَبْنا لكَ ذَنْبَكْ
بأبي ما أبغضَ العيـ ـشَ إذا فارقتُ قُرْبَكْ
ليتني أملِك قلبي مِثْلَ ما تَمْلِك قلبَكْ
أيُّها الواثقُ باللـ ـهِ لقد ناصحتَ ربَّكْ
ما رأى الناسُ إماماً أنْهَبَ الأموالَ نَهْبَكْ
أصبحتْ حُجَّتُك العُلْـ ـيا وحزبُ الله حِزبَكْ

الغناء لعريب رمل . وفيه لغيرها هزجٌ .

[هجاؤه أبا أحمد بن الرشيد]

حدثني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال : كان علي بن الجهم قد مدح أبا أحمد بن الرشيد فلم يُعطِه شيئاً ؛ فقال يهجوه[3] : [من مجزوء الرمل]

يا أبا أحمدَ لا يُنْـ ـجي من الشِّعْر الفِرارُ

1 ديوانه : 216 .
2 لم ترد هذه الأبيات في ديوانه .
3 ديوانه : 125–126 .

لبنـــي العبـاسِ أحـلا ... مٌ عِظـامٌ ووقــارُ
ولهـم في الحربِ إقـدا ... مٌ ورأْيٌ واصطبــارُ
ولهـــم ألْسِنـــةٌ تَبْـ ... ـري كما تَبْرِي الشِّفارُ
ووجـوهٌ كنجـومِ الـ ... ـلَّيل تَهْدِي مـن يَحارُ
ونَسِيـمٌ كنسيــمِ الـ ... ـرَّوضِ جادتْـه القِطارُ
ولِعطْفَيْــك عـن المجـ ... ـدِ شِمــاسٌ وازْوِرارُ
إن تكن منهم بلا شكٍّ ... فللعُـــودِ قُتــــارُ[1]

[رثاؤه عبد الله بن طاهر]

حدثني جحظة وعمي قالا حدثنا عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال : دخل إلينا علي بن الجهم بعقب موت أبي والمجلسُ حافلٌ بالمعزِّين ، فمثُل قائماً وأنشدنا يرثيه[2] : [من الخفيف]

أيُّ ركـــنٍ وَهـى من الإسلامِ ... أيُّ يــومٍ أخنْـى علـى الأيامِ
جَـلَّ رُزْءُ الأميرِ عـن كلِّ رُزْءٍ ... أدركتْــــه خواطـــرُ الأوهامِ
سَلَبتْنــا الأيــامُ ظـــلاً ظَلِيـلاً ... وأباحــتْ حِمـىً عزيـزَ المَـرامِ
يا بَنِـي مُصْعَبٍ حَلَلْتم مـن النا ... سِ مَحَـلَّ الأرواحِ في الأجسامِ
فـإذا رابَكم مـن الدَّهـرِ رَيْبٌ ... عَمَّ مـا خَصَّكم جميـعَ الأنامِ
انظروا هـل تَـرَوْن إلاَّ دموعـاً ... شاهــداتٍ على قلـوبٍ دوامي
مَنْ يُداوِي الدُّنيا ومَنْ يكلأُ المُلْـ ... ـكَ لدى فادحِ الخطوبِ العِظامِ[3]
نحـن مُتْنا بموتـه وأجـلُّ الـ ... ـخطبِ موتُ السَّاداتِ والأعلامِ
لم يَمُــتْ والأميرُ طاهـرُ حَــيٌّ ... دائـــمُ الانتقــام والإنْعــامِ
وهـو مـن بعـدِه نظـامُ المعالي ... وقِـوامُ الدُّنيـا وسيـفُ الإمامِ

قال : فما أذكر أني بكيت أو رأيتُ في دُورِنا باكياً أكثر من يومئذٍ .

[عريب تغني بشعره المعتز]

حدثني عمي قال حدثنا أبو الدِّهْقانةِ النديم قال : دخلنا يوماً إلى المعتز وهو مصطبحٌ على

---

1 القتار : ريح العود المحرق .
2 ديوانه : 214 .
3 فادح في ل : قادح .

صوتٍ اختاره واقترحه على عريب ، وأظُنُّ الصنعة لها ، فلم يزل يشرب عليه بقية يومِه ، فلما سَكِر أمر لها بثلاثين ألف درهم ، وفرَّق على الجلساء كلِّهم الجوائز والطِّيبَ والخلعَ . والصوت[1] : [من البسيط]

العينُ بعدَك لم تنظرْ إلى حَسَنٍ ... والنَّفسُ بعدَك لم تسكُنُ إلى سَكَنِ
كأنَّ نفسي إذا ما غبتَ غائبةٌ ... حتى إذا عُدْتَ لي عادت إلى بَدَني

والشعر لعلي بن الجهم .

[مع عبد الله بن طاهر]

حدثني جحظة ومحمد بن خلف وَكِيعٌ وعمي قالوا جميعاً حدثنا عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال : لما أطلَق أبي طاهرٌ علي بن الجهم من الحبس أقام معه بالشَّاذِياخ مدة . فخرجوا يوماً إلى الصيد ، واتفق لهم مَرْجٌ كثير الطير والوحش ، وكانت أيامُ الزَّعفران ، فاصطادوا صيداً كثيراً حسناً ، وأقاموا يشربون على الزَعفران . فقال علي بن الجهم يصِف ذلك[2] : [من الطويل]

وَطِئنا رياضَ الزَّعْفران وأمْسَكَتْ ... علينا البزاةُ البِيضُ حُمْرَ الدَّرارجِ[3]
ولم تَحْمِها الأدغالُ منَّا وإنّما ... أبحْنا حِماها بالكلابِ النوابجِ[4]
بمُسْتَرْوِحاتٍ سابحاتٍ بطونُها ... على الأرض أمثالَ السِّهام الزَّوالجِ[5]
ومُسْتَشْرِفاتٍ بالهَوادِي كأنّها ... وما عَقَفتْ منها رؤوسُ الصَّوالِجِ[6]
ومِنْ دالِعاتٍ ألْسُناً فكأنّها ... لِحىً من رجالٍ خاضعين كَواسجِ[7]
فَلَيْنا بها الغِيطانَ فَلْياً كأنّها ... أناملُ إحدى الغانياتِ الحوالجِ[8]
فَقُلْ لبُغاةِ الصَّيدِ هل من مُفاخرٍ ... بصَيْدٍ وهل من واصفٍ أو مُخارجِ
قَرَنَّا بُزاةً بالصُّقورِ وحَوَّمَتْ ... شواهينُنا من بعد صَيْدِ الزَّمامِجِ[9]

---

1 ديوانه : 219 .
2 ديوانه : 84 .
3 الدرارج في ل : التدارج .
4 النوابج : كالنوابح وفي ل : البوارج .
5 استروح الشيء : تشممه . الزوالج : السريعات .
6 الهوادي : الأعناق . وعقفت : عطفت وعوجت . الصوالج : جمع صولجان .
7 الكوسج : الذي لحيته على ذقنه لا على عارضيه .
8 حوالج : جمع حالجة وهي التي تندف القطن حتى يخلص الحب منه .
9 الزمامج : جمع زمج وهو نوع من الطير يصاد به دون العقاب .

[كتاب من حبسه إلى المتوكل]

حدثني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال: كتب علي بن الجهم إلى المتوكل وهو محبوس[1]: [من المتقارب]

صوت

أَقِلْنِي أَقالَكَ مَنْ لم يَزَلْ يَقِيكَ ويَصْرِفُ عنك الرَّدى

ويَغْذوك بالنِّعمِ السابغاتِ وليداً وذا مَيْعَةٍ أَمْرَدا

وتَجْرِي مقاديرُه بالذي تُحبُّ إلى أن بلغتَ المَدى

ويُعْلِيكَ حتى لَوَ آن السماءَ تُنالُ لجاوزتَها مُصْعِدا[2]

فما بين ربِّك جلَّ اسمُه وبينَك إلا نبيُّ الهُدى

فشكراً لأَنْعُمِه إنه إذا شُكِرتْ نعمةٌ جَدَّدا

وعفوَك عن مُذْنبٍ خاضعٍ قَرَنْتَ المُقِيمَ به المُقْعِدا

إذا ادَّرع الليلَ أَفْضى به إلى الصُّبح من قبلِ أن يَرْقُدا

عفا اللهُ عنكَ أَلاَ حُرْمةٌ تعُوذُ بفضلكَ أن أُبْعَدا[3]

لئن جَلَّ ذنبٌ ولم أعتمدْ لأنتَ أجلُّ وأعلى يَدا

أَلم تَرَ عَبْداً عدا طَوْرَه ومولىً عفا ورشيداً هدى

ومُفْسِدَ أمرٍ تلافيتَه فعاد فأَصْلَح ما أفْسَدا

فلا عُدْتُ أعصيك فيما أمرتَ حتى أزورَ الثَّرى مُلْحَدا[4]

وإلا فخالفتُ ربَّ السماء وخُنْتُ الصَّديقَ وعِفْتُ النَّدى

وكنتُ كعَزُّونَ أو كابنِ عمرو مُبيحِ العيالِ لمن أَوْلدا[5]

يكثِّر في البيتِ صِبيانَه يَغِيظُ بهم مَعْشَراً حُسَّدا[6]

---

1 ديوانه: 100–103 وفيه اختلاف في الترتيب.

2 ويعليك في الديوان: وأعلاك.

3 بفضلك في الديوان: بعفوك.

4 في الديوان: بعد أمرت: به أو أرى في الثرى ملحدا.

5 مبيح في الديوان: مباح.

6 رواية الديوان: أكثر صبيان بيتي لِكَيْ أغيظ بهم معشراً حسداً

[شماتته بأحمد بن أبي دواد حين فلج]

حدثني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال : لما فُلِجَ ابن أبي دُواد شَمِت به علي بن الجهم وأظهر ذلك له وقال فيه[1] : [من الكامل]

لم يَبْقَ منك سوى خيالِك لامعاً ... فوقَ الفِراشِ مُمَهَّداً بوسادِ
فَرِحَتْ بمَصْرَعِك البريَّةُ كلُّها ... مَنْ كان منهم مُوقِناً بمَعادِ
كم مجلسٍ للهِ قدْ عطَّلتَه ... كي لا يُحَدَّث فيه بالإسنادِ
ولَكَمْ مصابيحٍ لنا أطفأتَها ... حتى يزولَ عن الطريق الهادي
ولَكَمْ كريمةِ مَعْشَرٍ أَرْمَلْتَها ... ومُحَدِّثٍ أَوْثَقْتَ في الأَقيادِ
إنَّ الأسارى في السُّجُون تفرَّجوا ... لَمَّا أتتك مواكبُ العُوَّادِ
وغدا لمصرعِك الطبيبُ فلم يجدْ ... شيئاً لدائك حيلةَ المُرْتادِ
فذُقِ الهوانَ مُعَجَّلاً ومؤجَّلاً ... واللهُ رَبُّ العرشِ بالمِرصادِ
لا زال فالِجُك الذي بك دائباً ... وفُجِعْتَ قبلَ الموتِ بالأولادِ

[شعر له غنت فيه عريب]

أنشدني عمي لابن الجهم وفيه غناء لعريب[2] : [من الكامل]

نَطَقَ الهوى بجَوىً هو الحقُّ ... وملكتني فَلْيَهْنِك الرِّقُّ
رِفْقاً بقلبي يا معذِّبَه ... رفقاً وليس لظالمٍ رِفْقُ
وإذا رأيتُك لا تكلِّمني ... ضاقتْ عليَّ الأرضُ والأُفْقُ

وأنشدني له وفيه غناء أيضاً ، ويقال إنه آخر شعر قاله[3] : [من المنسرح]

يا رحمةً للغريبِ بالبلدِ النـ ... ـازحِ ماذا بنفسِه صَنَعا
فارَقَ أحبابَه فما انتفعُوا ... بالعيشِ من بعدِه وما انتفعا

[هجاؤه مغنّياً]

وقال لمغنٍّ حضر معه مجلساً وكان غير طيِّب[4] : [من الخفيف]

1 ديوانه : 106–107 .

2 ديوانه : 164 مع بعض الاختلاف .

3 ديوانه : 159 .

4 ديوانه : 57–58 .

كنتُ في مجلسٍ فقال مُغَنّي الـ ـقومِ كم بيننا وبين الشتاء
فذَرَعْتُ البِساطَ مِنّي إليه قلتُ هذا المقدارُ قبل الغِناء
فإذا ما عَزَمْتَ أن تتغنّى آذَنَ الحَرُّ كلُّه بانقضاء

[استشفع بقبيحة إلى المتوكل]

أخبرني علي بن العباس بن أبي طلحة قال حدثني عبد الله بن المعتز قال : لما حبَس أمير المؤمنين المتوكّلُ عليَّ بن الجهم ، وأجمع الجُلساء على عداوته وإبلاغ الخليفة عنه كلَّ مكروه ووصفِهم مساويَه ، قال هذه القصيدة يمدحه ويذكّره حقوقه عليه ، وهي : [من المتقارب]

عفا اللهُ عنكَ ألاَ حُرْمةٌ تَعُوذُ بعفوكَ أن أُبْعَدا

ووجَّه بها إلى بَيْدون الخادم ، فدخل بها إلى قبيحة وقال لها : إن عليَّ بن الجهم قد لاذ بكِ وليس له ناصرٌ سواك ، وقد قصده هؤلاء الندماء والكتاب لأنه رجل من أهل السنَّة وهم روافض ، فقد اجتمعوا على الإغراء بقتله . فدَعَتِ المعتز وقالت له : اذهب بهذه الرقعة يا بُنَي إلى سيِّدك وأوصِلْها إليه ، فجاء بها ووقف بين يَدَيْ أبيه . فقال له : ما معكَ فديتُك ؟ فدنا منه وقال : هذه رُقعة دفَعَتْها إليَّ أُمِّي . فقرأها المتوكل وضحِك . ثم أقبل عليهم فقال : أصبح أبو عبد الله ، فديتُه ، خصمَكم . هذه رقعة علي بن الجهم يستقيل ، وأبو عبد الله شفيعُه ، وهو ممن لا يُرَدّ ، وقرأها عليهم . فلما بلغ إلى قوله : [من المتقارب]

فلا عُدْتُ أعْصِيكَ فيما أمرتَ إلى أن أُحَلَّ الثَّرى مُلْحَدا
وإلا فخالفتُ رَبَّ السماءِ وخُنْتُ الصَّدِيقَ وعِفْتُ النَّدى
وكنتُ كعَزُّونَ أو كابنِ عمرو مُبِيحِ العِيالِ لمن أُوْلَدا

وَثَب ابن حمدون وقال للمعتز : يا سيدي فمَن دفع هذه الرقعة إلى السيدة ؟ قال بَيْدون الخادم : أنا . فقالوا له : أحسنتَ ! تُعادينا وتوصل رُقعةَ عدوِّنا في هجائنا ! ! فانصرف بيدون وقام المعتز فانصرف . واستلَب ابنُ حمدون قوله : [من المتقارب]

وكنتُ كعَزُّونَ أو كابنِ عمرو مُبِيحِ العِيالِ لمن أُوْلَدا

فجعل يُنشدهم إياه وهم يشتُمون ابنَ حمدون ويَضِجُّون والمتوكل يضحَك ويصفِّق ويشرب حتى سَكِر ونام ، وسرقوا قصيدته من بين يَدَيْ المتوكل وانصرفوا ، ولم يوقِّع بإطلاقه ونَسِيَه . فقالوا لابن حمدون : وَيلَك ؛ تُعِيد هجاءنا وشَتْمنا ؟! فقال : يا حَمْقى والله لو لم أفعل ذلك فيضحك ويشرب حتى يسكر وينام لوقَّع في إطلاقه ووقَعْنا معه في كلِّ ما نكره .

[هنأ المتوكل بفتح أرمينية]

أخبرني علي بن الحسين قال حدثني جعفر بن هارون بن زياد قال حدثني أحمد بن حمدون قال : لما افتُتِحت أرمينية وقُتِل إسحاق بن إسماعيل دخل علي بن الجهم فأنشد المتوكّلَ قصيدته التي يُهَنِّيه فيها بالفتح ويمدحه ، فقال فيها وأومأ بيده إلى الرسول الوارد بالفتح وبرأس إسحاقَ بن إسماعيل[1] : [من الرجز]

أهْلاً وسَهْلاً بكَ من رسولِ ... جئتَ بما يَشْفِي من الغَلِيلِ

بجملةٍ تُغْني عن التفصيلِ ... برأسِ إسحاقَ بنِ إسماعيلِ

قَهْراً بلا خَتْلٍ ولا تطويلِ

فاستحسن جميع من حضر ارتجاله هذا وابتداءه ، وأمر له المتوكل بثلاثين ألف درهم ، وتمَّم القصيدة . وفيها يقول : [من الرجز]

جاوز نَهْرَ الكُرِّ بالخُيولِ ... تَرْدِي بفِتْيانٍ كأُسْدِ الغِيَلِ[2]

مُعَوَّداتٍ طلبَ الذُّحُولِ ... خُزْرُ العيونِ طيبي النُّصولِ[3]

شُعْثٌ على شُعْثٍ من الفحولِ ... جيشٌ يَلُفُّ الحَزْنَ بالسُّهولِ

كأنّه مُعْتَلِجُ السُّيولِ ... يَسُوسُه كَهْلٌ من الكهولِ[4]

لا يَنْثني للصَّعْب والذَّلُولِ ... على أغَرَّ واضحِ الحُجُولِ

حتى إذا أَصْحَرَ للمخذولِ ... ناجَزَه بصارمٍ صَقِيلِ[5]

ضَرْباً طِلَحْفاً ليس بالقليلِ ... ومَنْجَنِيق مثلِ حَلْقِ الفيلِ[6]

تَرْفَضُّ عن خُرْطومه الطويلِ ... صواعقٌ من حَجَر السِّجِّيلِ

تترك كَيْدَ القومِ في تَضْليلِ ... ما كان إلا مِثْلُ رَجْعِ القِيلِ

حتى انْجَلَتْ عن حزبه المفلولِ ... وعن نساءٍ حُسَّرٍ ذُهُولِ

صوارِخٍ يَعْثُرْن في الذُّيولِ ... ثَواكلِ الأولادِ والبُعُولِ

---

1 ديوانه : 191–192 .

2 الكر : نهر بأرمينية يشق مدينة تفليس . وتردي : ترجم الحصى بحوافرها .

3 الذحول : جمع ذحل وهو الثأر . خزر العيون : ضيق العيون . وطيبي النصول في ل : صيتي النصول .

4 معتلج السيول : متلاطم .

5 اصحر : برز .

6 طلحف : شديد .

لا والذي يُعْـرَفُ بالعقولِ ... مِـن غيرِ تحديـدٍ ولا تمثيلِ
مـا قـامَ للهِ وللرسولِ ... بالدِّيـنِ والدُّنيـا وبـالتَنزيلِ
خليفـةٌ كجعفـرَ المأمولِ

[يرسل مديحاً إلى المتوكل من حبسه]

أخبرني علي بن العباس قال حدثني محمد بن عبد السلام قال : رأيتُ مع علي بن يحيى المنجِّم قصيدةَ علي بن الجهم يمدح المتوكل ويصف الهاروني[1] ، فقلت له : يا أبا الحسن ، ما هذه القصيدة معك ؟ فضحِك وقال : قصيدةٌ لعلي بن الجهم سألني عَرْضَها على أمير المؤمنين فعرَضتها . فلما سمع قوله[2] : [من المتقارب]

وقُبَّـة مُلْـكٍ كأنَّ النُّجـو ... مَ تُصْغِـي إليهـا بأسرارها[3]
تَخِـرُّ الوفـودُ لهـا سُجَّـداً ... إذا مـا تَجلَّـتْ لأَبْصارها
وفَـوَّارة ثأرُهـا في السمـاءِ ... فليستْ تُقَصِّرُ عـن ثـارها
تَـرُدُّ على المُزْنِ مـا أنزلتْ ... إلى الأرضِ من صَوْب مِدرارها

تهلل وجهُه واستحسنها . فلما انتهيتُ إلى قوله : [من المتقارب]

تَبَوأْتُ بعـدَك قَعْرَ السُّجون ... وقـد كنـتُ أُرْثـي لزوارها

غضِب وتربَّد وجهُه وقال : هذا بما كسَبتْ يداه ، ولم يَسْمَع تمامَ القصيدة .

[مقتله في الطريق إلى حلب]

أخبرني علي بن العباس قال حدثني الحسين بن موسى قال : لما شاع في الناس مذهب علي بن الجهم وشَرُّه وذِكْرُه كلَّ أحدٍ بسوءٍ من صديقه وعدوه تحاماه الناس ، فخرج عن بغداد إلى الشام ، فاتفقنا في قافلةٍ إلى حَلَب . وخرج علينا نَفَرٌ من الأعراب ، فتسرَّع إليهم قومٌ من المُقاتِلة ، وخرج فيهم فقاتل قتالاً شديداً وهزَم الأعرابَ . فلما كان من غدٍ خرج علينا منهم خَلْقٌ كثير ، فتسرَّعت إليهم المقاتِلة وخرج فيهم فأصابتْه طعنةٌ قتلتْه ، فجئنا به واحتملناه وهو يَنْزِف دمُه . فلما رآني بكى وجعل يُوصِيني بما يريد . فقلت له : ليس عليك بأس . فلما أمسينا قلِق قلقاً شديداً وأحسَّ بالموت ، فجعل يقول[4] : [من المجتث]

---

1 الهاروني : قصر قرب سامراء ينسب إلى هارون الواثق بالله .
2 من قصيدة طويلة في ديوانه : 146–149 .
3 الديوان : تفضي .
4 ديوانه : 183 .

أَزِيدَ في الليلِ ليلُ   أم سالَ بالصُّبح سَيْلُ
ذكرتُ أهلَ دُجَيْلٍ   وأينَ منِّي دُجَيْلُ

فأبكى كلَّ من كان في القافلة ، ومات مع السَّحَر ، فدُفِن في ذلك المنزل على مرحلة من حلب .

[ومن صنعة أبي عيسى بن المتوكل]

صوت

[من الطويل]

إن الناسُ غَطَّوْني تَغَطَّيْتُ عنهمُ   وإن بحثوا عنِّي ففيهم مَباحثُ
وإن حفَروا بئري حَفَرتُ بِئارَهم   فسوفَ تَرى ماذا تُثير النَّبائثُ[1]

الشعر لأبي دُلامة . والغِناء لأبي عيسى بن المتوكِّل ، ولحنه ثقيلٌ أولُ عن المعتز .

1 النبائث : جمع نبيثة وهو تراب البئر .

[169] ـ أخبار أبي دُلامة ونسبُه[1]

[نسبه]

أبو دُلامة زَنْد بن الجَوْن . وأكثرُ الناس يُصَحِّف اسمَه فيقول «زيد» بالياء ، وذلك خطأ ، وهو زَنْد بالنون . وهو كوفيٌّ أسودُ ، مولىً لبني أسَد . كان أبوه عبداً لرجل منهم يقال له فضافض فأعتقه . وأدرك آخرَ أيامِ بني أمية ، ولم يكن له في أيامهم نباهة ، ونبغ في أيام بني العباس ، وانقطع إلى أبي عباس وأبي جعفر المنصور والمهدي ، فكانوا يقدِّمونه ويَصِلونه ويستطيبون مجالستَه ونوادرَه . وقد كان انقطع إلى رَوْح بن حاتم المُهَلَّبي أيضاً في بعض أيامه . ولم يصِلِ إلى أحدٍ من الشعراء ما وصل إلى أبي دُلامة من المنصور خاصةً . وكان فاسدَ الدِّين ، رديء المذهب ، مرتكِباً للمحارم ، مُضَيِّعاً للفروض ، مجاهراً بذلك ، وكان يُعْلَم هذا منه ويُعْرَف به ، فيُتَجافى عنه لِلُطْفِ مَحَلِّه .

[أول شعر عرف به]

وكان أولُ ما حُفِظ من شعره وأسْنِيَتِ الجوائزُ له به قصيدةً مدح بها أبا جعفر المنصور وذكَر قَتْلَه أبا مسلم . فأخبرني أحمد بن عُبَيْد الله بن عَمار قال حدثني محمد بن داود بن الجَرَّاح عن محمد بن القاسم عن أحمد بن حَبِيب قال : لما قال أبو دُلامة قصيدتَه في قتل أبي مسلم التي يقول فيها : [من الطويل]

أبا مُسْلِمٍ خَوَّفْتَني القتلَ فانْتَحى   عليك بما خوَّفتني الأَسَدُ الوَرْدُ

أبا مسلمٍ مـا غيَّر اللهُ نعمـةً   على عبـدِه حتى يغيِّرَها العبدُ

أنشدَها المنصورَ في محفلٍ من الناس ، فقال له : احتكم . قال : عشرة آلاف درهم ، فأمَر له بها . فلما خلا به قال له : إيهِ ، أما والله لو تَعَدَّيتَها لقتلتُك .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن مسلم عن أبيه قال : سمَّى لي أبو

---

1 لأبي دلامة ترجمة في الشعر والشعراء : 660 وطبقات ابن المعتز : 54 وتاريخ بغداد 8 : 488 وابن خلكان 2 : 320 وسير الذهبي 7 : 374 والوافي 14 : 216 والمؤتلف والمختلف : 231 والبداية والنهاية 10 : 134 ومعاهد التنصيص 2 : 211 والدميري 1 : 163 والشذرات 1 : 249 وطرائفه منثورة في كتب الأدب ، وقد أورد صاحب التذكرة الحمدونية طائفة منها ، وقد جمع ديوانه الدكتور رشدي علي حسن (بيروت 1985) .

دلامة نفسَه زَنْداً (بالنون) ابنَ الجَوْن . وأسلم مولاه فضافض ، وله أيضاً شعر ، وكان في الصَّحابة .

[أعفاه المنصور من لبس السواد والقلانس]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدثنا الزُّبير بن بكار قال حدثني جعفر بن الحسين المهلبي قال : كان أبو جعفر المنصور قد أمر أصحابه بلُبس السَّواد وقلانِسَ طِوالٍ تُدْعَم بعِيدانٍ من داخلها ، وأن يعلقوا السُّيوفَ في المناطق ، ويكتبوا على ظهورهم : ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ . فدخل عليه أبو دُلامة في هذا الزِّي . فقال له أبو جعفر : ما حالُك ؟ قال : شَرُّ حالٍ ، وجْهِي في نِصْفي ، وسَيْفِي في استي ، وكتابُ الله وراءَ ظهري ، وقد صبغت بالسَّواد ثيابي . فضحِك منه وأعفاه وحدَه من ذلك ، وقال له : إياك أن يَسْمَع هذا منك أحد .

ونسختُ من كتابٍ لابن النطَّاح فذكَر مِثْلَ هذه القصة سواءً وزاد فيها : [من الطويل]

وكنا نرجِّي من إمامٍ زيادةً ... فجادَ بطُولٍ زادَه في القَلانِسِ

تَراها على هامِ الرجالِ كأنّها ... دِنانُ يهودٍ جُلِّلَتْ بالبرانِسِ

فضحِك منه وأعفاه .

[طلبه كلب صيد]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد النحوي قال حدثني الجاحظ قال : كان أبو دُلامةَ بين يَدَيْ المنصور واقفاً ، وأخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قُتيبة أنه كان واقفاً بين يَدَيْ السَّفَّاح[1] ، فقال له : سَلْني حاجتَك . قال أبو دُلامة : كلبٌ أتصيَّد به . قال : أعطوه إياه . قال : ودابَّةٌ أتَصيَّد عليها . قال : أعطُوه . قال : وغلامٌ يَصيد بالكلب ويقوده . قال أعطوه غلاماً . قال : وجاريةٌ تُصلِح لنا الصَّيْد وتُطْعِمنا منه . قال : أعطوه جارية . قال : هؤلاء يا أمير المؤمنين عبيدُك فلا بد لهم من دارٍ يسكنونها . قال : أعطوه داراً تجمعهم . قال : فإن لم تكن لهم ضَيْعةٌ فمن أين يعيشون ! قال : قد أعطيتُك مائةَ جَرِيبٍ عامرةً ومائةَ جَرِيب غامرة . قال : وما الغامرة ؟ قال : ما لا نباتَ فيه . فقال : قد أقطعتُك أنا يا أمير المؤمنين خمسمائة ألف جَرِيب غامرةً من فَيافي بني أَسَد . فضحِك وقال : اجعلوها كلَّها عامرةً . قال : فَأْذَنْ لي أن أُقبِّل يدَك . قال : أمّا هذه فدَعْها . قال : والله ما منعتَ عيالي شيئاً أقل ضرراً عليهم منها . قال الجاحظ[2] : فانظُر إلى حِذْقه بالمسألة ولُطفِه فيها : ابتدأ بكلب فسهَّل القصة به ، وجعل يأتي بما يليه على

1 انظر الشعر والشعراء : 660 .

2 الحيوان 2 : 170–171 وفيه أيضاً أن الطلب كان من السفاح ولم يذكر تعليق الجاحظ على لطف أبي دلامة في المسألة .

ترتيبٍ وفكاهةْ ، حتى نال ما لو سأله بديهةً لَما وصل إليه .

[تكنيته باسم جبل بمكة]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني السُّكَّري عن محمد بن حبيب قال : اسم أبي دلامة زَنْدٌ بالنون ، ومن الناس من يرويه بالياء ، وكُنِّيَ أبا دُلامة باسم جبلٍ بمكة يقال له أبو دُلامة ، كانت قريش تَئِدُ فيه البناتِ في الجاهلية ؛ وهو بأعلى مكة .

[مديحه الغريب للمنصور]

وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة ، وأخبرني عمِّي قال حدثني الكُراني عن العُمَرِي عن الهيثم قال : دخل أبو دلامة على المنصور فأنشده قصيدته التي يقول فيها : [من البسيط]

إن الخَلِيطَ أجَدَّ البينَ فانتجعوا ... وزَوَّدوكَ خَبالاً بئس ما صنعوا
واللهُ يعلمُ أنْ كادت لِبَيْنِهمُ ... يومَ الفِراق حَصاةُ القلب تَنْصَدِعُ
عجِبتُ من صِبْيَتي يوماً وأمِّهِمُ ... أُمِّ الدُّلامةِ لما هاجَها الجَزَعُ
لا باركَ اللهُ فيها من مُنَبِّهةٍ ... هَبَّتْ تَلُومُ عيالي بعد ما هَجعوا
ونحنُ مُشْتَبِهو الألوان أوجهُنا ... سُودٌ قِباحٌ وفي أسمائنا شَنَعُ
إذا تَشَكَّتْ إليَّ الجوعَ قلتُ لها ... ما هاج جُوعَكِ إلا الرِّيُّ والشِّبَعُ

ويُروى وهو الجيد :

أذابَكِ الجوعُ مُذْ صارت عيالتُنا ... على الخليفة منه الرِّيُّ والشِّبَعُ
لا والذي يا أميرَ المؤمنين قَضى ... لكَ الخلافةَ في أسبابها الرِّفَعُ
ما زِلتُ أخْلِصُها كَسْبِي فتأكله ... دوني ودون عيالي ثم تضطجعُ
شَوْهاءُ مَشْنَأةٌ في بطنها ثَجَلٌ ... وفي المفاصل من أوصالها فَدَعُ[1]
ذكَّرتُها بكتابِ اللهِ حُرْمتنا ... ولم تكن بكتابِ اللهِ تَنْتفعُ
فاخْرَنْطَمَتْ ثم قالت وهي مُغْضَبَةٌ ... أأنتَ تتلو كتابَ اللهِ يا لُكَعُ
اخرُجْ لتبغِ لنا مالاً ومَزْرَعَةً ... كما لجيراننا مالٌ ومُزْدَرَعُ[2]
واخْدَعْ خليفتَنا عنها بمسألةٍ ... إنَّ الخليفةَ للسُّؤالِ ينخدعُ

1 الثجل : عظم البطن واسترخاؤه . الفدع : الاعوجاج .
2 لتبغ في ل : تَبَغَّ .

فضحِك أبو جعفر وقال : أرضوها عنّي واكتبوا له بمائتي جَرِيب عامرة ومائتي جرِيب غامرة ، وقال الهيثم : بستمائة جَريب عامرة وغامرة ، فقال له : أنا أُقْطِعك يا أمير المؤمنين أربعةَ آلاف جَريب غامرة فيما بين الحِيرة والنَّجَف ، وإن شئتَ زِدتُك . فضحِك وقال : اجعلوها كلَّها عامرة .

[ابن أبي ليلى يمضي شهادته]

حدثني محمد بن أحمد بن الطَّلاَّس قال حدثنا أحمد بن الحارث الخَرَّاز عن المدائني قال : شهِد أبو دلامة بشهادة لجارة له عندَ ابن أبي ليلى على أتانٍ نازعها فيها رجل . فلما فرغ من الشهادة قال : اسْمَعْ ما قلتُ فيك قبل أن آتيكَ ثم اقْضِ ما شئتَ . قال : هات ؛ فأنشده : [من الطويل]

إن الناس غَطَّوْني تغطَّيْتُ عنهمُ   وإن بحثوا عني ففيهم مَباحِثُ
وإن حفَروا بئري حفرتُ بئارَهم   ليُعْلَمَ يوماً كيفَ تلكَ النَّبائثُ

ثم أقبل على المرأة فقال : أتَبيعِينني الأتانَ ؟ قالت نعم . قال : بكم ؟ قالت : بمائة درهم . قال : ادفعوها إليها ففعلوا . وأقبل على الرجل فقال : قد وهبتُها لك ، وقال لأبي دلامة : قد أمْضَيْتُ شهادتَك ولم أبحث عنك ، وابتعتُ ممن شَهِدتَ له ، ووهبتُ مِلْكِي لمن رأيتُ . أرَضِيتَ ؟ قال نعم ، وانصرف .

[ذمه لابنته]

أخبرني الحسن بن علي الخَفَّاف قال حدثنا أبو بكر أحمد بن أبي خَيْثَمة قال حدثنا محمد بن سَلاَّم عن علي بن إسماعيل قال : كنتُ أُسْقي أبا دلامة والسندي[1] ، إذ خرجتْ بنتٌ لأبي دلامة ، فقال فيها أبو دلامة : [من الوافر]

فما ولدتك مريمُ أمُّ عيسى   ولا ربَّاكِ لُقْمانُ الحكيمُ

أجِزْ يا أبا هاشم . فقال السندي : [من الوافر]

ولكن قد تَضُمُّكِ أمُّ سَوْءٍ   إلى لَبَّاتها وأبٌ لئيمُ

فضحِك لذلك . ثم غدا أبو دُلامة إلى المنصور فألفاه في الرَّحَبة يُصْلِح فيها شيئاً يريده ، فأخبره بقصة بنته وأنشده البيتين ، ثم اندفع فأنشده بعدهما : [من البسيط]

لو كان يَقْعُد فوقَ الشمسِ من كَرَمٍ   قومٌ لَقِيل اقعدوا يا آل عباسِ

1 في رواية : السيد أي السيد الحميري .

ثم ارتقُوا في شُعاعِ الشمسِ كلُّكمُ إلى السمـاء فأنتـم أطهـرُ الناسِ
وقدِّموا القائـمَ المنصورَ رأسَكُم فالعينُ والأنفُ والأُذْنانِ في الراسِ

فاستحسنها ، وقال له : بأيِّ شيء تحبُّ أن أُعِينَكَ على قُبْحِ ابنتِك هذه ؟ فأخرج خريطةً قد كان خاطها من الليل فقال : تملأ لي هذه دارهمَ ، فمُلِئتْ فوَسِعتْ أربعةَ آلاف درهم .

وقد أخبرني بهذا الخبر عمي قال حدثنا الكُراني قال حدثني العُمَري عن الهَيْثَم بن عَدِي قال : دخل أبو عَطاء السِّنْدي يوماً إلى أبي دُلامة فاحتبسه عنده ، ودعا بطعام فأكلا وشبِعا ، وخرجتْ إلى أبي دُلامة صَبِيَّةٌ لـه فحملها على كتفه ، فبالت عليه فنبَذها عن كتفـه ، ثم قال : [من الوافر]

بَلَلْتِ عليَّ ، لا حُيِّيتِ ، ثوبي فبـالَ عليـكِ شيطانٌ رجيمُ
فما ولَدتكِ مريـمُ أُمُّ عيسى ولا ربَّـاكِ لُقْمـانُ الحكيمُ

ثم التفت إلى أبي عطاء فقال له : أجِزْ . فقال : [من الوافر]

صدقتَ أبا دُلامةَ لم تَلِدْهـا مُطَهَّـرَةٌ ولا فحـلٌ كريـمُ
ولكـن قـد حَوَتْهـا أُمُّ سَوْءٍ إلى لَبَّاتهـا وأبٌ لئيـمُ

فقال له أبو دلامة : عليك لعنةُ الله ؛ ما حملكَ على أن بلغتَ بي هذا كلَّه ! والله لا أُنازِعك بيتَ شعرٍ أبداً . فقال أبو عَطاء : لأن يكونَ الهربُ من جهتك أحبُّ إليَّ .

[رثى السفاح فغضب عليه المنصور]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني عبد الله بن المعتز قال حدثني أبو مالك عبد الله بن محمد قال حدثني أبي قال : لما تُوفِّي أبو العباس السفَّاح دخل أبو دلامة على المنصور والناس عنده يُعَزُّونه ؛ فأنشأ أبو دلامة يقول : [من الكامل]

أمْسَيْتَ بالأنبـار يـا ابنَ محمدٍ لم تستطعْ عـن عُقْرهـا تحويلا
وَيْلي عليـكَ ووَيْل أهـلي كلِّهم ويـلاً وعَـوْلاً في الحياةِ طويلا
فَلْتَبْكِيَـنَّ لـكَ النساءُ بعَبْـرةٍ ولْيَبْكِيَـنَّ لـكَ الرِّجـالُ عَويلا
مات النَّدى إذ مِتَّ يا ابن محمدٍ فجعلتَه لـكَ في الثـراء عديلا[1]
إنِّي سألتُ النـاسَ بعدك كلَّهم فوجدتُ أسمحَ مَنْ سألتُ بخيلا

---

1 الثراء : لغة في الثرى . وسيرد البيت برواية أُخرى .

أَلِشِقْوَتي أُخِّرتُ بعدَكَ للتي ... تَدَعُ العزيزَ من الرجالِ ذليلا
فلأَحْلِفَنَّ يمينَ حقٍّ بَرَّةً ... باللهِ ما أُعْطِيتُ بعدَكَ سُولا

قال : فأبْكى الناسَ قولُه . فغضِب المنصورُ غضباً شديداً وقال : لئن سمعتُك تُنْشِدُ هذه القصيدة لأقطعن لسانَك . فقال أبو دلامة : يا أمير المؤمنين ، إن أبا العباس أميرَ المؤمنين كان لي مُكْرِماً وهو الذي جاء بي من البَدْو كما جاء الله بإخوة يوسف إليه ، فقل كما قال يوسف لإخوته ﴿لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُم اليَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِين﴾ فسُرِّيَ عن المنصور . وقال : قد أقلناك يا أبا دلامة ، فسَلْ حاجتَك . فقال : يا أمير المؤمنين ، قد كان أبو العباس أَمَر لي بعشرة آلاف درهم وخمسين ثوباً وهو مريض ولم أقبضْها . فقال المنصور : ومَنْ يعرِف هذا ؟ فقال : هؤلاء ، وأشار إلى جماعة ممن حضَر . فوثَب سليمانُ بن مُجالِد وأبو الجَهْم فقالا : صدَق أبو دلامة ، نحن نعلم ذلك . فقال المنصور لأبي أيوب الخازن وهو مَغيظ : يا سليمانُ ادفَعْها إليه وسيِّرْه إلى هذه الطاغية (يعني عبد الله بن علي[1] ، وقد كان خرج بناحية الشام ، وأظهر الخلافَ) . فوثَب أبو دلامة فقال : يا أمير المؤمنين ، إني أُعيذُك بالله أن أخرج معهم ، فوالله إني لمشؤوم . فقال المنصور : امضِ فإن يُمْني يَغْلِب شُؤْمَك فاخْرُجْ . فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أُحِبُّ لك أن تجرِّب ذلك منِّي على مثل هذا العسكر ؛ فإني لا أدري أيُّهما يَغْلِب : أيُمْنُك أم شؤمي ، إلا أني بنفسي أوثَقُ وأعْرَفُ وأطْوَلُ تجربةً . قال : دَعْني من هذا فما لكَ من الخروج بد . فقال : إني أَصْدُقُكَ الآنَ ، شَهِدتُ والله تسعةَ عشرَ عسكراً كلُّها هُزِمتْ ؛ وكنتُ سببَها . فإن شئتَ الآن على بَصيرةٍ أن يكون عسكرُك العشرين فافْعَلْ . فاستغرب أبو جعفر ضحِكاً ، وأمره أن يتخلَّف مع عيسى بن موسى بالكوفة .

[أغضب المنصور لكثرة مدحه السفاح]

أخبرني عمي قال حدثنا الكُراني قال حدثني العُمَري عن الهيثم بن عَدِي قال : لما مات أبو العباس السفاح ووَلِيَ المنصور ، دخل عليه أبو دلامة ، فقال له أبو جعفر : ألستَ القائلَ لأبي العباس : [من الوافر]

وكنّا بالخليفة قد عَقَدْنا ... لِواءَ الأمر فانتقَض اللواءُ
فنحنُ رَعِيَّةٌ هَلَكتْ ضَياعاً ... تَسُوقُ بنا إلى الفِتَنِ الرِّعاءُ

قال : ما قلت هذا يا أمير المؤمنين . قال : كذبتَ والله ؛ أَفَلَستَ القائل : [من الكامل]

1 هو عم المنصور خرج بالشام وغلبه أبو مسلم .

هلَك النَّدى إذ بِنتَ يا ابن محمدٍ ... فجعلتَه لكَ في التراب عَدِيلا
ولقد سألتُ الناسَ بعدَك كلَّهم ... فوجدتُ أكرمَ مَنْ سألتُ بخيلا
ولقد حَلَفْتُ على يمينٍ بَرَّةٍ ... باللهِ ما أُعْطِيتُ بعدَك سُولا

فقال أبو دلامة : إن أخاك صلَّى الله عليه غلَبني على صبري ، وسلَبني عزيمتي ، وعَزَّني بإحسانه إليَّ وجزعي عليه ، فقلت ما لم أتأمَّلْه ، وإني أرغب في الثمن ، فاسْتَفْرَهَ السِّلْعَةَ حياً وميِّتاً . فإن أعْطَيْتَ ما أعطى ، أخذتَ ما أخذ . فأمر به فحُبِس ثلاثاً ثم خَلَّى سبيلَه ودعاه إليه فوصلَه ، ثم عاد إلى ما كان عليه .

[خروجه في الحرب ومنازلته خارجياً]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني أحمد بن سعيد الدِّمَشْقي قال حدثني أبو دلامة قال : أُتي بي المنصورُ أو المهديُّ وأنا سكران ، فحلَف لَيُخْرِجَنِّي في بَعْثِ حربٍ ، فأخرجني مع رَوْح بن حاتم المهلَّبي لقتال الشُّراةِ[1] . فلما التقى الجمعان قلت لرَوْح : أما والله لو أن تحتي فرسَكَ ومعي سلاحَكَ لأثَّرتُ في عدوك اليوم أثراً ترتضيه . فضحك وقال : والله العظيم لأدفعن ذلك إليك ، ولآخذنَّك بالوفاء بشرطك . ونزل عن فرسه ونزع سلاحه ودفعهما إليَّ ، ودعا بغيرهما فاستبدل به . فلما حصلَ ذلك في يدي وزالت عنِّي حلاوة الطمع ، قلت له : أيها الأمير ، هذا مقام العائذ بك ، وقد قلت بيتين فاسمعهما . قال : هات ، فأنشدتُه : [من الكامل]

إني استجرتُك أن أُقدَّم في الوَغى ... لِتَطاعُنٍ وتَنازُلٍ وضِرابِ
فهَبِ السُّيوفَ رأيتُها مشهورةً ... فتركتُها ومضَيْتُ في الهُرَّابِ
ماذا تقولُ لما يجيء وما يُرى ... من واردات الموتِ في النُّشَّابِ

فقال : دع عنك هذا وستعلم . وبرَز رجل من الخوارج يدعو للمبارزة ، فقال : اخرج إليه يا أبا دلامة . فقلت : أَنْشُدكَ اللهَ أيُّها الأمير في دمي . قال : والله لَتَخْرُجَن . فقلت : أيها الأمير فإنه أول يوم من الآخرة وآخرُ يوم من الدنيا ، وأنا والله جائع ما شَبِعَتْ منِّي جارحةٌ من الجوع ، فَمُرْ لي بشيءٍ آكله ثم أخرُج . فأمر لي برغيفين ودَجاجة ، فأخذتُ ذلك وبرزتُ عن الصف . فلما رآني الشارِي أقبل نحوي عليه فَرْوٌ وقد أصابه المَطَرُ فابتل ، وأصابته الشمس فاقْفَعلَّ[2] وعيناه تَقِدان ، فأسرع إليَّ . فقلت له : على رِسلِك يا هذا كما أنت ، فوقف . فقلت :

1 الشراة : الخوارج .

2 اقفعل : تقبض .

أتقتل مَنْ لا يقاتلك ؟ قال : لا . قلت : أتقتل رجلاً على دِينك ؟ قال : لا . قلت : أفتستحِلُّ ذلك قبل أن تدعو مَنْ تقاتله إلى دِينك ؟ قال : لا ، فاذهب عني إلى لعنة الله . قلت : لا أفعل أو تسمعَ منّي . قال : قل . قلت : هل كانت بيننا قطُّ عداوةٌ أو ترَةٌ ، أو تعرِفُني بحالٍ تُحْفِظك عليَّ ، أو تعلم بين أهلي وأهلك وِتْراً ؟ قال : لا والله . قلت : ولا أنا والله لك إلا جميل الرأي ، وإني لأهواك وأنتحل مذهبكَ وأَدِين دينَك وأُريد السُّوءَ لِمَن أراده لك . قال : يا هذا جزاك الله خيراً فانصرِفْ . قلت : إن معي زاداً أُحِبُّ أن آكُلَه معك ، وأُحِبُّ مُواكلتَك لتتوكَّدَ المودةُ بيننا ، ويرى أهلُ العسكر هوانَهم علينا . قال : فافعل . فتقدمتُ إليه حتى اختلفتْ أعناقُ دوابِّنا وجمعنا أرجلَنا على مَعارفها والناس قد غُلِبوا ضَحِكاً . فلما استَوْفَيْنا ودَّعَني . ثم قلت له : إن هذا الجاهلَ إن أقمتَ على طلب المبارزة ندَبَني إليك فتُتْعِبُني وتَتْعَبُ . فإن رأيتَ ألا تبرُز اليوم فافعلْ . قال : قد فعلتُ ، ثم انصرف وانصرفتُ . فقلت لرَوْح : أمَّا أنا فقد كفَيْتُك قِرْني فقل لغيري أن يَكْفِيَكَ قِرْنَه كما كفَيْتُك ، فأمسك . وخرج آخر يدعو إلى البِرازِ ، فقال لي : اخرج إليه . فقلت : [من البسيط]

إني أَعُـوذُ بـرَوْحٍ أن يقدِّمني ... إلى البرازِ فتَخْـزى بـي بنو أَسَدِ
إنَّ البِـرازَ إلى الأقـرانِ أعلمُـه ... مِمّا يفرِّق بـينَ الروحِ والجسدِ
قـد حالفتْك المنايا إذ صَمَدْتَ لها ... وأصبحتْ لجميعِ الخلقِ بالرَّصَدِ
إن المهلَّبَ حُبَّ الموتِ أورثَكم ... وما وَرِثتُ اختيارَ الموتِ عن أحدِ
لو أنَّ لي مهجةً أُخرى لجُدتُ بها ... لكنَّهـا خُلِقتْ فَـرْداً فلم أَجُدِ

فضحِك وأعفاني .

[يفر من مبارزة خارجي أيام مروان بن محمد]

أخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة قال قال أبو دلامة : كنتُ في عسكر مروان أيام زحَف إلى سِنانٍ الخارجي . فلما التقى الزَّحْفان خرج منهم رجلٌ فنادى : مَنْ يبارز ؟ فلم يخرج إليه أحدٌ إلا أَعْجله ولم يُنَهْنِهه[1] . فغاظ ذلك مروانَ وجعل ينْدُب الناسَ على خمسمائة ، فقُتِل أصحابُ الخمسمائة ، فزاد مروانُ وندَبهم على ألفٍ ، ولم يزل يَزِيدهم حتى بلغ خمسة آلاف درهم . وكان تحتي فرس لا أخاف خَوْنه ؛ فلما سمِعتُ بالخمسة آلاف ترقبته[2] واقتحمتُ الصَّفَّ . فلما نظرني الخارجيُّ علِم أني خرجتُ للطمع ؛ فأقبل إليَّ مُتَهيِّئاً وإذا عليه فَرْوٌ قد أصابه

1 نهنهه : كفه وزجره .

2 ترقبه : رصده .

المطر فابتل ، ثم أصابته الشمسُ فاقْفَعَلَّ ، وإذا عيناه تَقِدانِ كأنّهما من غَوْرِهما في وَقْبَيْن[1] .

فلما دنا مني أنشأ يقول : [من الرجز]

وخارج أخرجه حُبُّ الطَّمَعْ فَرَّ مِن الموتِ وفي الموتِ وَقَعْ

مَنْ كان يَنْوِي أهلَه فلا رَجَعْ

فلما وقَرتْ في أُذُني انصرفتُ عنه هارباً . وجعل مروانُ يقول : مَنْ هذا الفاضحُ ؟ إيتوني به ، فدخلتُ في غِمار الناس فنجَوْتُ .

[يسكر بالمال الذي أعطيه ليحج]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني أحمد بن سعيد قال حدثنا الزُّبير قال حدثنا جعفر بن الحسين اللِّهْبي قال : عزم موسى بن داود بن علي الهاشمي على الحج . فقال لأبي دلامة : احجُجْ معي ولك عشرةُ آلاف درهم . فقال : هاتِها ؛ فدُفعتْ إليه ، فأخذها وهرب إلى السَّواد ، فجعل يُنفِقها هناك ويَشْرَب بها الخمر . فطلبه موسى فلم يقدِر عليه ، وخشي فَوْتَ الحج فخرج . فلما شارف القادسيَّة إذا هو بأبي دُلامة خارجاً من قرية إلى أُخرى وهو سكرانُ ، فأمر بأخذه وتَقْييده وطَرْحِه في مَحْملٍ بين يديه ففُعِل ذلك به . فلما سار غيرَ بعيد أقبل على موسى وناداه : [من البسيط]

يا أيُّها الناسُ قولوا أجمعون معاً صلّى الإلهُ على موسى بن داودِ

كأن دِيباجتَيْ خديه من ذهبٍ إذا بدا لكَ في أثوابه السُّودِ

إني أعوذُ بداودٍ وأَعْظُمِه من أن أُكلَّف حَجّاً يا ابن داودِ

خُبِّرتُ أنَّ طريقَ الحجِّ مَعْطَشَةٌ من الشرابِ وما شُرْبي بتَصْريدِ[2]

واللهِ ما فيَّ من أجرٍ فتطلبَه ولا الثناءُ على دِيني بمحمودِ

فقال موسى : أَلقُوه لَعنه اللهُ عن المَحْمِلِ ودَعُوه ينصرفُ ، فأُلْقِيَ وعاد إلى قَصْفه بالسَّواد ، حتى نَفِدتِ العشرُ آلافِ درهم .

[استعفاؤه المنصور من ملازمة الجماعة في المسجد]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزُّبير عن جعفر بن الحسين اللِّهْبي ، وأخبرني عمي عن الكُراني عن العمري عن الهيثم بن عَدِي قالا : قال أبو أيوب المُورياني لأبي جعفر ، وكان يَشْنأ أبا دُلامة ، : إن أبا دلامة معتكفٌ على الخمر فما يحضُر صلاةً ولا مسجداً ، وقد

---

1 الوقب : نقرة في الجبل يجتمع فيها الماء .

2 صرد شربه : قطعه .

أفسد فِتيانَ العسكر . فلو أمرتَه بالصلاة معك لأُجِرْتَ فيه وفي غيره من فِتيان عسكرك بقطعِه عنهم . فلما دخل عليه أبو دلامة قال له : يا ابنَ اللَّخْناء ، ما هذا المجون الذي يبلُغني عنك ! . قال أبو دلامة : يا أمير المؤمنين ما أنا والمُجونُ وقد شارفتُ بابَ قبري ؛ . قال : دَعْني من استكانتك وتَضَرُّعِك ، وإياك أن تفوتَك صلاةُ الظهرِ والعصرِ في مسجدي . فلئن فاتتاكَ لأُحْسِنَنَّ أدبَك ولأُطِيلنَّ حَبْسَك . فوقع في شرٍّ ولَزِم المسجدَ أياماً ، ثم كتب قِصَّته ودفَعها إلى المهدي فأوصلها إلى أبيه ، وكان فيها : [من الطويل]

ألم تَعْلَمـا أن الخليفةَ لَـزَّنـي	بمسجدِه والقصرِ ما لي وللقصرِ ![1]
أُصَلِّي بـه الأولى جميعاً وعصرَها	فوَيْلي من الأولى ووَيْلي من العصرِ[2]
أُصَلِّيهما بالكَرْهِ في غيرِ مسجدي	فما ليَ في الأولى ولا العصرِ من أجرِ
لقد كان في قومي مساجدُ جَمَّةٌ	سواه ولكن كان قَدْراً من القدْرِ
يكلَفني من بعدِ مـا شِبتُ خُطَّةً	يَحُطُّ بهـا عنّي الثقيـلَ من الوِزْرِ
ومـا ضَـرَّه واللهُ يغفـرُ ذنبَـه	لَوَ آن ذنوبَ العالمينَ على ظَهْري

قال : فلما قرأ المنصور قِصَّتَه ضحِك وأعفاه من الحضور معه ، وأحْلَفه أن يصلِّي الصلاة في مسجد قبيلته .

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن سعيد عن الزُّبير عن عمه ، ونسختُ من بعض الكتب عن نصر بن محمد الخَرَّاز عن أبيه عن الهيثم بن عَدِي ورَوَّانِيه بعضُ من روى عن الزُّبير .

أن أبا جعفر كان يُحِبُّ العَبَثَ بأبي دلامة ، وقال الآخر : إن أبا العباس السَّفَّاح كان يحب ذلك ، فكان يسأل عنه فيوجَد في بيوت الخَمَّارين لا فَضْلَ فيه . فعاتبه على انقطاعه عنه ؛ فقال : إنما أفعل ذلك خوفاً أن تَمَلَّني . فعلم أنه يُحاجِرُه[3] . فأمر الربيع أن يوكِّل به من يُحضِره الصلوات معه في جماعةٍ في الدار . فلما طال ذلك عليه قال : [من الطويل]

ألم تَرَيـا أنَّ الخليفـةَ لَـزَّني	بمسجدِه والقصرِ ما لي وللقصرِ !
فقـد صَدَّني عن مسجدٍ أسْتَلِذُّه	أُعَلَّـلُ فيـه بالسَّماعِ وبالخمرِ

---

1 لزني : ألزمني .

2 وويلي في ل : وعولي .

3 يحاجره : ينتحل المعاذير للتخلص منه .

وكلَّفنـي الأُولى جميعاً وعصرَها فويلي من الأولى وعَوْلي من العَصْرِ
أصَلّيهما بالكَرْهِ في غير مسجدي فما لي من الأولى ولا العصرِ من أجرِ
يكلّفني مـن بعدِ مـا شِبْتُ تَوْبةً يَحُطُّ بها عني المثاقيل من وِزرِي
لقـد كان في قومي مساجدُ جَمةٌ ولم ينشرحْ يوماً لِغشْيانها صدري
وواللهِ مـا لي نِيـةٌ في صلاتِـه ولا البرُّ والإحسانُ والخيرُ من أمري
ومـا ضَـرَّه واللهُ يغفـرُ ذنبَـه لَوَ آن ذنوبَ العالمينَ على ظَهْرِي

فبلغته الأبيات فقال : صدَق ؛ ما يَضُرُّني ذلك ، والله لا يصلُح هذا أبداً ، فدَعُوه يعمَل ما يشاء . وقال الهيثم في خبره : فقال له أبو جعفر[1] : قد أعفيناك من هذه الحال ، ولكن على ألاّ تَدَعَ القيام معنا في ليالي شهر رمضان فقد أظل . فقال : أفْعَلُ . قال : إنك إن تأخَّرتَ لشُرب الخمر عَلِمتُ ذلك . وواللهِ لئن فعلتَ لأُحُدَّنَّك . فقال أبو دلامة : البليَّة في شهر أصلَحُ منها في طول الدهر ، سمعاً وطاعةً . فلما حضر[2] شهرُ رمضان لزم المسجد . وكان المهدي يبعث إليه في كل ليلة حرسياً يجيء به ؛ فشَقَّ ذلك عليه ، وفزِع إلى الخيزران وأبي عبيد وكلِّ مَن كان يلوذ بالمهدي ليشفَعوا له في الإعفاء من القيام ، فلم يُجبهم . فقال له أبو عبيد الله : الدَّالُّ على الخير كفاعله ، فكيف شُكْرُك ؟ قال : أتمُّ شكر . قال : عليك بريطة[3] فإنه لا يخالفها . قال : صدَقتَ والله ، ثم رفع إليها رُقعة يقول فيها : [من مجزوء الكامل]

أبْلِغـا رَيْطَـةَ أني كنـتُ عبـداً لأبيها
فمضى يرحمـه اللـ ـهُ وأوصى بي إليها
وأراهـا نَسِيَتْنـي مِثْـلَ نسيانِ أخيها
جاء شهرُ الصَّوْمِ يمشي مِشْيـةً مـا أشتهيها
قائـداً لي ليلـةَ القَـدْ رِ كـأني أبتغيـها
تَنْطَـحُ القِبلـةَ شهراً جَبْهَتـي لا تـأتليها
ولقـد عشتُ زمانـاً في فَيـافيَّ وجيـها
في ليـالٍ مـن شتاءٍ كنتُ شيخاً أصْطَليها

1 يبدو من السياق أن الذي ألزمه هو المهدي لا أبو جعفر المنصور .
2 ل : دخل .
3 هي ابنة السفاح وزوجة المهدي .

قاعــداً أُوقِــدُ نــاراً لِضِبِـــابٍ أَشْتَــوِيها
وصَبــوحٍ وغَبــوقٍ في عِــلابٍ أحْتَسِيها[1]
مــا أُبالي ليلــةَ القَدْ رِ ولا تُسمِعُنِيهــا
فاطلبي لي فرجــاً منــ ـها وأَجْرِي لــكِ فيها

فلما قرأتِ الرقعة ضحكتْ وأرسلتْ إليه : اصطبرْ حتى تَمضي ليلة القَدْر . فكتب إليها : إني لم أسألكِ أن تكلِّميه في إعفائي عاماً قابلاً ؛ وإذا مضت ليلة القدر فقد فَنِيَ الشَّهْرُ . وكتب تحتها أبياتاً : [من البسيط]

خافي إلهكِ في نفسٍ قد احتُضِرَتْ قامتْ قيامتُهــا بـين المصلِّينا
ما ليلةُ القَدْرِ من همِّي فأطْلُبَها إني أخافُ المنايا قبلَ عشرينا
يا ليلةَ القدرِ قد كَسَّرتِ أرْجُلَنا يا ليلةَ القدْر حقاً مـا تُمنِّينا !؟
لا بـــاركَ اللهُ في خيرٍ أؤمِّلُه في ليلةٍ بعدَ مــا قمنا ثلاثينا

فلما قرأتِ الأبياتَ ضحِكتْ ، ودخلت إلى المهدي فشفعتْ له إليه ، وأنشدتْه الشعرين ، فضحِك حتى استلقى ، ودعا به ورَيْطةُ معه في الحَجَلَة فدخل ؛ فأخرج رأسَه إليه وقال : وقد شفَّعْنا رَيطة فيك ، وأمَرْنا لك بسبعة آلاف درهم . فقال : أما شفاعةُ سيِّدتي فيَّ حتى أعفَيْتَني فأعفاها الله من النار . وأما السبعة الآلاف فما أعجبني ما فعلتَه ؛ إما أن تُتِمَّها بثلاثة آلاف فتصيرَ عشرة ، أو تنقصني منها ألفين فتصير خمسة آلاف ، فإني لا أُحْسِنُ حسابَ السبعة . فقال : قد جعلتُها خمسة . قال : أعيذك بالله أن تختار أدنى الحالين وأنت أنتَ . فعبث به المهديُّ ساعةً ثم تكلَّمتْ فيه رَيْطة فأتمَّها له عشرةَ آلافِ درهم .

[شعره في نخاس]

أخبرني الحسين بن علي عن حماد عن أبيه قال : مَرَّ أبو دلامة بنخاس يَبيع الرقيق ، فرأى عنده منهــنَّ من كل شيءٍ حسَن . فانصرف مهموماً ، فدخل إلى المهدي فأنشده : [من الكامل]

إن كنتَ تَبْغِي العيشَ حُلْواً صافياً فالشعــرَ أَعْزِبْــه وكــن نَخَّاسا
تَنَــلِ الطَّرائفَ مــن ظِراف نُهَّدٍ يُحْدِثْـــنَ كلَّ عَشيَّـــةٍ أَعْراسا
والربحُ فيمـــا بـينَ ذلك راهنٌ سَمْحـــاً ببيعك كنتَ أو مَكَّاسا

1 علاب : جمع علبة وهي قدح كبير من جلود الإبل أو الخشب .

دارتْ على الشعراء حِرْفــةُ نَوْبةٍ　　فتجرعــوا من بعــد كأسٍ كاسا
وتَسَرْبَلُوا قُمُصَ الكَسادِ فحاوِلُوا　　بالنَّخْس كَسْباً يُذْهِــب الإفلاسا

فجعل المهدي يضحك منه .

[رؤياه]

نسختُ من كتاب ابن النطَّاح قال : دخل أبو دلامة على المنصور فأنشده : [من الوافر]

رأيتُك في المنامِ كسوتَ جِلْدي　　ثيابــاً جَمَّــةً وقضَيْتَ دَيْني
فكان بَنَفْسَجيٌّ الخَــزِّ فيهــا　　وساجٌ ناعــمٌ فأتــمَّ زَيْني
فصدِّقْ يا فَدَتْكَ النفسُ رؤيا　　رأتْهــا في المنــامِ كذاكَ عَيْني

فأمر له بذلك وقال له : لا تَعُدْ أن تتحلَّم عليَّ ثانيةً ، فأجْعَلَ حُلْمَكَ أضغاثاً ولا أُحَقِّقَه .

[حبسه المنصور لسكره]

ثم خرج من عنده ومضى فشرب في بعض الحانات فسكِر وانصرف وهو يميل . فلقِيه العَسَسُ فأخذوه ، وقيل له : من أنت وما دِينُك ؟ فقال : [من الرجز]

دِينــي على دِيــنِ بني العباسِ　　مــا خُتِم الطينُ على القرْطاسِ
إنِّي اصطبحتُ أربعاً بالكاسِ　　فقــد أدارَ شُرْبُهــا براسي
فهــلْ بما قلتُ لكم من باسِ

فأخذوه ومَضَوْا ، وخرقوا ثيابه وساجَه وأُتِيَ به أبو جعفر ، وكان يؤتى بكلِّ مَنْ أخذه العَسَسُ ، فحبَسه مع الدَّجاج في بيت . فلما أفاق جعل ينادي غلامه مَرَّةً وجاريتَه أُخرى فلا يجيبه أحد ، وهو في ذلك يسمَع صوتَ الدجاج وزُقاءَ الدُّيوك . فلما أكثر قال له السجان : ما شأنك ؟ قال : وَيلك مَن أنت وأين أنا ؟ قال : في الحبس ، وأنا فلان السجان . قال : ومَن حبَسني ؟ قال : أمير المؤمنين . قال : ومَن خرَق طَيلساني ؟ قال : الحرس . فطلب منه أن يأتيه بدواةٍ وقِرطاس ففعل ، فكتب إلى أبي جعفر : [من الوافر]

أميرَ المؤمنيــنَ فدَتْــكَ نفسي　　عَلامَ حبستَني وخَرَقْتَ ساجي
أمِــنْ صَفْراءَ صافيــةِ المِزاجِ　　كأنَّ شُعاعَها لَهَــبُ السِّراجِ
وقــد طُبِخَتْ بنــارِ اللهِ حتى　　لقد صارت من النُّطَفِ النِّضاجِ[1]

1 النطفة : الماء الصافي .

تَهَشُّ لها القلوبُ وتشتهيها إذا بَرَزَت تَرَقْرَقُ في الزُّجاجِ
أُقاد إلى السُّجُون بغير جُرْمٍ كأني بعضُ عُمَّالِ الخَراجِ
ولو معهم حُبِسْتُ لكان سهلاً ولكنـي حُبِسْتُ مـع الدَّجاجِ
وقـد كانت تُخَبِّرُني ذنوبي بأني مـن عقابـكَ غيرُ ناجي
عـلى أني وإن لاقيـتُ شراً لخيرِكَ بعدَ ذاك الشرِّ راجي

فدَعا به وقال : أين حُبِسْتَ يا أبا دلامة ؟ قال : مع الدجاج . قال : فما كنت تصنع ؟ قال : أقَوْقي معهنَّ حتى أصبحتُ . فضحِك وخَلَّى سبيلَه وأمر له بجائزة . فلما خرج قال له الربيع : إنه شَرِب الخمرَ يا أمير المؤمنين . أما سمعتَ قولَه «وقد طبخت بنار الله» (يعني الشمس) . فأمر برَدِّه ثم قال : يا خبيثَ ، شربتَ الخمرَ ؟ قال لا . قال : أفلم تقل «طُبِختْ بنار الله» تعني الشمس . قال : لا والله ما عَنَيْتُ إلا نارَ الله المُوقَدة التي تَطَّلِعُ على فؤاد الربيع . فضحِك وقال : خُذْها يا ربيع ولا تعاود التعرُّضَ .

[لفق رؤيا لتمار]

قال ابن النطَّاح : ومَرَّ أبو دلامة بتَمَّار بالكوفة فقال له : [من المتقارب]

رأيتُـكَ أطعمتني في المنـامِ قَواصرَ مـن تَمْرِك البارحهْ[1]
فـأُمُّ العِيـالِ وصِبْيانُهـا إلى البـابِ أعينُهـم طامحهْ

فأعطاه جُلَّتَيْ[2] تَمْر وقال له : إنْ رأيتَ هذه الرؤيا ثانيةً لم يَصحَّ تفسيرُها . فأخذهما وانصرف .

[هنأ المهدي بقدومه من الري]

وقال ابن النطَّاح : لما قدِم المهدي من الرَّيِّ دخل عليه أبو دلامة فأنشأ يقول : [من الكامل]

إنِي نَذَرتُ لئـن رأيتُك سالِماً بقُـرى العراقِ وأنـتَ ذو وَفْرِ
لَتُصَلِّيَنَّ عـلى النبـيِّ محمـدٍ ولتمـلأنَّ دراهمـاً حِجْـري

فقال : ﷺ ، وأما الدراهم فلا . فقال له : أنت أكرم من أن تُفَرِّق بينهما ثم تختار أسهلَهما . فأمر بأن يُمْلأ حِجرُه دراهم .

[حكاية مماثلة للمهلب مع عجوز أزدية]

ومِثْلُ هذا وإن لم يكن منه ما حدثني به الحسن بن علي عن أحمد بن الحارث عن المدائني

1 قواصر : جمع قوصرة وهي وعاء يوضع فيه التمر .
2 الجلة : قفة التمر .

قال : قدِم المُهَلَّب من بعض غَزواته ، فلقِيَتْه عجوزٌ من الأزد فقالت : أيها الأمير ، أسألك بالله والرَّحِم إلا وقفتَ فوقَف ، فدَنَتْ وقبَّلتْ يدَه وقالتْ : هذا نَذْرٌ كان عليَّ ، إني نذرتُ عليَّ لله أن أُقبِّل يدَك إن قَدِمتَ سالماً وتَهَب لي أربعمائة درهم وجارية صُغْدِيَّةً تخدِمُني . فضحِك وقال : أما نحن فقد وَفَّيْنا بنَذْرِكِ ؛ ادفعوا إليها ذلك ، وإيَّاكِ يا أمَّاه وهذه النُّذورَ ؛ فليس كلُّ أحد يَفِي لكِ بها ويَنْشَط لتحليلكِ منها .

[ضجر من الصوم والحر فكتب للمهدي شعراً]

قال ابن النطاح : وصام الناس في سنة شديدة الحر على عهد المهدي ، وكان أبو دلامة يتنجَّزُ جائزةً أمَر له المهدي بها . فكتب إليه أبو دلامة رقعة يشكو فيها أذى الحَرِّ والصوم وهي : [من الكامل]

أدعوكَ بالرَّحِم التي هي جَمَّعَتْ ... في القُرْبِ بين قَرِيبنا والأبْعَدِ
إلا سمِعتَ وأنتَ أكرمُ مَنْ مَشى ... من مُنْشِدٍ يرجو جزاءَ المُنْشِدِ
جاءَ الصيامُ فصُمْتُه متعبِّداً ... أرجو رجاءَ الصائمِ المتعبِّدِ
ولَقِيتُ من أمرِ الصيامِ وحَرِّه ... أمريْنِ قِيسا بالعذابِ المؤصَدِ[1]
وسجدتُ حتى جَبْهَتي مشجوجةٌ ... مما يُناطحني الحَصا في المسجدِ
فامنُنْ بتسريحي بمَطْلِكَ بالذي ... أسْلَفْتَنيه من البَلاءِ المُرْصَدِ

فلما قرأ المهدي رُقْعَتَه غَضِب وقال : يا عاضَّ كذا من أُمِّه أي قَرابةٍ بيني وبينكَ ؟! قال : رَحِمُ آدمَ وحَوَّاء ، أنَسِيتَهما يا أمير المؤمنين ؟ فضحك وقال : لا والله ما نسيتهُما ؛ وأَمَر بتعجيل ما أجازه به وزاد فيه . وأخبرني بهذا الخبر الحسن بن علي قال حدثنا الخُزاعي عن[2] المدائني وزاد فيه قال : وأنشده أيضاً في ذمِّ الصَّوم : [من البسيط]

هل في البلادِ لرزق الله مُفْتَرَشُ ... أم لا ففي جِلْده من خُشْنةٍ بَرَشُ

يعني أن جِلدَ الرِّزق خَشِن المَلْمَس فهو يُحْترش كما يُحْترش الضَّبُّ ، الشِّعر : [من البسيط]

أضحى الصِّيامُ مُنِيخاً وَسْطَ عَرْصتِنا ... ليتَ الصيامَ بأرض دونَها حَرَشُ
إن صُمْتُ أوْجَعَني بطني وأقْلَقني ... بين الجوانح مَسُّ الجوعِ والعَطَشُ
وإن خرجتُ بليلٍ نحوَ مسجدهم ... أضرَّني بَصَرٌ قد خانه العَمَشُ

1 المؤصد : المطبق .

2 ل : عن الخراز .

[عزى أم سلمة بنت يعقوب في السفاح]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي عن أحمد بن زهير عن الزُّبير عن عمه ، ونسخت من كتاب ابن النطَّاح قال اليزيدي في خبره : دخل أبو دلامة على ريطة بعد وفاة المهدي ، وقال ابن النطَّاح : دخل على أُمِّ سلمة بنت يعقوب بن سلمة بعد وفاة أبي العباس ، وهو الصحيح ، فعزَّاها به وبكى وبكتْ معه ، ثم أنشدها : [من الكامل]

مَنْ مُجْمِلٌ في الصبر عنكَ فلم يكنْ ... صبري عليكَ غَداةَ بِنْتَ جميلا
يجدونَ أَبْدالاً بــه وأنــا امـرؤٌ ... لو مِتُّ وَجْداً ما وجدتُ بديلا
إني سألتُ الناسَ بعـــدَك كلَّهم ... فوجدتُ أَجْوَدَ مَنْ سألتُ بخيلا

فقالت أُمُّ سلمة : لم أَرَ أحداً أُصيب به غيري وغيرَك يا أبا دلامة . فقال : ولا سَواءَ يرحَمُكِ الله ، لك منه ولد وما ولدتُ أنا منه . فضحِكتْ ، ولم تكن منذ مات أبو العباس ضحِكتْ إلا ذلك الوقتَ ، وقالت له : لو حدثتَ الشيطانَ لأضحكتَه .

[خداعه وزوجته المهدي والخيزران]

أخبرنا محمد بن يحيى الصُّولي قال حدثنا الغَلابي قال حدثنا عبد الله بن الضحاك قال : دخل أبو دلامة على المهدي وهو يبكي . فقال له : ما لك ؟ قال : ماتت أُم دلامة ، وأنشده لنفسه فيها : [من الطويل]

وكنا كزَوْجٍ مــن قَطاً في مَفازةٍ ... لدى خَفْضِ عَيْشٍ ناعمٍ مُؤْنِقٍ رَغْدِ
فأفردني رَيْـــبُ الزمـانِ بصَرْفـه ... ولم أَرَ شيئاً قطُّ أَوْحَشَ من فَرْدِ

فأمر له بثياب وطِيبٍ ودنانير ، وخرج . فدخلتْ أُمُّ دلامة على الخيزران فأعلمتْها أن أبا دلامة قد مات ، فأعطتْهاً مِثْلَ ذلك ، وخرجتْ . فلما التقى المهدي والخيزران عَرَفا حيلتَهما فجعلا يضحكان لذلك ويعجَبان منه .

[يذم العباس بن محمد لأنه أنقص من عطائه]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة ، ونسختُ أنا من كتاب بن النطاح قال : دخل أبو دلامة على المنصور فأنشده : [من الرجز]

أمَــا ورَبٍّ العاديـاتِ ضَبْحا ... حقــاً ورَبٍّ المُورِياتِ قَدْحا
إن المُغِيــراتِ عــليَّ صُبْحا ... والناكثاتِ مــن فؤادي قَرْحا
عَشْرُ ليـــالٍ بينهـــن ضبحا ... يَجْلُفْنَ مالي كلَّ عــامٍ صبحا

فقال له أبو جعفر : وكم تذبح يا أبا دلامة ؟ قال : أربعاً وعشرين شاة . ففرض له على كل هاشمي أربعةً وعشرين ديناراً ، فكان يأخذها منهم . فأتى العباس بن محمد في عشر الأضْحى يتنجَّزها . فقال : يا أبا دلامة ، أليس قد مات ابنُك ؟ قال بلى . قال : انْقُصُوه دينارين . قال : أصلَح الله الأميرَ لا تفعل ، فإنه ترك عليَّ ولدين . فأبى إلا أن يَنْقُصَه . فخرج وهو يقول : [من البسيط]

أخطاكَ ما كنتَ ترجوه وتأمُلُه ... فاغْسِلْ يديك من العباسِ بالياسِ
واغْسِلْ يديك بأُشنانٍ فأنْقِهما ... مما تؤمِّلُ من معروفِ عباسِ
جزاكَ ربُّك يا عباسُ عن فَرَجٍ ... جَنَّاتِ عَدْنٍ وعنِّي جُرْزَتَيْ آسِ[1]

فبلغ ذلك أبا جعفر فضحِك ، واغتاظ على العباس ، وأمره بأن يبعث إليه بأربعة وعشرين ديناراً أُخرى . هذه رواية يزيد . وأما ابنُ النطاح فإنه ذكر أن الذي نقَصه الدينارين عليُّ بن صالح وقال له : إنما نَقَصْتُك دينارين لموت ابنك دلامة . فحَلف ألا يأخذ إلا خمسين ديناراً ، ثم قام مُغْضَباً ؛ فأتْبعه الرسولَ فأعطاه إياها . فقال له : أُوْلى لَه . أما ما سبق فلا حيلة فيه ، والمستأنَفُ فقد أمِنه . وقد كان قال فيه : [من الخفيف]

لعليِّ بنِ صالحِ بنِ عليٍّ ... نَسَبٌ لو يُعِينه بسَماحِ
وبنو مالكٍ كثيرٌ ولكن ... ما لنا في بقائهم من فَلاحِ
غيرَ فَضْلٍ فإن للفَضْلِ فضلاً ... مستبيناً على قُرَيْشِ البِطاحِ

[مخاصمته رجلاً إلى عافية القاضي]

أخبرني محمد بن أحمد عن محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني قال : خاصم رجلٌ أبا دلامة في داره ، فارتفعا إلى عافيةَ القاضي ؛ فأنشأ أبو دلامة يقول : [من المتقارب]

لقد خاصمتْني دُهاةُ الرِّجالِ ... وخاصمتُها سَنَةً وافيهْ
فما أدْحض اللهُ لي حُجَّةً ... ولا خيَّبَ اللهُ لي قافيهْ
ومَنْ خِفتُ من جَوْرِه في القضاءِ ... فلستُ أخافُكَ يا عافيهْ

فقال له عافية : أما واللهِ لأشكونك إلى أمير المؤمنين ولأعلمنَّه أنك هجوتَني . قال : إذاً يَعْزِلَك . قال : ولِمَ ؟ قال : لأنك لا تعرف المديح من الهجاء . فبلغ ذلك المنصورَ فضحِك وأمر لأبي دلامة بجائزة .

---

1 جزرة : حزمة . والآس مما يوضع على القبور .

[هجاؤه نفسه]

أخبرني محمد بن أحمد عن أحمد بن الحارث عن المدائني قال : دخل أبو دلامة على المهدي وعنده إسماعيل بن محمد وعيسى بن موسى والعباس بن محمد ومحمد بن إبراهيم الإمام وجماعة من بني هاشم . فقال له : أنا أُعطي اللهَ عهداً لئن لم تَهْجُ واحداً ممن في البيت لأقطعن لسانك ، ويقال إنه قال : لأضربن عُنُقَك ، فنظر إليه القوم ، فكلما نظر إلى واحد منهم غمزه بأن عليه رِضاه . قال أبو دلامة : فعلمتُ أني قد وقعتُ وأنها عَزْمَةٌ من عَزَماته لا بدَّ منها ، فلم أَرَ أحداً أحقَّ بالهجاء مني ، ولا أَدْعى إلى السلامة من هجاء نفسي ، فقلت : [من الوافر]

أَلا أَبْلِغْ إليـك أبـا دلامَهْ ... فليس مـن الكرامِ ولا كرامهْ
إذا لبِس العمامـةَ كان قِرْداً ... وخِنزيـراً إذا نـزَع العِمامهْ
جمعتَ دمامةً وجمعتَ لؤماً ... كـذاكَ اللُّـؤمُ تتبَعـه الدَّمامهْ
فإنْ تك قـد أصبتَ نعيمَ دُنْيا ... فلا تَفْرَحْ فقد دَنَتِ القيامهْ

فضحك القوم ولم يبق منهم أحدٌ إلا أجازه .

[كل امرىء يأكل زاده]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدثنا الزُّبير عن عمِّه قال : خرج المهدي وعلي بن سليمان إلى الصَّيْد ، فسنَح لهما قَطيعٌ من ظِباء ، فأُرْسِلَتِ الكلابُ وأُجريت الخيلُ ، فرمى المهديُّ ظبياً بسهم فصرَعه ، ورمى عليٌ بن سليمان فأصاب بعض الكلاب فقتله . فقال أبو دلامة : [من مجزوء الرمل]

قـد رمى المهدي ظبياً ... شَكَّ بالسهـم فُؤادَهْ
وعـليُّ بـن سليمـا ... نَ رمـى كلباً فصادَهْ
فهنيئـاً لهمـا كـ ... ـلُّ امرىء يأكلُ زادَهْ

فضحِك المهدي حتى كاد أن يسقُط عن سَرْجه ، وقال : صدَق والله أبو دلامة ، وأمر له بجائزة سَنِية . أخبرني بهذا الخبر عَمي عن الكُراني عن العمري عن الهيثم بن عَدِي فذكر مِثْلَ ما ذكره وقال فيه : فلُقِّب عليُ بن سليمان «صائدَ الكلب» وعَلِقَ به .

[أعطاه المنصور داراً وكسوة ثم احتاج إلى الدار وعوضه بدلها]

قال ابن النطَّاح : وأنشد أبو دلامة المنصورَ يوماً : [من الكامل]

هاتيكَ والدتـي عجـوزٌ هِمَّـةٌ ... مثـلُ البَلِيَّة دِرْعُها في المشْجَبِ[1]

1 همة : عجوز فانية .

مهزولةُ اللَّحْيَيْن مَن يَرَهـا يَقُلْ ... أبصرتُ غُولاً أو خيالَ القُطْربِ[1]
مـا إن تركتُ لها ولا لابنٍ لها ... مـالاً يؤمَّل غيرَ بَكْـرٍ أجْرَبِ
ودجائجاً خمساً يَرُحْنَ إليهمُ ... لمـا يَبِضْنَ وغيرَ عَيْرٍ مُغْرِبِ[2]
كتبـوا إليَّ صحيفـةً مطبوعـةً ... جعلـوا عليهـا طِينـةً كالعَقْرَبِ[3]
فعَلِمتُ أنَّ الشَّرَّ عنـد فَكاكِها ... ففككتُها عـن مِثْلِ رِيحِ الجَوْرَبِ
وإذا شبيهٌ بالأفاعـي رُقِّشَتْ ... يُوعِدْنَنـي بتلمُّـظٍ وتَثَـؤُّبِ
يشكونَ أنَّ الجوعَ أهلَكَ بعضَهم ... لَزَبـاً فهـل لكَ في عيالٍ لُزَّبِ[4]
لا يسألونـك غيرَ طَـلٍّ سَحابةٍ ... تغشاهُـم مـن سَيْلِك المُتَحَلِّبِ
يـا باذلَ الخيراتِ يا ابن بَذُولِها ... وابنَ الكرام وكلِّ قَـرْمٍ مُنْجِبِ
أنتـم بنـو العباس يُعْلَـم أنّكم ... قِدْمـاً فوارسُ كلِّ يـومٍ أشْهَبِ
أحْلاسُ خيـلِ الله وهـي مُغِيرةٌ ... يَخرُجْنَ من خَلَلِ الغُبارِ الأكْهَبِ[5]

قال : فأمر له بدارٍ يسكنها وكُسوة ودراهمَ . وكانت الدار قريبةً من قصره ، فأمر بأن تزاد في قصره بعد ذلك لحاجة دعته إليها . فدخل عليه أبو دلامة فأنشده قوله : [من الخفيف]

يـا ابنَ عَـمِّ النبيِّ دعـوة شَيخٍ ... قـد دنـا هَـدْمُ دارِه ودَمارُهْ
فهو كالماخضِ التي اعتادها الطَّلْـ ... ـقُ فقَـرَّتْ ومـا يَقِـرُّ قَرارُهْ
إن تَحُـزْ عُسْرَهُ بكفَّيْكَ يوماً ... فبكفَّيْـكَ عُسْرُه ويسارُه
أو تَدَعْـه فللبَـوارِ ، وأنَّى ... ولمـاذا وأنـتَ حَـيٌّ بَـوارُهْ
هل يخـافُ الهَلاكَ شاعرُ قومٍ ... قَدُمَـتْ في مديحهـم أشعارُهْ
لكـمُ الأرضُ كلُّهـا فأعيروا ... شيخَكم مـا احتوى عليه جِدارُهْ
فكأنْ قـد مَضى وخلَّف فيكـم ... مـا أَعَرتُم وأَقْفرتْ منـه دارُهْ

فاستعبَر المنصور ، وأمر بتعويضه داراً خيراً منها ووصله .

1 اللحي : الحنك . القطرب : ذكر الغيلان أو الجني الصغير .
2 المغرب : شديد البياض .
3 مطبوعة : مختومة .
4 اللزب : ضيق العيش .
5 أحلاس الخيل : هنا الملازمون ظهورها . الأكهب : المشوب بالسواد .

[عابه عند المهدي محرز ومقاتل ابنا ذوّال]

قال ابن النطاح : ودخل أبو دلامة على المهدي وعنده محرز ومقاتل ابنا ذُؤال يعاتبانه على تقريبه أبا دلامة ويَعيبانه عنده . فقال أبو دلامة : [من الطويل]

ألا أيُّها المهدي هل أنتَ مُخْبِري وإن أنت لم تفعل فهل أنت سائلي

ألم تَرْحَمِ اللَّحْيَيْن من لِحْيَتَيْهما وكلتاهمـا في طولها غيرُ طائلِ

وإن أنت لم تفعل فهل أنت مُكْرِمي بحَلْقِهما مـن مُحْـرِزٍ ومُقاتِلِ

فـإنْ يأذَنِ المهديُّ لي فيهما أقُلْ مقالاً كوقعِ السيفِ بـين المفاصلِ

وإلا تَدَعْنـي والهمـومُ تَنُوبنـي وقلبـي من العِلْجَيْن جَمُّ البلابلِ

فقال : أو آخُذُ لك منهما عشرةَ آلاف درهم يَفْدِيان بها أعراضَهما منك ؟ قال : ذلك إلى أمير المؤمنين . فأخذها له منهما وأمسك عنهما .

[مدحه سعيد بن دعلج]

قال ابن النطاح : ودخل أبو دلامة على سعيد بن دَعلَج[1] مولى بني تَميم فقال : [من الوافر]

إذا جئـتَ الأميرَ فقُـلْ سلامٌ عليـكَ ورحمـةُ الله الرحيمِ

وأما بعـد ذاك فلي غريـمٌ من الأعراب قُبِّح مـن غريمِ

غريـمٌ لازمٌ بفِنـاء بيتـي لزومَ الكلبِ أصحابَ الرَّقيمِ

له مائـةٌ عليَّ ونصفُ أُخرى ونِصْفُ النِّصْفِ في صَكٍّ قديمِ

دراهمُ مـا انتفعتُ بها ولكن وصلتُ بهـا شيوخَ بني تَميمِ

أتَـوْني بـالعَشيرةِ يسألـوني ولم أكُ في العَشيرةِ بـاللئيمِ

فضحِك وأمر له بمائتين وخمسة وسبعين درهماً وقال : ما أساء من أنصف ، وقد كافأتك عن قومك وزِدْتُك مائةً .

[يضحك المنصور في جنازة بنت عمه]

أخبرني الحِرْميّ قال حدثنا الزُّبير عن جعفر بن الحسين اللهبي عن عمه مصعب : أن حَمّادة بنت عيسى تُوفِّيتْ وحضر المنصورُ جنازتها . فلما وقف على حُفرتها قال لأبي دلامة : ما أعددتَ لهذه الحفرة ؟ قال : بنتَ عمِّك يا أمير المؤمنين حَمَّادة بنت عيسى يُجاء بها الساعةَ فتُدْفَنُ فيها . فضحِك المنصور حتى غُلِب فستَر وجهه .

---

1 كان أميراً على شرطة البصرة للمنصور ثم ولي له البحرين . وولي للمهدي طبرستان .

[قصة زوجه وابنه مع الجارية التي منحته إياها الخيزران]

أخبرني عمي رحمه الله تعالى قال حدثنا محمد بن سعد الكُراني قال قال أبو عمر حَفْص بن عمر العُمري حدثنا الهيثم قال : حَجت الخيزُران ، فلما خرجتْ صاح بها أبو دلامة . قالت : سَلُوه ما أمرُه . فقالوا له : ما أمرُك ؟ فقال : أدْنُوني من مَحْمِلها . قالت : أدنوه ، فأُدْنِيَ . فقال : أيتها السيدة ، إني شيخ كبير وأجرُكِ فيَّ عظيم . قالت : فَمَهْ . قال : تَهَبِينَ لي جاريةً من جواريكِ تؤنسني وترفُق بي وتُريحني من عجوز عندي ، قد أكلتْ رِفْدي ، وأطالت كَدِّي ، وقد عاف جلدي جلدَها ، وتمنَّيتُ بُعْدَها ، وتشوَّقت فَقْدَها . فضحكتِ الخيزران وقالت : سوف آمرُ لك بما سألتَ . فلما رجعتْ تلقَّاها وذكَّرها ، وخرج معها إلى بغداد فأقام حتى غَرِض[1] . ثم دخل على أُمِّ عبيدة حاضنة موسى وهارون ، فدفع إليها رُقعةً قد كتبها إلى الخيزُران فيها : [من مجزوء الرمل]

أَبْلِغي سيِّدتي بالله يا أُمَّ عَبِيدَهْ
أنَّها أَرْشدها الله وإن كانت رشيدَهْ
وَعَدتْني قبلَ أن تخرجَ للحجِّ وليدَهْ
فتأنَّيْتُ وأرسلتُ بعشرينَ قصيدَهْ
كلما أَخْلَقْنَ أَخْلَفْتُ لها أُخرى جديدَهْ
ليس في بيتي لتمهيد فِراشي من قَعِيدَهْ
غيرُ عَجْفاءَ عَجُوزٍ ساقُها مِثْلُ القَدِيدَهْ
وجهُها أقبحُ من حُوتٍ طَرِيٍّ في عَصِيدَهْ
ما حياةٌ مَعَ أُنثى مِثْلِ عِرْسي بسعيدَهْ

فلما قُرِئتْ عليها الأبياتُ ضحِكتْ واستعادتْها منه لقوله «حُوت طَرِي في عصيده» وجعَلتْ تضحك ، ودعت بجارية من جواريها فائقةٍ فقالت لها : خُذِي كل ما لَكِ في قصري ففعلتْ ، ثم دعت ببعض الخدم وقالت له : سلِّمْها إلى أبي دلامة . فانطلق الخادمُ بها فلم يصادفه في منزله . فقال لامرأته : إذا رجَع فادفعيها إليه ، وقولي له : تقول لك السيِّدةُ : أحْسِنْ صُحبَة هذه الجارية فقد آثرتُك بها ؛ فقالت له نعم . فلما خرج دخل ابنُها دلامة فوجد أُمه تبكي . فسألها عن خبرها فأخبرتْه وقالت : إن أردتَ أن تَبَرَّني يوماً من الدهر فاليوم . فقال :

1 غرِض : ضجر وملَّ .

قُولي ما شئتِ فإني أفعله . قالت : تدخل عليها فتُعْلِمُها أنك مالِكُها وتَطَؤُها فتَحْرُم عليه ، وإلا ذهبتْ بعقله وجفاني وجفاك . ففعل ودخل إلى الجارية فوطِئها ووافقها ذلك منه ، وخرج . ثم دخل أبو دلامة فقال لامرأته : أين الجارية ؟ قالت : في ذلك البيت . فدخل إليها شيخٌ محطَّمٌ ذاهبٌ ، فمدَّ يدَه إليها وذهب ليقبِّلها . فقالت له : ما لَك وَيْلَك ! تَنحَّ وإلا لطمتُك لَطْمةً دقَقْتُ منها أنفَك . فقال لها : أبهذا أوصَتْكِ السيِّدة ؟ . فقالت : إنها قد بعثتْ بي إلى فتىً من حالِه وهيئته كيت وكيت ، وقد كان عندي آنفاً ، ونال منّي حاجته . فعلِم أنه قد دُهِيَ من أُمِّ دلامة وابنها . فخرج إليه أبو دُلامة فلطمه ولَبَّبه[1] وحلف ألا يفارقه إلا عند المهدي . فمضى به مُلَبَّباً حتى وقف على باب المهدي . فعُرِّف خبرَه وإنه قد جاء بابنه على تلك الحالة فأمر بإدخاله . فلما دخل قال له : مالك وَيْلك ؟ قال : عَمِل بي هذا ابنُ الخبيثة ما لم يعمل ولدٌ بأبيه ، ولا تُرضيني إلا أن تقتله . فقال له : وَيْلَك فما فعل ؟ فأخبره الخبرَ . فضحِك حتى استلقى ثم جلس . فقال له أبو دلامة : أعجبك فعلُه فتضحَكَ منه ؟ فقال : عليَّ بالسيف والنِّطْع . فقال له دلامة : قد سمِعتُ حُجَّته يا أمير المؤمنين فاسمعْ حُجَّتي . قال : هاتِ . قال : هذا الشيخُ أصْفَقُ الناس وجهاً ، يَنِيك أمي منذ أربعين سنة ما غَضِبتُ ، ونكتُ جاريتَه مرة واحدة فغضِب وصنَع بي ما تَرى ؛ فضحِك المهدي أكثرَ من ضحكه الأول ، ثم قال : دَعْها له يا أبا دلامة وأنا أُعطيك خيراً منها . قال : على أن تَخْبأها لي بين السماء والأرض ، وإلا ناكها والله كما ناك هذه . فتقدم إلى دلامة ألا يُعاوِد بمثلِ فعله ، وحلَف أنه إن عاود قتَله ، ووهَب له جاريةً أُخرى كما وعده .

[يطري شاعراً عند المهدي فأجازه لحسن محضره]

وقال ابن النطاح : دخل أبو دلامة على المهدي وعنده شاعرٌ يُنْشِده . فقال له : ما تَرى فيه ؟ قال : إنه قد جَهَد نفسَه لك فاجْهَدْ نفسَك له . فقال المهدي : وأبيك إنها لكلِمةٌ عَذْراءُ منك ، أحسَبُك تعرفه ؛ قال : لا والله ما عرفتُه ولا قلت أنا إلا حقاً . فأمر للشاعر بجائزة ، ولأبي دلامة بمثلها لحسن مَحْضَرِه .

[خلع عليه العقيلي من ثيابه]

قال ابن النطَّاح وحدثني أبو عبد الله العُقَيلي قال : رأيتُ على أبي دلامة فَرْوَةً في الصيف ، فقلتُ له : أَلا تَمَلُّ هذه الفروةَ ؟ قال : بلى ، ورب مملولٍ لا يستطاع فِراقُه[2] . فنزعتُ فاضلَ ثيابي في موضعي ودفعتُها إليه .

---

1 لببه : أخذ بتلابيب أي جمع ثيابه عند نحره وجره .

2 المثل «رب مملول لا يستطاع فراقه» في مجمع الميداني 1 : 306 وفصل المقال : 367 .

[فزع من رؤية الفيل]

قال : وأُهْدِيَ للمهدي فِيلٌ ، فرآه أبو دلامة فولّى هارباً وقال : [من البسيط]

يــا قوم إني رأيتُ الفيلَ بعدَكُم لا بـاركَ اللهُ لي في رؤيـة الفيلِ
أبصرتُ قصراً لـه عـينٌ يقلّبهـا فكِدْتُ أرمي بسَلْحي في سَراويلي

[شعره في بغلته]

قال ابن النطاح : ودخل أبو دلامة على المهدي فأنشده قصيدتَه في بغلته المشهورة : [من الوافر]

أتــاني بَغْلــةً يَسْتام مِنّــي عريقٌ في الخَسارةِ والضَّلالِ[1]
فقــال تبيعها ؟ قلتُ ارتَبِطْها بحكمكَ إن بيعــي غيرُ غالي
فأقبلَ ضاحكاً نحـوِي سروراً وقــال أراكَ سَمْحاً ذا جَمالِ
هَلُمَّ إليَّ يخلـو بــي خداعاً وما يَدْرِي الشَّقيُّ بمن يُخالي
فقلتُ بأربعينَ فقــال أحسِنْ إليَّ فــإن مِثْلَـك ذو سِجالِ[2]
فأتْــرُكُ خمسةً منها لعلمي بمــا فيــه يصير مــن الخَبالِ

فقال المهدي : لقد أفْلَتَّ من بَلاءٍ عظيم . قال : واللهِ يا أمير المؤمنين لقد مكثتُ شهراً أتوقّع صاحبَها أن يَرُدَّها . قال : ثم أنشده : [من الوافر]

فأَبْدِلْنــي بهــا يــا ربِّ طِرْفاً يكــونُ جَمالُ مَرْكَبِه جَمالي

فقال لصاحب دوابِّه : خيِّرْه من الإصْطَبْل مَرْكَبين . قال : يا أمير المؤمنين إن كان الاختيارُ لي وقعتُ في شرٍّ من البغلة ، ولكن مُرْهُ أن يختار لي ، فقال : اخْتَرْ له . وأخبرني به عمي عن الكراني عن العمري عن الهيثم بن عدي ، وخبره أتم .

[رهانه مع المهدي على العباس بن محمد]

وأخبرني محمد بن خَلَف عن أحمد بن الهيثم عن العُمري عن الهيثم بنِ عَدِي قال : دخل أبو دلامة يوماً على المهدي ، فحادثه ساعةً وهو يضحك وقال له : هل بقي أحدٌ من أهلي لم يَصِلْك ؟ قال : إن أمَّنْتَني أخبرتُك ، وإن أعْفَيْتَني فهو أحبُّ إليَّ . قال : بل تُخبرني وأنت آمِنٌ . قال : كلُّهم قد وَصَلني إلا حاتِمَ بني العباس . قال : ومن هو ؟ قال : عمُّك العباس بن

1 بغلة في ل : خائب .
2 ذو سجال : هنا لا يماكس في الثمن .

محمد . فالتفتَ إلى خادم على رأسه وقال : جَأْ[1] عُنُقَ العاضِّ بَظْرَ أُمِّه . فلما دنا منه صاح به أبو دلامة : تَنَحَّ يا عبدَ السَّوْء لا تُحْنِث مولاك وتَنْكُثْ عهدَه وأمانَه . فضحِك المهدي وأمر الخادمَ فتنحَّى عنه ، ثم قال لأبي دلامة : وَيْلَكَ ! واللهِ عمي أبخلُ الناس . فقال أبو دلامة : بل هو أَسْخى الناسِ . فقال له المهدي : والله لو مُتَّ ما أعطاك شيئاً . قال : فإن أنا أتيتُه فأجازني ؟ قال : لك بكل درهمٍ تأخذه منه ثلاثةُ دراهم . فانصرف أبو دلامة فحبَّر للعباس قصيدةً ثم غدا بها عليه وأنشده : [من البسيط]

قِــفْ بالديـارِ وأَيَّ الدهرِ لم تَقِفِ ... على المنـازلِ بـين الظَّهْـرِ والنَّجَفِ
ومـا وُقوفُــكَ في أطــلالِ مَنْزِلَةٍ ... لولا الذي استدرجتْ من قلبِك الكَلِفِ
إن كنتَ أصبحتَ مشغوفاً بساكنها ... فــلا وربِّـكَ لا تَشفيكَ من شَغَفِ
دَعْ ذا وقُلْ في الذي قد فاز من مُضَرٍ ... بالمَكْرُمــاتِ وعِــزٍّ غيرِ مُقْتَرَفِ[2]
هــذي رسالةُ شيخ من بَني أَسَدٍ ... يُهْدِي السلامَ إلى العباس في الصُّحُفِ
تَخُطُّها مــن جَواري المِصْرِ كاتبةٌ ... قــد طالما ضَرَبتْ في اللامِ والألِفِ
وطالمــا اختلفــت صَيْفــاً وشاتِيةً ... إلى معلِّمهــا باللَّـــوْحِ والكَتِفِ
حتــى إذا نَهَــدَ الثَّديــانِ وامتلأ ... منها وخِيفَتْ على الإسراف والقَرَفِ
صِينتْ ثلاثَ سِنِين مـا تَـرى أحداً ... كما يصــونُ تِجــارٌ دُرَّةَ الصَّدَفِ
فبينما الشيخُ يَهْوِي نحـو مَجْلِسه ... مبادِراً لصـلاةِ الصُّبْــحِ بالسَّدَفِ[3]
حانــتْ لـــه لَمْحَةٌ منها فأبصرها ... مُطِلةً بــين سَجْفَيْها مــن الغُرَفِ
فخَــرَّ واللهِ مــا يَـدْرِي غَداتَئذٍ ... أخَــرَّ مُنْكَشِفــاً أم غيرَ منكشفِ
وجــاءه النــاسُ أفواجــاً بمائهمُ ... ليغسلوا الرجـــلَ المَغْشِيَّ بالنُّطَفِ
ووَسْوسوا بقُــرانٍ في مسامعـــه ... مَخافَةَ الجِــنِّ والإنسانُ لم يَخَفِ
شيئاً ولكنّــه من حُــبِّ جاريةٍ ... أمسى وأصبـحَ موقوفـاً على التَّلَفِ
قالوا : لك الويلُ ما أبصرتَ ؟ قلتُ لهم ... تطلَّعتْ من أعالي القَصْرِ ذي الشُّرَفِ
فقلــتُ أَيُّكُـــمُ واللهُ يأجُـــرُه ... يُعِـين قُوَّتَــه فيهــا عــلى ضَعَفِ

1 جأ : اضرب .
2 مقترف : مكتسب .
3 السدف : الظلمة .

فقام شيخٌ بَهِيٌّ من رجالهمُ ... قد طالَما خدَع الأقوامَ بالحَلِفِ
فابتاعها لي بألْفَيْ درهمٍ فأتى ... بها إليَّ فألقاها على كَتِفي
فبِتُّ ألْثَمُها طَوْراً وألْزَمُها ... طوراً وأصنعُ بعضَ الشيء في اللُّحُفِ
فبين ذاك كذا إذ جاء صاحبُها ... يَبْغِي الدراهمَ بالميزانِ ذي الكِفَفِ
وذِكْرَ حقٌّ على زَنْدٍ وصاحبِه ... والحقُّ في طَرَفٍ والطينُ في طَرَفِ
وبينَ ذاكَ شهودٌ لا يَضُرُّهمُ ... أكنتُ معترفاً أم غيرَ معترفِ
فإن يكن منك شيءٌ فهو حقُّهمُ ... أوْلا فإنِّيَ مدفوعٌ إلى التَّلَفِ

قال : فضحِك العباس وقال : وَيْحَكَ أصادقٌ أنت ؟ قال : نعم والله . قال : يا غلام ادفع إليه ألْفَيْ درهم ثمنَها . قال : فأخذها ثم دخل على المهدي فأخبره القِصة وما احتال له به . فأمر له المهديُّ بستة آلاف درهم . وقال له المهدي : كيف لا يضرّهم ذلك ؟ قال : لأني مُعْدِم لا شيء عندي . وقال عمي في خبره : فقال له العباس بن محمد شاركْني في هذه الجارية . قال : أفعلُ ولكن على شريطةٍ . قال : وما هي ؟ قال : الشَّرِكةُ لا تكون إلا مفاوضةً[1] ، فاشْترِ معها أُخرى ، ليبعثَ كلٌّ واحدٍ منا إلى صاحبه ما عنده ويأخذ الأُخرى مكانَها ليلةً وليلةً . فقال له العباس : قَبَحك الله وقَبَح ما جئتَ به ! خذ الدراهمَ لا بارك الله لك فيها وانصرِفْ .

[يضحك أبا مسلم فيعفيه من المبارزة]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني العبسي قال : كان أبو دلامة مع أبي مسلم في بعض حروبه مع بني أمية . فدعا رجلٌ إلى البِراز ؛ فقال له أبو مسلم : ابْرُزْ إليه . فأنشأ يقول : [من الطويل]

ألا لا تَلُمْني إن فَرَرْتُ فإنني ... أخاف على فُخَّارتي أن تحطَّما
فلو أنني في السُّوق أبتاع مِثْلَها ... وجَدِّك ما باليتُ أن أتقدَّما

فضحِك وأعفاه .

[يستنجز ريطة جارية وعدته بها]

ونسخت من كتاب ابن النطَّاح[2] : أن ريطة وعدت أبا دلامة جارية فمطلته حتى امتدحها بعِدَّة قصائد ، كلُّ ذلك لا تَفي له ، ثم خرجت إلى مكة ورجعت . وكانت لها جارية

1 شركة المفاوضة هي الشركة العامة في كل ما يملك الشريكان .
2 مرَّ الخبر عن الخيزران وفي الشعر اختلاف .

يقال لها أم عَبِيدة تخرج وتُكَلِّم الرجالَ وتبلِّغ عنها الرسائل . فقال أبو دلامة لأم عَبِيدةَ حين عِيلَ صبرُه : [من مجزوء الرمل]

أبلغـي سيِّدتـي إن شِئْتِ يـا أُمَّ عَبِيدَهْ
أنهـا أرشَدهـا اللـ ـهُ وإن كانت رشيدَهْ
وعدتْني قبلَ أن تخـ ـرجَ للحـجِّ وَلِيدَهْ
فتنظَّـرتُ وأرسلـ ـتُ بعشرينَ قصيدَهْ
كلَّمـا تخلـقُ أُولى بُدِّلَتْ أُخرى جديدَهْ
إنّـي شيـخٌ كبيرٌ ليس في بيتي قَعِيدَهْ
غيرُ مِثْلِ الغُولِ عندي ذاتِ أوصالٍ مَديدَهْ
وجهُها أسمجُ من حُو تٍ طَرِيٍّ في عَصِيدَهْ
ذاتِ رِجْلٍ ويدٍ كلـ ـتاهما مِثْـلُ القَديدَهْ

فدخلتْ على ريطة فأنشدتها الشعر ، فأمرتْ له بجارية ومائتي دينار للنفقة عليها .

[اشترى نبيذاً ولم يدفع الثمن]

أخبرني الحسين بن يحيى نسختُ من كتاب إسحاق الموصلي حدثني أبي عن جدي[1] : أن أبا دلامة نزَل بالكوفة ، فأتاه أضيافٌ فغداهم ، ثم بعث إلى سِنْدِيَّة نَبَّاذة يقال لها دَوْمة ؛ فبعثتْ إليهم جَرَّةً من نبيذ فشربوها ، ثم أعاد فبعثتْ إليهم بأُخرى ، ثم جاءت تتقاضى الثمنَ . فقال : ليس عندي الثمن ، ولكني أمدَحك بما هو خيرٌ من نبيذِك . فقال : [من الوافر]

ألا يـا دَوْمُ دام لـكِ النَّعيمُ وأحْمَرُ مِـلْءُ كَفِّكِ مستقيمُ
شديـدُ الأصل يَنبِذُ حالِبـاه يَئِنُّ كأنّـه رجـلٌ سقيمُ[2]

وهذا الخبر يروى عن الأقيشر أيضاً .

[ذم الجنيد النخاس ومدح جارية له]

قال إسحاق وحدثني أبي : أن أبا دلامة كان كثير الزيارة للجُنَيد النخاس ، وكان يتعشَّق جاريةً له ويُبْغِضه . فجاءه يوماً فقال : أخرِجْ لي فلانة . فقال : إلى متى تخرج إليك ولستَ بمشترٍ !! قال : فإن لم أكن مشترياً فإني أخٌ يمدَح ويُطري . قال : ما أنا بمخرجها إليك أو

1 من المستبعد أن يكون الخبر عن أبي إبراهيم الموصلي وهو ماهان بن بهمن الذي توفي وابنه طفل صغير . وسيرد هذا الخبر والشعر في ترجمة الأقيشر عن أبي عبيدة .

2 ينبذ : ينبض .

تقولَ فيها شعراً . قال : فاحلِفْ بعِتْقها أن تروِّيَها إياه وتأمُرَها بإنشاده مَن أتاك يعترِضُها ولا تحجُبُها . فحلَف لا يحجُبها . فقال أبو دلامة : [من الكامل المرفل]

إني لأحسَبُ أن سأُمسي مَيِّتاً   أو سوفَ أُصبح ثم لا أُمسي
من حبِّ جارية الجُنَيْدِ وبُغْضِه   وكلاهمــا قــاضٍ على نفسي
فكلامُها يُشْفــى بــه سَقَمي   فــإذا تكلَّم عــاد لي نَكْسي

[نصح إسحاق الأزرق بمجانبة الطبيب]

أخبرني عمي قال حدثنا الكُراني قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي قال : دخل أبو دلامة على إسحاق الأزرق يَعُوده ، وكان إسحاق قد مرض مرضاً شديداً ، ثم تعافى منه وأفاق ، فكان من ذلك ضعيفاً ، وعند إسحاق طبيب[1] يصِفُ له أدويةً تقوي بدنَه . فقال أبو دلامة للطبيب : يا ابنَ الكافرة ؛ أتَصِفُ هذه الأدوية لرجل أضعفه المرض ؟ ما أردتَ والله إلا قَتْلَه . ثم التفت إلى إسحاق فقال : اسمَعْ أيها الأمير مني . قال : هات ما عندك يا أبا دلامة . فأنشأ يقول : [من الخفيف]

نَحِّ عنك الطبيبَ واسمَعْ لنعتي   إنّنــي ناصحٌ مــــن النُّصَّاحِ
ذو تجاريبَ قد تَقَلَّبْتُ في الصحـ   ـةِ دهــراً وفي السِّقامِ المُتاحِ
غادِ هذا الكَبابَ كلَّ صباحٍ   مــن مُتُــون الفَتِيَّةِ السُّحاحِ[2]
فإذا ما عَطِشتَ فاشرَبْ ثلاثاً   مــن عتيــقٍ في الشمِّ كالتُّفاحِ
ثم عندَ المساء فاعكُفْ على ذا   وعــلى ذا بأعظــم الأقداحِ
فتقوِّي ذا الضعفَ منك وتُلْفى   عن ليالٍ أصحَّ هذي الصِّحاحِ
ذا شفاءٌ ودَعْ مقالــةَ هــذا   نــاك ذا أمَّــه بأيْــرِ رَباحِ[3]

فضحِك إسحاق وعُوَّادُه ، وأمر لأبي دُلامة بخمسمائة درهم . وكان الطبيب نصرانياً فقال : أعوذ بالله من شَرِّك يا رَكُل (يريد يا رجل) . وقال الطبيب : اقْبَلْ منِّي أصلحك الله ولا تسألني عن شيء قُدامَه . فقال أبو دلامة : أما وقد أخذتُ أُجْرَةَ صَفْقَتي[4] وقَضَيْتُ الحقَّ في نُصْح صديقي ، فانْعَتْ له الآن أنت ما أحببتَ .

---

1 ل : متطبب .

2 السحاح : السمان .

3 رباح : القرد .

4 لعلها صنعتي .

[تنادر بسلمة الوصيف في حضرة المهدي]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبو الشِّبْل عاصم بن وهب البُرْجُمي قال : دخل أبو دلامة على المهدي وبين يديه سلمة الوصيف واقفاً ، فقال : إني أهدَيْتُ إليك يا أمير المؤمنين مُهْراً ليس لأحد مثلُه . فإن رأيتَ أن تُشرِّفَني بقبوله . فأمره بإدخاله إليه . فخرج وأدخل إليه دابَّتَه التي كانت تحته ، فإذا به برْذَونٌ مُحَطَّمٌ أعْجَفُ هَرِمٌ . فقال له المهدي : أيُّ شيءٍ هذا وَيْلَك ! ألم تزعم أنه مهر ؟ . فقال له : أوَ ليس هذا سَلمةَ الوصيفَ بين يديك قائماً تسمِّيه الوصيفَ وله ثمانون سنة ، وهو عندك وصيفٌ ؛ فإن كان سلمة وصيفاً فهذا مُهْرٌ . فجعل سلمة يشتُمه والمهدي يضحك . ثم قال لسلمة : ويلَك ، إن لهذه منه أخوات ، وإن أتى بها في مَحْفِل فَضَحَك . فقال أبو دلامة : والله لأفضَحنَّه يا أمير المؤمنين ؛ فليس من مواليك أحدٌ إلا وقد وصَلَني غيرُه ، فإني ما شرِبت له الماء قط . قال : فقد حكمتُ عليه أن يشتري نفسه منك بألف درهم حتى يتخلَّص من يدك . قال : قد فعلتُ على أنْ لا يُعاود . فقال له : ما ترى ؟ قال : أفْعَلُ ، فلولا أني ما أخذت منه شيئاً قط ما فعلتُ[1] معه مثلَ هذه . فمضى سلمةُ فحملها إليه .

[أراد ابنه أن يخصيه فحكم زوجته]

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن سعد الكُراني قال حدثني الخليل بن أسد عن عبد الرحمن بن صالح قال : جاء ابن أبي دلامة يوماً إلى أبيه وهو في محفِلٍ من جيرانه وعشيرته جالس ، فجلس بين يديه ، ثم أقبل على الجماعة فقال لهم : إن شيخي ، كما ترون ، قد كَبِرَتْ سِنُه ، ورَقَّ جِلدُه ، ودَقَّ عظمُه ، وبِنا إلى حياته حاجة شديدة ، فلا أزال أُشير عليه بالشيء يُمْسِك رَمَقَه ويُبْقي قُوَّته ، فيخالفني فيه . وأنا أسألكم أن تسألوه قضاءَ حاجة لي أذكرها بحضرتكم ، فيها صلاحٌ لجسمه ، وبقاءٌ لحياته ، فأسعفوني بمسألته . فقالوا : نفعلُ حُباً وكَرامةً . ثم أقبلوا على أبي دلامة بألسنتهم وتناولوه بالعتاب حتى رضي وهو ساكت ، فقال قولوا للخبيث فليَقُلْ ما يُريد ، فستعلمون أنه لم يأت إلا ببليَّة . فقالوا له : قل . فقال : إن أبي إنما يقتله كثرةُ الجماع ، فتُعاونوني عليه حتى أُخْصِيَه ، فلن يقطعه عن ذلك غيرُ الخِصاء ، فيكونَ أصحَّ لجسمه وأطولَ لعمره . فعَجِبوا من ذلك وعلموا أنه إنما أراد أن يعبَث بأبيه ويخجِّله حتى يَشيعَ ذلك عنه فيرتفع له بذلك ذكر ، فضحِكوا منه . ثم قالوا لأبي دلامة : قد سمِعتَ فأجِبْ . قال : قد سمعتم أنتم وعرَّفتكم أنه لن يأتيَ بخير . قالوا : فما عندك في هذا ؟ قال : قد جعلتُ أُمَّه حَكَماً بيني وبينه فقوموا بنا إليها . فقاموا بأجمعهم فدخلوا إليها ، وقَصَّ

1 ل : ما استعملت .

أبو دلامة القصة عليها ، وقال لها : قد حكَّمتُكِ . فأقبلتْ على الجماعة فقالت : إن ابني ، أصلحه الله ، قد نصح أباه وبَرَّه ولم يألُ جُهْداً ، وما أنا إلى بقاء أبيه بأحْوَجَ مني إلى بقائه ، وهذا أمرٌ لم تقع به تجربةٌ منا ، ولا جرَتْ بمثله عادةٌ لنا ، وما أشكُّ في معرفته بذلك . فليبدأ بنفسه فلْيَخْصِها ؛ فإذا عُوفِيَ ورأينا ذلك قد أثَّر عليه أثراً محموداً استعمله أبوه . فنعَر أبوه وجعل يضحَك به ، وخَجِل ابنُه ، وانصرف القوم يضحكون ويعجبون من خُبْثهم جميعاً واتفاقِهم في ذلك المذهب .

[نبو السيف في يد المرواني]

أخبرني عمي قال حدثنا ميمون بن هارون عن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل عن أبيه قال : كان عند المهدي رجل من بني مروان ، فدخل إليه وسلَّم عليه . فأُتِي المهديُّ بعِلْج فأمر المَرْواني بضَرْبِ عُنُقِه ، فأخذ السيفَ وقام فضربه فنَبا السيفُ عنه ، فرمى به المرواني وقال : لو كان من سيوفنا ما نَبا . فسمع المهدي الكلام فغاظه حتى تغيَّر لونُه وبانَ فيه . فقام يَقْطِينٌ فأخذ السيفَ وحسَر عن ذراعيه ثم ضرب العِلْجَ فرمى برأسه ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، إن هذه سيوف الطاعة لا تعمَل إلا في أيدي الأولياء ولا تعمل في أيدي أهل المعصية . ثم قام أبو دُلامة فقال : يا أمير المؤمنين ، قد حضرني بيتان أفأقولهما ؟ قال : قل . فأنشده : [من الخفيف]

أيُّهذا الإمامُ سيفُك ماضٍ ... وبكفِّ الولي غيرُ كَهامِ[1]

فإذا ما نَبا بكفٍّ عَلِمْنا ... أنّها كفُّ مُبْغِضٍ للإمامِ

قال : فسُرِّيَ عن المهدي وقام من مجلسه ، وأمر حُجابه بقتل الرجل المرواني فقُتِل .

---

1 الكهام : السيف الكليل .

170 ـ [أخبار عبد الله بن المعتز][1]

وممن صنع من أولاد الخلفاء فأجاد وأحسن وبَرَع وتقدم جميعَ أهلِ عصره فَضْلاً وشرفاً وأدباً وشعراً وظرفاً وتصرفاً في سائر الآداب أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله .

[دفاع أبي الفرج عن مذهبه في الأدب]

وأمرُه ، مع قرب عهده بعصرنا هذا ، مشهور في فضائله وآدابه شهرةً تُشْرِكُ في أكثر فضائله الخاصَّ والعامَّ . وشعرُه إن كان فيه رِقةُ الملوكية وغَزَلُ الظُّرفاء وهَلْهَلةُ المُحدَثين[2] ، فإن فيه أشياء كثيرةً تجري في أسلوب المُجيدين ولا تقصُر عن مَدى السابقين ، وأشياءَ ظريفةً من أشعار الملوك في جنس ما هم بسبيله ، ليس عليه أن يتشبه فيها بفحول الجاهلية . فليس يمكن واصفاً لصَبُوح في مجلس شَكِلٍ ظريف ، بين نَدامى وقِيان ، وعلى ميادين من النَّوْر والبنفسج والنَّرجِس ومنضود من أمثال ذلك ، إلى غير ما ذكرته من جنس المجالس وفاخر الفُرُش ومختار الآلات ، ورِقة الخَدَم ، أن يَعْدِلَ بذلك عما يُشْبِهُه من الكلام السَّبْط[3] الرقيق الذي يفهمه كُلُّ مَن حضَر ، إلى جَعْد الكلام ووَحشيه ، وإلى وصف البِيد والمَهامِهِ والظَّبْي والظَّلِيم والناقة والجمل والديار والقِفار والمنازل الخالية المهجورة ؛ ولا إذا عدَل عن ذلك وأحسن قيل له مُسِيء ، ولا أن يُغْمَطَ حقّه كلَّه إذا أحسن الكثيرَ وتوسَّط في البعض وقَصَّر في اليسير ، ويُنْسَب إلى التقصير في الجميع ، لنشر المقابح وطَيِّ المحاسن . فلو شاء أن يفعل هذا كلُّ أحدٍ بمن تقدم لوجد مَساغاً . ولو أن قائلاً أراد الطعن على صدور الشعراء ، لقد رأى أن يطعن على الأعشى ، وهو أحدُ مَن يقدِّمه الأوائل على سائر الشعراء ، بقوله : «فأصاب حَبَّة قلبه وطِحالَها» . وبقوله : [من الطويل]

ويأمرُ لليَحْمومِ كلَّ عَشيَّةٍ بقَتٍّ وتَعْلِيقٍ فقد كاد يَسْنَقُ[4]

---

1 ترجمة عبد الله بن المعتز في أشعار أولاد الخلفاء : 107 والفهرست : 129 وتاريخ بغداد 10 : 895 ونزهة الألباء : 160 ومعجم الأدباء (عباس) : 1519 وابن خلكان 3 : 76 وعبر الذهبي 2 : 104 والوافي 17 : 447 ومرآة الجنان 2 : 225 والبداية والنهاية 11 : 108 والفوات 2 : 239 وشذرات الذهب 2 : 221 وكتب التاريخ في حوادث سنة 296 .

2 ل : المحدث .

3 السبط : السهل المرسل . والجعد : المعقد .

4 اليحموم : اسم فرسه . ويسنق : يصيبه البشم . وانظر دفاع ابن قتيبة عن هذا البيت في الشعر والشعراء : 185 .

وأمثال لهذا كثيرةٍ . وإنما على الإنسان أن يحفَظ من الشيء أحسنَه ، ويُلغِيَ ما لم يستحسنه ، فليس مأخوذاً به . ولكن أقواماً أرادوا أن يرفعوا أنفسَهم الوضيعةَ ، ويُشيدوا بذكرهم الخامل ، ويُعْلُوا أقدارَهم الساقطةَ بالطعن على أهل الفضل والقَدْح فيهم ، فلا يزدادون بذلك إلا ضَعَةً ، ولا يزداد الآخَرُ إلا ارتفاعاً . ألا ترى إلى ابن المعتز قد قُتِل أسوأ قِتْلة ، ودَرَج فلم يَبق له خَلَفٌ يقرظه ولا عَقِبٌ يرفع منه ، وما يزداد بأدبه وشعرِه وفضله وحُسْنِ أخباره ، وتصرُّفِه في كل فنٍّ من العلوم إلا رِفْعةً وعُلُواً . ولا نُظِر إلى أضداده كلّما ازدادوا في طعنه وتقريظ أنفسهم وأسلافهم الذين كانوا مِثْلَهم في ثَلْبه والطعنِ عليه ؛ زادوها سقوطاً وضَعَةً ، وكلّما وصفوا أشعارهم وقرظوا آدابهم ، زادوا بها ثِقلاً ومقتاً . فإذا وقع عليهم المُحَصِّل الموافق ، عدَلوا عن ثَلْبه في الآداب ، إلى التشنيع عليه بأمر الدين وهجاء آل أبي طالب ، وهو أول من فعل ذلك وشنَّع به على آل أبي طالب عند المُكْتَفي حتى نهاهم عنه ، فعدَلوا عن عَيْب أنفسهم بذلك إلى عيبه ، وارتكبوا أكثر منه . وأنا أذكر ذلك بعقب أخبار عبد الله ، مُصَرِّحاً به على شرحٍ إن شاء الله تعالى .

[علمه بصناعة الموسيقى]

وكان عبد الله حسن العلم بصناعة الموسيقى ، والكلام على النغم وعِللها . وله في ذلك وفي غيره من الآداب كتبٌ مشهورةٌ ، ومراسلاتٌ جَرَتْ بينه وبين عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وبين بني حمدون وغيرهم ، تدل على فضله وغزارة علمه وأدبه .

[كتاب عبيد الله بن عبد الله بن طاهر له]

ولقد قرأتُ بخطٍّ عبيد الله بن عبد الله بن طاهر رقعة إليه بخطه ، وقد بعث إليه برسالة إلى ابن حمدون في أنه يجوِّز ولا يُنكِر أن يغيِّر الإنسان بعضَ نَغَم الغناء القديم ، ويعدِلَ بها إلى ما يحسُن في حَلْقه ومذهبه . وهي رسالةٌ طويلةٌ ، وشاوره فيها . فكتب إليه عبيد الله : «قرأتُ ، أيدك الله ، الرسالة الفاضلة البارعة الموفَّقة . فأنا والله أقرؤها إلى آخرها ، ثم أعود إلى أولها مبتهجاً ، وأتأمل وأدعو مبتهلاً ، وعينُ الله التي لا تنام عليك وعلى نعمه عندك . فإنها ، علِم الله ، النعمةُ المعدومة المِثْل . ولقد تمثلت وأنا أُكرِّر نظري فيها قول القائل في سيدنا وابن سيدنا عبدِ الله بن العباس : [من الطويل]

كفَى وشَفى ما في النفوس ولم يَدَعْ لذي إرْبَةٍ في القول جِداً ولا هَزْلاً

ولا والله ما رأيتُ جِداً في هَزْلٍ ، ولا هَزْلاً في جِدٍّ يُشْبِه هذا الكلامَ في بلاغته وفصاحته وبيانه وإنارة برهانه وجزالة ألفاظه . ولقد خُيِّل إليَّ أن لسان جَدِّكَ العباس عليه السلام ينقسم على أجزاء ، فلك ، أعزك الله ، نصفُها ، والنصفُ الآخرُ مقسوم بين أبي جعفر المنصور

والمأمون رحمة الله عليهما . ولو أن هذه الرسالة جَبَهت الإبراهيمَيْن إبراهيمَ بنَ المهدي وإبراهيمَ الموصلي وابنَه إسحاق وهم مجتمعون لبُهِت منهم الناظر ، وأُخْرِس الناطق ، ولأقرُّوا لك بالفضل في السَّبْق ، وظهور حُجَّةِ الصِّدْقِ ، ثم كان قولُك لهم فَرْقاً بين الحق والباطل ، والخطأ والصواب . ووالله ما تأخذ في فنٍّ من الفنون ، إلا بَـرَّزْتَ فيه تبريز الجواد الرائع ، المُغَبِّرِ في وجه كل حِصان تابع . عَضَد الله الشرفَ ببقائك ، وأحيا الأدبَ بحياتك ، وجَمَّل الدنيا وأهلَها بطول عمرك» .

هذا كلام العقلاء وذوي الفضل في مِثْلِه ، لا كلام الثقلاء وذوي الجهل . والإطالة في هذا المعنى مُسْتَغْنىً عنها . والمشهورُ عنه وعن أضداده وما يأتي من أخباره بعد ذلك ففي معنى ما شَرَطتُه من جنس ما هو المَقْصِد في كتابي هذا .

فمن صنعة عبد الله بن المعتز في شعره على أنَّ أكثرها هذه سبيله فيها : [من البسيط]

أصوات له في أشعار مختلفة

صوت

هل تَرجِعنَّ ليالٍ قد مَضَيْنَ لنا والدارُ جامعـــةٌ أزمـانَ أزمانا

صنْعَتُه في بيتٍ واحدٍ ، ولحنُه ثقيلٌ أول .

ومـن صنعتـه في الثقيـل الأول أيضاً ، وفيه لعلويه رمل قديم ، وما لحنه بدون لحن علويه : [من الطويل]

صوت

سَقى جانبَ القَصْرَيْن فالدَّيْرَ فالحِمى إلى الشجـرِ المحفوفِ بالطِّين والمَدَرْ

ومن صنعته الظريفة الشَّكِلَةِ مع جودتها : [من الخفيف]

صوت

وابلائي مـن مَحْضَرٍ ومَغيبِ وحبيبٍ منِّـي بعيـدٍ قريبِ

لم تَرِدْ ماءَ وجهـه العينُ إلا شَرِقَـتْ قبـلَ رِيِّهـا برقيبِ

خفيف ثقيل ، ابتداؤه نشيد .

[زارته زرياب في يوم السعانين]

ومن صنعته ، وله خبر أخبرني به علي بن هارون بن المنجِّم عن زِرْيابَ قالت : زرتُ عبدَ الله بن المعتز في يوم السَّعانين ، فسُرَّ بورودي وصنع من وقته لحناً في شعر عبد الله بن العباس الرَّبيعي الذي له فيه هَزَجٌ وهو : [من مجزوء الرمل]

صوت

أنا في قلبي مِنَ الظَّبي كُلُومُ   فدعِ اللَّومَ فإنَّ اللَّومَ لُومُ
حبذا يومُ السَّعانين وما   نِلتُ فيه من سرورٍ لو يَدومُ

الشعرُ لعبد الله بن العباس ، ولحنه فيه هزج ، قالت : فصنَع عبد الله بن المعتز في البيت الثاني ، وبعده بيتٌ أضافه إليه ، هَزجاً وهو : [من مجزوء الرمل]

زارني مولايَ فيه ساعةً   ليتَه واللهِ ما عِشتُ يُقِيمُ

ولحنُ ابن المعتز «حبذا يوم السعانين» وهذا البيت خفيف رملٍ ، وهو من نهايات الأغاني التي صنعها .

ومن صنعته التي تَظارف فيها ومَلُح : [من الرمل]

زاحَمَ كُمِّي كُمَّه فالتَوَيا   وافقَ قلبي قلبه فاستَويا
وطالما ذاقا الهوى فاكتويا   يا قُرَّةَ العينِ ويا هَمِّي ويا

أراد هنا بقوله «ويا» ما يقوله الناس في حكاية الشيء الذي يخاطبون به الإنسان من جميل أو قبيح ، فيقولون : قلتُ له يا سيدي ويا مولاي ويا ويا ، وكذلك ضده ليُستغنى بالإشارة بهذا النِّداء عن الشرح . ولحنُ ابن المعتز في هذا هَزَجٌ .

[شعره في نشر]

حدثني جعفر بن قدامة قال : كنا عند ابن المعتز يوماً وعنده نشر وكان يحبها ويَهيم بها ، فخرجتْ علينا من صدر البستان في زمن الربيع ، وعليها غِلالةٌ مُعَصْفَرة وفي يديها جنابي[1] باكورة باقِلاً . فقالت له : يا سيدي تلعبُ معي جنابي ؟ فالتفتَ إلينا وقال على بديهته غيرَ متوقِّفٍ ولا مفكر : [من البسيط]

فدَيْتُ مَنْ مَرَّ يمشي في مُعَصْفَرةٍ   عَشيَّةً فسَقاني ثم حياني
وقال تلعَبُ جنابي فقلتُ له   مَنْ جادَ بالوصلِ لم يلعبْ بهِجرانِ[2]

وأمر فغنِّيَ فيه . غَنَّتْ فيما أرى فيه هَزارُ لحناً ، وهو رَمَلٌ مُطلَق .

[فرحه عندما شفي خادمه نشوان من الجدري]

حدثني جعفر قال : كان لعبد الله بن المعتز غلامٌ يحبه ، وكان يغنّي غِناءً صالحاً ، يقال

1 جنابي : لعلها وعاء يحمل على الجنب . والجنابي لعبة للصبيان .
2 مَن جادَ في ديوانه : من جدّ .

له «نَشْوانُ» . فجُدِر وجَزِع عبد الله لذلك جزعاً شديداً ، ثم عُوفِيَ ولم يؤثّر الجُدَري في وجهه أثراً قبيحاً . فدخلتُ إليه ذاتَ يومٍ فقال لي : يا أبا القاسم ، قد عُوفي فلانٌ بعدَك ، وخرج أحسنَ مما كان ، وقلتُ فيه بيتين وغنَّتْ زِرْيابُ فيهما رَمَلاً ظريفاً ، فاسمعهما إنشاداً إلى أن تسمعهما غناءً . فقلت : يتفضل الأميرُ ، أيده الله تعالى ، بإنشادي إياهما . فأنشدني : [من السريع]

لي قمــرٌ جُــدِّرَ لما استوى ... فــزاده حُسْناً فــزادتْ همومْ
أظنُّه غَنَّــى لشمسِ الضُّحى ... فنقَّطَتْـــهُ طَرَبـــاً بـــالنجومْ

فقلت : أحسنتَ واللهِ أيها الأمير . فقال لي : لو سمعتَه من زِرْيابَ كنتَ أشدَّ استحساناً له . وخرجتْ زِرْيابُ فغنَّتْه لنا في طريقةِ الرمل في أحسن غِناء ، فشربنا عليه عامة يومِنا .

[غضب عليه غلامه نشوان]

حدثني جعفر قال : غضِب هذا الغلام على عبد الله بن المعتز ؛ فجهَد في أن يترضاه ، فلم تكن له فيه حيلة . فدخلتُ إليه فأنشدني فيه : [من مجزوء الخفيف]

بأبـــي أنتَ قـــد تمـــا ... ديتَ في الهجرِ والغضبْ
واصطبـــاري على صـــدو ... دِكَ يومـــاً مـــن العَجَبْ
ليس لي إن فقَــدْتُ وجـ ... ـهَكَ في العيشِ من أَرَبْ
رحِـمَ اللهُ مَـــنْ أعـــا ... نَ على الصلحِ واحتَسبْ

قال : فمضَيتُ إلى الغلام ؛ ولم أزل أُداريه وأَرْفُقُ به حتى ترضَّيْتُه وجئتُه به ، فمرَّ لنا يومئذٍ أطيبُ يومٍ وأحسنُه ، وغنَّتْنا هَزارُ في هذا الشعر رملاً عجيباً .

[شعره في كره البنات]

أخبرني الحسين بن القاسم الكاتب قال حدثني إبراهيم بن خليل الهاشمي قال : دخلت يوماً إلى أبي عيسى بن المتوكل ، فوجدتُ عبدَ الله بن المعتز وقد جاءه مُسَلِّماً ، وسنُّه يومئذٍ دون عشرين سنة ، إذ دخل عليٌّ بن محمد بن أبي الشَّوارب القاضي ، فأكرمه أبو عيسى ونهض إليه . فلما استقر به المجلس قال لأبي عيسى : قد احتجتُ إلى مَعُونتك في أمر دُفِعتُ إليه لم أَستغنِ فيه عن تكليفك المعاونةَ . قال : وما هو ؟ قال : زوَّجتُ بنتاً من بناتنا رجلاً من أهلنا ، فخرج عن مذاهبنا ، وأساء عِشْرة أهلِه ، وجعل منزل عيسى بن هارون أكثرَ مَظانِّه وأوطانِه ، ويهدِّدنا ويُوعِدنا بشرِّه ، حتى لقد نالنا من عيسى بَسْطٌ ليده ولسانِه فينا بالقبيح والقولِ السيِّء ، وكثرةُ معاونته له على ما يُزْري بدينه ونسبه . وقد

توعدنا بأنه يكشِف وجهه لنا في معاونة صِهْرنا هذا الغاوي علينا . ولولا نسبه الذي فخرُه لنا وعارُه علينا ، لانتصفنا منه بالحق دون التعدي ، إلا أنّي أستعيذك منه . فقال له أبو عيسى : أنا أُوَجِّه إليه بعد انصرافك ، وأُراسله بما أنا المتكفل بعده بألا يعود إلى عِشْرته ، والضامن أن أرُدَّ هذا الصِّهْرَ إلى حيث تحب ويَقَعُ بموافقتك . فشكره ودعا له وانصرف . فقال أبو عيسى : ألا تَرَوْن إلى هذا الرجل النبيه الفاضل السَّرِي الشريف يُدفَعْ إلى مِثْل هذا ! طوبى لمن لم تكن له بنت . فقال عبدُ الله بن المعتز : أيها الأمير إن لولدك في هذا المعنى شيئاً قاله واستحسنه جماعةٌ ممن يعلم ويقول الشعر . فقال : هاته فِداك عمُّك . فأنشده لنفسه : [من الوافر]

وبِكْرٍ قلتُ موتى قبل بَعْلٍ ... وإن أُثْرى وعُدَّ من الصَّميمِ
أأمزُج باللِّئامِ دَمي ولَحْمي ... فما عُذري إلى النَّسَب الكريمِ

فقال له أبو عيسى : أمْتَعَ الله أهلَكَ ببقائك ، وأحسن إليهم في زيادة إحسانه إليك ، وجَمَّلَهم بكمال محاسنك ، ولا أرانا شرّاً فيك .

[شعره في دار يعمرها]

أخبرني الحسين بن القاسم قال حدثني عبد الله بن موسى الكاتب قال : دخلت على عبد الله بن المعتز وفي داره طبقاتٌ من الصُّنّاع ، وهو يبني دارَه ويُبَيِّضُها . فقلت : ما هذه الغرامةُ الحادثة ؟ فقال : ذلك السَّيلُ الذي جاء مُذْ ليالٍ أحْدَث في داري ما أحْوَجَ إلى الغرامة والكُلفة ، وقال : [من المتقارب]

ألا مَنْ لنفسٍ وأحزانِها ... ودارٍ تَداعَى بحيطانِها
أظَلُّ نهاريَ في شمسِها ... شقياً مُعَنىً ببنيانِها
أُسَوِّد وجهي بتبييضها ... وأهدِمُ كيسي بعُمرانِها

[صلاة النميري]

حدثني جعفر بن قدامة قال : كنت عند عبد الله بن المعتز ومعنا النميري ، وحضرتِ الصلاة ، فقام النميري فصلَّى صلاةً خفيفةً جِداً ، ثم دعا بعد انقضاء صلاته وسجد سجدةً طويلةً جداً ، حتى استثقله جميع مَن حضر بسببها ، وعبد الله ينظر إليه متعجباً ثم قال : [من المتقارب]

صلاتُك بين الوَرى نَقْرَةٌ ... كما اختلس الجَرْعَةَ الوالغُ

وتسجُدُ مـن بعدِها سَجْدَةً كما خُتِـم المِـزْوَدُ الفارغُ[1]

[شعره في بنت الكراعة]

أخبرني الحسين بن القاسم قال حدثني عبيد الله بن موسى الكاتب قال : كانت بنت الكراعة تألَف عبدَ الله بن المعتز ، وكان يحب غناءها ويستظرفها ويحبُّها ويواصل إحضارها ، ثم انقطعت عنه فقال : [من الخفيف]

ليتَ شِعري بمن تَشاغلْتِ بَعْدِي وهـو لا شك جاهـلٌ مغـرورُ
هكـذا كنـتُ مِثْلَـه في سرورٍ وغَـداً في الهمـومِ مِثْـلي يَصيرُ

[يرحم القبحَ فيهواه]

حدثني جعفر بن قُدامة قال : كنا عند ابن المعتز يوماً ومعنا النميري ، وعنده جاريةٌ لبعض بنات المغنّين تغنّيه ، وكانت محسنة إلا أنها كانت في غاية[2] من القبح ، فجعل عبدُ الله يُجَمِّشُها ويتعلَّق بها . فلما قامت قال له النميري : أيها الأمير ، سألتُك بالله أتتعشق هذه التي ما رأيتُ قط أقبحَ منها ؟ فقال عبدُ الله وهو يضحك : [من السريع]

قلبـيَ وثّـابٌ إلى ذا وذا ليس يـرى شيئـاً فيأباهُ
يَهيم بـالحُسنِ كما ينبغي ويرحَـمُ القُبْـحَ فيهواهُ

[شعره في خزامى]

أخبرنا الحسين بن القاسم قال حدثني أبو الحسن الأموي قال حدثني عبد الله بن المعتز قال : كانت خُزامى جاريةُ الضبط المغني تُنادمني وأنا حَدَثٌ ثم تركتِ النبيذَ . وكانت مُغنّية مُحسِنة شاعرةً ظريفةً . فراسلتُها مراراً فتأخرت عنّي ، فكتبتُ إليها : [من الطويل]

رأيتُكِ قـد أظهرتِ زُهْداً وتوبـةً فقد سَمُجَتْ من بعد توبتِك الخمرُ
فأهديتُ وَرْداً كـي يُذَكِّـر عِيشةً لمـن لم يُمَتِّعْنـا ببهجتهـا الدهرُ

فأجابت : [من الطويل]

أتـاني قريـضٌ يـا أميري مُحَبَّرٌ حَكـى ليَ نظمَ الدُّرِّ فُصِّلَ بالشَّذْرِ[3]
أأنكرتَ يـا ابـنَ الأكرمـينَ إنابتي وقد أفصحتْ لي ألْسُنُ الدَّهرِ بالزَّجْرِ

1 المزود : وعاء الزاد .
2 ل : نهاية .
3 الشذر : خرز تفصل به الجواهر في النظم .

وآذنني شَرْخُ الشَّبابِ بِبَيْنِه فيا ليتَ شعري بعد ذلك ما عُذْري

[شعره في الربيع]

حدثني جعفر بن قُدامة قال : كنت أُسْرح مع عبد الله بن المعتز في يومٍ من أيام الرَّبيع . بالعباسية[1] والدنيا كالجنة المزخرفة . فقال عبد الله : [من مجزوء الرمل]

حَبّذا آذارُ شهراً فيه للنَّوْر انتشارُ
ينقُصُ الليلُ إذا جا ءَ ويمتدُّ النهارُ
وعلى الأرض اخضرارٌ واصفرارٌ واحمرارُ
فكأنَّ الرَّوْضَ وَشْيٌ بالغتْ فيه التِّجارُ
نَقْشُه آسٌ ونسريـ ـنٌ ووَرْدٌ وبَهارُ

[هنأ عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بولاية ابنه شرطة بغداد]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولي قال : كتب عبد الله بن المعتز إلى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وقد استخلَف مؤنس ابنَه محمد بن عبيد الله على الشُّرطة ببغداد : [من الطويل]

فَرِحتُ بما أضعافُه دون قَدْرِكم وقلتُ عسى قد هَبَّ من نومه الدَّهْرُ
فترجِعُ فينا دولةٌ طاهريَّةٌ كما بدأتْ ، والأمرُ من بعده الأمرُ
عسى اللهُ ، إن الله ليس بغافلٍ ولا بدَّ من يُسْرٍ إذا ما انتهى العُسْرُ

فكتب إليه عبيدَ الله قصيدةً فيها : [من الطويل]

ونحنُ إذا ما نالنا مَسُّ جَفْوةٍ فمِنَّا على لأوائها الصَّبْرُ والعُذْرُ
وإن رجعتْ من نعمةِ اللهِ دولةٌ إلينا فمِنا عندَها الحمدُ والشكرُ

قال : وجاءه محمد بن عبيد الله بعقِب هذا شاكراً لتهنئته ، ثم لم يَعُدْ إليه مدةً طويلة . فكتب إليه عبدُ الله بن المعتز : [من المنسرح]

قد جئتنا مرةً ولم تَعُدِ ولم تَزُرْ بعدَها ولم تَعِدِ
لستُ أرى واجداً بنا عِوَضاً فاطْلُبْ وجَرِّبْ واسْتَقْصِ واجْتَهِدِ
ناولَني حبلَ وَصْلِهِ بيدٍ وهجرَه جاذباً له بيدِ
فلم يكنْ بينَ ذا وذا أَمَدٌ إلا كما بينَ ليلةٍ وغَدِ

1 العباسية : محلة ببغداد .

[أبيات من معلقة زهير]

صوت

[من الطويل]

أمِنْ أُمِّ أَوْفى دِمْنَةٌ لم تَكَلَّم ... بحَوْمانةِ الدَّرّاجِ فالمُتَثَلَّمِ
بها العينُ والآرامُ يَمْشِينَ خلْفَةً ... وأَطْلاؤها يَنْهَضْنَ من كلِّ مَجْثَمِ[1]
وقفتُ بها من بعد عشرينَ حِجَّةً ... فلأْياً عَرَفْتُ الدارَ بعد توهُّمِ
فلما عرَفتُ الدارَ قلتُ لِرَبْعها ... أَلا عِمْ صباحاً أيّها الرَّبْعُ واسْلَمِ
ومَنْ يَعْصِ أطرافَ الزِّجاج فإنه ... يُطيع العَوالي رُكِّبَتْ كلَّ لَهْذَمِ
ومَنْ هابَ أسبابَ المنيَةِ يَلْقَها ... ولو رامَ أسبابَ السماءِ بسُلَّمِ

عروضه من الطويل . الحَوْمانة ، فيما ذكر الأصمعي ، الأرض الغليظة ، وجمعُها حَوامِينُ . وقال غيره : الحَوْمانة : ما كان دون الرمل . والدَّرّاجُ والمتَثَلَّم : موضعان . وروى أبو عمرو عن بعض ولدِ زهير «الدُّراج» مضمومةَ الدال . والعِينُ : البَقَرُ . والآرام تسكن الجبال . خِلْفَةً : يذهب فَوجٌ ويجيء فَوجٌ يخلُفه مكانَه . ويُروى : مَجْثَم ومَجْثِم . فمن قال مَجْثَم قال : جَثَمَ يجثُم جُثُوماً ، ومَنْ قال مَجْثِم قال : جَثَمَ يَجْثِمُ جَثْماً ، واللأْيُ : البطء . الزِّجاجُ : جمعُ زُجٍّ . قال : وأصله أن القوم كانوا إذا أرادوا صلحاً قَلبوا زِجاج الرماح إلى فوق ، فإن أَبَوْا إلا الحربَ قلَبوا الأسِنة ، واللَّهْذَم : السِّنان المحدَّد ؛ يقال رمح لَهْذَمٌ وسِنانٌ لَهْذَمٌ : حاد . وأُم أَوْفى : امرأة كانت لزُهَيْر فطلَّقها . وله في ذلك خبرٌ يُذْكَر بعد هذا .

الشعر لزهير بن أبي سُلْمى . والغِناء للغريض ، ثاني ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى البِنصر عن إسحاق في الأول والثاني من الأبيات . وفيها لبَذْل الكبيرةِ ثقيلٌ أول بالبِنصر . ولعلويه في الثالث والرابع ثقيل أول . ولإبراهيم ثاني ثقيلٍ بالوسطى في الخامس والسادس . وفيهما ثقيل أول يقال إنه ليزيد حَوْراءَ .

1 الآرام : جمع رئم وهو الظبي الخالص البياض . أطلاء : جمع طلا وهو ولد البقرة .

[171] ـ نسب زهير[1] وأخباره

[نسبه]

هو زهير بن أبي سُلْمى . واسم أبي سُلْمى ربيعة بن رِياح بن قُرَّة بن الحارث بن مازن بن ثعلبة بن ثور بن هرمة بن الأصم بن عثمان بن عمرو بن أُدٍّ بن طابخة بن إلياس بن مُضَر بن نِزار . ومُزَيْنةُ أمُّ عمرو بن أُد هي بنت كلب بن وبرة .

[هو أحد الثلاثة المقدمين]

وهو أَحَدُ الثلاثة المُقَدَّمين على سائر الشعراء ، وإنما اختُلِف في تقديم أحد الثلاثة على صاحبيه . فأما الثلاثة فلا اختلافَ فيهم ، وهم امرؤ القيس وزهير والنابغة الذُّبياني .

[رأي جرير فيه]

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سَلام عن أبي قيس عن عِكرمة بن جرير عن أبيه قال : شاعرُ أهلِ الجاهلية زهير .

[رأي عمر فيه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا هارون بن عمر قال حدثنا أيوب بن سُوَيد قال حدثنا يحيى بن يزيد عن عمر بن عبد الله اللَّيثي عن ابن عباس قال : قال عمر بن الخطاب ليلةَ مَسيره إلى الجابية : أين ابن عباس ؟ فأتيته ؛ فشكا تخلُّفَ علي بن أبي طالب رضي الله عنه . فقلت : أَوَلَم يعتذر إليك ؟ قال بَلى ، قلت : فهو ما اعتذر به . ثم قال : أول مَن ريَّثَكم عن هذا الأمر أبو بكر . إن قومكم كرِهوا أن يجمعوا لكم الخلافةَ والنبوَّة ، ثم ذكر قصةً طويلةً ليست من هذا الباب فتركتها[2] أنا ، ثم قال : هل تَرْوي لشاعر الشعراء ؟ قلت : ومَنْ هو ؟ قال : الذي يقول[3] : [من الطويل]

ولو أنَّ حمـداً يُخلِدُ الناسَ أُخلِدوا ... ولكـنَّ حَمْـدَ الناسِ ليس بمُخْلِدِ

---

1 لزهير ترجمة في طبقات ابن سلام : 52 وشرح شواهد المغني : 48 والخزانة 2 : 332 والشعر والشعراء : 76 وقد نشر ديوانه بشرح ثعلب وطبع بدار الكتب المصرية (1944) وإليه نشير كما نشر شرح الأعلم الشنتمري (القاهرة 1323) وانظر شرح المعلقات للتبريزي .

2 انظر القصة مفصلة في تاريخ الطبري .

3 ديوانه : 236 وفيه بدلاً من «أخلدوا» «لم يمت» وفي رواية «لم تمت» وسيرد البيت فيما بعد بهذه الرواية .

قلت : ذاك زهير . قال : فذاك شاعرُ الشعراء . قلت : وبِمَ كان شاعرَ الشعراء ؟ قال : لأنه كان لا يُعاظِل في الكلام وكان يتجنَّب وَحْشيَّ الشعر ، ولم يمدح أحداً إلا بما فيه . قال الأصمعي : يعاظِل بين الكلام : يداخِل فيه . ويقال : يتبع حُوشيَّ الكلامِ ، ووَحْشيَّ الكلام ، والمعنى واحد .

[قدامة بن موسى يقدمه على الشعراء]

أخبرنا أبو خليفة قال قال ابن سَلام وأخبرني عمر بن موسى الجُمَحي عن أخيه قُدامة بن موسى ، وكان من أهل العلم : أنه كان يقدِّم زهيراً . قلت : فأي شيء كان أعجب إليه ؟ قال : الذي يقول فيه[1] : [من البسيط]

قـد جعلَ المبتغونَ الخيرَ من هَرِمٍ والسائلـونَ إلى أبوابـه طُرُقـا

[رأي جرير في شعره مرة أخرى]

قال ابن سلام وأخبرني أبو قيس العنبري ، ولم أَرَ بدوياً يَفي به ، عن عِكرمةَ بن جرير قال : قلتُ لأبي : يا أبتِ مَنْ أشعرُ الناس ؟ قال : أعن الجاهلية تسألني أم عن الإسلام ؟ قلت : ما أردتُ إلا الإسلام . فإذا ذكرتَ الجاهليةَ فأخبِرني عن أهلها . قال : زهيرٌ أشعرُ أهلِها . قلت : فالإسلام ؟ قال : الفرزدق نَبْعةُ الشعر . قلت : فالأخطل ؟ قال : يُجيد مَدْحَ الملوك ويُصيب وصف الخمر . قلت : فما تركتَ لنفسك ؟ قال : نَحَرْتُ الشعرَ نَحْراً .

[رأي الأحنف بن قيس فيه]

أخبرني الحسن بن علي قال أخبرنا الحارث بن محمد عن المدائني عن عيسى بن يزيد قال : سأل معاوية الأحنفَ بن قيس عن أشعر الشعراء ، فقال : زهير . قال : وكيف ؟ قال : ألقى عن المادحين فضولَ الكلام . قال : مِثل ماذا ؟ قال : مثل قوله : [من الطويل]

فما يَكُ من خيرٍ أَتَوْه فإنما تَوارَثَـهُ آبـاءُ آبائهم قَبْلُ

[مدح عمر بن الخطاب شعره]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شَبَّة قال حدثنا عبد الله بن عمرو القيسي قال حدثنا خارجةُ بن عبد الله بن سليمان عن زيد بن ثابت عن عبد الله بن أبي سفيان عن أبيه عن ابن عباس ، قال : وحدثَنيه غيره وهو أتمُّ من حديثه ، قال قال ابن عباس : خرجتُ مع عمر في أول غَزاةٍ غَزاها . فقال لي ذاتَ ليلةٍ : يا ابنَ عباس أَنْشِدْني لشاعر الشعراء . قلتُ : ومَنْ هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : ابنُ أبي سُلْمى . قلت : وبِمَ صار كذلك ؟ قال : لأنه لا يتبع

1 ديوانه : 49 .

حُوشي الكلام ، ولا يعاظِل من المنطق ، ولا يقول إلا ما يعرِف ، ولا يمتدح الرجلَ إلا بما يكون فيه . أليس الذي يقول[1] : [من الطويل]

إذا ابتـدَرتْ قَيسُ بنُ عَيْلانَ غايـةً   من المَجْـدِ مَـنْ يَسْبِقْ إليها يُسَوَّدِ
سبقـتَ إليهـا كلَّ طَلْـقٍ مُبَـرِّزٍ   سبُـوقٍ إلى الغايـاتِ غيرِ مُزَنَّـدِ[2]
كفعـلِ جوادٍ يَسْبِقُ الخيلَ عَفْوُهُ الـ   ـسِّراعَ وإن يَجْهَدْ ويَجْهَدْنَ يَبْعُدِ[3]
ولو كان حَمْدٌ يُخْلِـد الناسَ لم تَمُتْ   ولكنَّ حَمْـدَ النـاسِ ليس بمُخْلِدِ

أَنشِدْني له ، فأنشدتُه حتى بَرَقَ الفجرُ . فقال : حَسْبُكَ الآنَ ، اقرأ القرآن . قلت : وما أقرأ ؟ قال : اقرأ الواقعة ، فقرأتُها ونَزَل فأذَّن وصلَّى .

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدثني أبي قال حدثنا أحمد بن عبيد قال أخبرنا أبو عبيدة عن عيسى بن يزيد بن بكر قال قال ابن عباس : خرجت مع عمر ، ثم ذكر الحديثَ نحوَ هذا .

[استعاذ منه النبي فما قال شعراً حتى مات]

وجدتُ في بعض الكتب عند عبد الله بن شَبيب عن الزُّبير بن بكار عن حُمَيد بن محمد ابن عبد العزيز الزُّهري عن أخيه إبراهيم بن محمد يرفَعه : أن رسول الله ﷺ نظر إلى زهير بن أبي سُلْمى وله مائة سنة فقال : «اللهم أعِذْني من شيطانه» فما لاك بيتاً حتى مات .

[خرج أبوه مع خاله وابن خاله لغزو طيىء فمنعاه حقه في المغنم]

قال ابن الأعرابي وأبو عمرو الشيباني : كان من حديث زهير وأهلِ بيته أنهم كانوا من مُزَينة ، وكان بنو عبد الله بن غَطَفان جيرانَهم ، وقِدْماً ولدتْهم بنو مُرَّة . وكان من أمرِ أبي سُلْمى أنه خرج وخالَه أُسْعَد بنَ الغَدِير بن مُرَّة بن عَوْف بن سعد بن ذُبيان بن بَغِيض وابنه كعبَ بن أسعد في ناسٍ من بني مُرَّة يُغِيرون على طيىء ، فأصابوا نَعَماً كثيرةً وأموالاً فرجعوا حتى انتَهوْا إلى أرضهم . فقال أبو سُلْمى لخاله أسعد وابنِ خاله كعبٍ : أَفْرِدا لي سَهْمي ، فأَبَيا عليه ومنعاه حقَّه ، فكفَّ عنهما ؛ حتى إذا كان الليلُ أتى أُمَّه فقال : والذي أحلِف به لَتَقُومِنَّ إلى بعيرٍ من هذه الإبل فَلَتَقْعُدِنَّ عليه أو لأضربنَّ بسيفي تحت قُرْطَيْكِ . فقامت أُمُّه إلى

1 ديوانه : 234–236 .
2 الطلق : طلق اليدين بالعطاء . مزند : بخيل . وفي الديوان : غير مجلد وهو الحصان الذي لا يضرب للوصول إلى الغاية .
3 رواية الديوان :
كفضل جواد الخيل يسبق عفوه الـ   ـسراع وإن يجهدن يجهد ويُبعِد .

بعير منها فاعتنقتْ سَنامه ، وساق بها أبو سُلْمى وهو يرتجز ويقول : [من الرجز]

وَيْلٌ لأجمالِ العجوز منِّي إذا دنوتُ ودنـــونَ منِّي

كأنَّـني سَمَعْمَعٌ من جِنِّ

سَمَعْمَعٌ : لطيفُ الجسم قليلُ اللحم ، وساقَ الإبلَ وأُمَّه حتى انتهى إلى قومه مُزَيْنَةَ . فذلك حيث يقول : [من الكامل]

ولَتَغْـــدُرَنْ إبِـــلٌ مجنَّبَـــةٌ مـن عندِ أَسْعَدَ وابنِـه كعبِ

مُجَنَّبة : مجنوبة .

الآكليْـــن صَـرِيحَ قومِهمـــا أَكْلَ الحُبارى بُرْعُـمَ الرُّطْبِ

البُرْعُم : شجرة ولها نَوْرٌ . قال : فلبِث فيهم حيناً ، ثم أقبل بمُزَينة مُغِيراً على بني ذُبْيان . حتى إذا مُزَيْنَةُ أَسْهَلَتْ وخَلَّفتْ بلادَها ونظروا إلى أرض غَطَفانَ ، تطايروا عنه راجعين ، وتركوه وحدَه . فذلك حيث يقول : [من الكامل]

مَنْ يشتري فرساً لخيرٍ غَزْوُها وأَبَتْ عَشِيرةُ ربِّها أن تُسْهِلا

يعني أن تنزِل السَّهْلَ . قال : وأقبل حين رأى ذلك من مُزَيْنة حتى دخل في أخواله بني مُرَّة . فلم يزل هو وولدُه في بني عبد الله بن غَطَفان إلى اليوم .

[معلقته في مدح هرم بن سنان والحارث بن عوف]

وقصيدة زهير هذه أُغنِّي : [من الطويل]

أَمِنْ أُمِّ أَوْفى دِمْنَةٌ لم تَكَلَّمِ

قالها زهير في قَتْل وَرْد بن حابِس العَبْسي هَرِمَ بن ضَمْضَم المُرِّي الذي يقول فيه عَنترةُ وفي أخيه[1] : [من الكامل]

ولقد خَشِيتُ بأن أموتَ ولم تَدُرْ للحربِ دائرةٌ على ابنَيْ ضَمْضَمِ

ويمدح بها هَرِمَ بنَ سِنان والحارثَ بن عوف بن سعد بن ذُبيان المُرِّيَّيْن لأنهما احتملا دِيتَه في مالهما ؛ وذلك قول زهير : [من الطويل]

سَعى ساعيـاً غَيْظِ بنِ مُـرَّةَ بعدما تَبَزَّلَ مـا بـينَ العَشِيرةِ بالدَّمِ[2]

يعني بني غيظ بن مُرة بن عوف بن سعد بن ذُبيان .

1 من معلقته .

2 تبزل بالدم : تشقق بسفك الدم .

قال الأَثْرَمُ أبو الحسن حدثني أبو عبيدة قال : كان وَرْدُ بنُ حابس العبسي قتل هَرِمَ بنَ ضَمْضَم المُري ، فتشاجر عبسٌ وذُبيان قبل الصلح ، وحلف حصين بن ضمضم ألا يغسِل رأسَه حتى يقتل وَرْدَ بنَ حابس أو رجلاً من بني عَبْس ثم من بني غالب ، ولم يُطْلِع على ذلك أحداً ، وقد حَمَل الحمالةَ الحارثُ بن عوف بن أبي حارثة ، وقيل بل أخوه حارثة بن سِنان . فأقبل رجلٌ من بني عبس ثم أحدُ بني مخزوم ، حتى نزل بحُصَيْن بن ضَمْضَم . فقال له حُصَيْن : مَنْ أنت أيها الرجل ؟ قال : عَبْسيٌّ . قال : من أيِّ عَبس ؟ فلم يزل يَنتسِب حتى انتسب إلى بني غالب ، فقتله حُصَيْن . وبلغ ذلك الحارثَ بنَ عوف وهَرِم بن سِنان فاشتدَّ عليهما ، وبلغ بني عَبْسٍ فركِبوا نحو الحارث . فلما بلَغه ركوبُهم إليه وما قد اشتد عليهم من قَتْلِ صاحبِهم وأنهم يريدون قَتْلَ الحارث ، بعث إليهم بمائة من الإبل معها ابنُه ، وقال للرسول : قل لهم : الإبلُ[1] أحبُّ إليكم أم أنفُسكم ؟ فأقبل الرسول حتى قال لهم ذلك . فقال لهم الربيع بن زِياد : يا قوم إن أخاكم قد أرسل إليكم : «الإبلُ أحبُّ إليكم أم ابني تَقتلونه مكانَ قتيلكم» . فقالوا نأخذ الإبل ونصالح قومَنا ، ونُتِمُّ الصُّلْحَ . فذلك حين يقول زهير يمدح الحارثَ وهَرِماً : [من الطويل]

أمِنْ أُمِّ أَوْفى دِمْنــةٌ لم تَكَلَّمِ

وهي أول قصيدة مدح بها هَرِماً ، ثم تابع ذلك بعدُ .

[قصة تحمل الحارث بن عوف]

وقد أخبرني الحسين بن علي بهذه القصة ، وروايتُه أتمُّ من هذه ، قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا محمد بن إسحاق المسيَّبيّ قال حدثني إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز عمر بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه قال : قال الحارث بن عوف بن أبي حارثة : أتُراني أخطب إلى أحد فيردَّني ؟ قال نعم . قال : ومَن ذاك ؟ قال : أَوْسُ بنُ حارثة بن لأْم الطَّائيّ . فقال الحارث لغلامه : ارحَلْ بنا ، ففعل . فركبا حتى أتيا أَوْسَ بنَ حارثة في بلاده فوجداه في منزله . فلما رأى الحارثَ بنَ عوفٍ قال : مرحباً بك يا حارِ . قال : وبكَ . قال : ما جاء بك يا حارِ ؟ قال : جئتُك خاطباً . قال : لستَ هناك . فانصرف ولم يكلِّمْه . ودخل أوسٌ على امرأته مُغْضَباً وكانت من عبس . فقالت : مَنْ رَجُلٌ وقَفَ عليك فلم يُطِلْ ولم تكلِّمْه ؟ قال : ذاك سَيِّدُ العرب الحارث بن عوف بن أبي حارثة المُرِّي . قالت : فما لكَ لم تستنزله ؟ قال : إنه استحمَق . قالت : وكيف ؟ قال : جاءني

1 ل : اللبن .

خاطباً . قالت : أفتريد أن تزوج بناتِك ؟ قال نعم . قالت : فإذا لم تُزَوِّج سَيِّدَ العرب فمَنْ ؟ قال : قد كان ذلك . قالت : فتدارَكْ ما كان منك . قال : بماذا ؟ قالت : تَلْحَقُه فتردُّه . قال : وكيف وقد فَرَط مني ما فَرَط إليه ؟ قالت تقول له : إنك لَقِيتَني مُغْضَباً بأمرٍ لم تقدِّم[1] فيه قولاً ، فلم يكن عندي فيه من الجواب إلا ما سمعتَ ، فانصرِفْ ولك عندي كلُّ ما أحببتَ فإنه سيفعل . فرَكِب في أَثَرِهما . قال خارجةُ بن سِنان : فوالله إني لأسيرُ إذ حانت مني التفاتةٌ فرأيته ، فأقبلتُ على الحارث وما يُكَلِّمني غَماً ، فقلت له : هذا أوسُ بن حارثة في أَثَرِنا . قال : وما نصنع به ؟ امْضِ ! . فلما رآنا لا نقِف عليه صاح : يا حار ارْبَعْ عليَّ ساعةً . فوقفنا له فكلمه بذلك الكلام فرجع مسروراً . فبلغني أن أوْساً لما دخل منزلَه قال لزوجته ادْعِي لي فلانةَ (لأكبر بناته) فأتته ، فقال : يا بُنية ، هذا الحارث بن عوف سَيِّدٌ من سادات العرب ، قد جاءني طالباً خاطباً ، وقد أردتُ أن أُزوِّجَك منه فما تقولين ؟ قالت : لا تفعل . قال : ولِمَ ؟ قالت : لأني امرأة في وجهي ردَّةٌ[2] ، وفي خُلُقي بعضُ العُهدة[3] ، ولستُ بابنة عمِّه فيرعى رَحِمي ، وليس بجارِك في البلد فيَسْتَحِيَ منك ، ولا آمَنُ أن يرى منّي ما يَكره فيطلِّقَني فيكونَ عليَّ في ذلك ما فيه . قال : قُومي بارك الله عليكِ . ادْعِي لي فلانةَ (لابنتِه الوُسْطى) ؛ فدعتْها ، ثم قال لها مِثْلَ قوله لأختها ؛ فأجابته بمثل جوابها وقالت : إني خرقاء وليست بيدي صِناعة ، ولا آمن أن يرى مني ما يكره فيطلِّقني فيكونَ عليَّ في ذلك ما تَعْلَم ، وليس بابن عمي فيرعَى حقّي ، ولا جارَكَ في بلدك فيَسْتحْيِيَك . قال : قُومي بارك الله عليكِ . ادْعِي لي بُهَيْسةَ (يعني الصغرى) ، فأُتِيَ بها فقال لها كما قال لهما . فقالت : أنت وذاك . فقال لها : إني قد عرضت ذلك على أُختيكِ فأَبَتاه . فقالت ، ولم يذكر لها مقالَتَيْهما ، لكني والله الجميلةُ وجهاً ، الصَّناعُ يداً ، الرفيعةُ خُلُقاً ، الحسيبةُ أباً ، فإن طلَّقني فلا أَخلَف اللهُ عليه بخير . فقال : بارك الله عليكِ . ثم خرج إلينا فقال : قد زوَّجتُك يا حارثُ بُهَيْسَةَ بنتَ أَوْس . قال : قد قَبِلتُ . فأَمر أمَّها أن تُهَيِّئها وتُصْلِح من شأنها ، ثم أمر ببيت فضُرِب له ، وأنزله إيَّاه . فلما هُيِّئتْ بعث بها إليه . فلما أُدخِلت إليه لبِث هُنَيْهة ثم خرج إليَّ . فقلت : أَفَرَغْتَ من شأنك ؟ قال : لا والله . قلت : وكيف ذاك ؟ قال : لما مَدَدْتُ يدي إليها قالت : مَهْ ! أعند أبي وإخوتي !! هذا والله مالا يكون . قال : فأمر بالرِّحلة فارتحلنا ورحلنا بها معنا ، فسِرْنا ما شاء الله . ثم قال لي : تقدمْ فتقدمتُ ، وعدَل بها عن الطريق ، فما لبِثَ أن لَحِق بي . فقلت :

1 ل : تقدر .

2 ردة : قبح مع شيء من الجمال .

3 العهدة : الضعف .

أَفَرَغْتَ ؟ قال لا والله . قلت : ولِمَ ؟ قال : قالت لي : أكَما يُفْعَل بالأَمَةِ الجليبة أو السَّبِيَّةِ الأَخِيذة ! لا والله حتى تَنحَرَ الجُزُرَ ، وتذبح الغنمَ ، وتدعُوَ العربَ ، وتعمَلَ ما يُعْمل لمثلي . قلتُ : والله إني لأرى هِمَّةً وعقلاً ، وأرجو أن تكون المرأة مُنْجِبةً إن شاء الله . فرحلنا حتى جئنا بلادَنا ، فأحْضَرَ الإبلَ والغنمَ ، ثم دخل عليها وخرج إليَّ . فقلت : أفَرَغْتَ ؟ قال لا . قلت : ولِمَ ؟ قال : دخلتُ عليها أُريدها ، وقلتُ لها قد أحضَرْنا من المال ما قد تَرَيْنَ ، فقالت : والله لقد ذكرتَ لي من الشرف ما لا أراه فيك . قلت : وكيف ؟ قالت : أتفرُغ لنكاح النِّساء والعربُ تقتل بعضها ؟ (وذلك في أيام حرب عَبْس وذُبْيان) . قلت : فيكون ماذا ؟ قالت : اخرُجْ إلى هؤلاء القوم فأصْلِحْ بينهم ، ثم ارجعْ إلى أهلك فلن يفوتك . فقلت : والله إني لأرى هِمَّةً وعقلاً ، ولقد قالت قولاً . قال : فاخرُجْ بنا . فخرجنا حتى أتَيْنا القومَ فمشَيْنا فيما بينهم بالصلح ، فاصطلحوا على أن يحتسبوا القتلى ؛ فيؤخَذ الفضل ممن هو عليه ، فحملنا عنهم الدِّياتِ ، فكانت ثلاثةَ آلاف بعير في ثلاث سنين ، فانصرفنا بأجمل الذِّكْر . قال محمد بن عبد العزيز : فمُدِحوا بذلك ، وقال فيه زهير بن أبي سُلْمى قصيدتَه : [من الطويل]

أمِنْ أُمِّ أَوْفى دِمْنَةٌ لم تَكَلَّمِ

فذكرهما فيها فقال : [من الطويل]

تداركتما عَبْساً وذُبْيانَ بعدما ... تفانَوْا ودَقُّوا بينهم عِطْرَ مَنْشَمِ[1]
فأصبح يَجْرِي فيهمُ من تِلادكم ... مَغانمُ شَتَّى من إفالِ المُزَنَّمِ[2]
يُنَجِّمُها قومٌ لقومٍ غرامةً ... ولم يُهريقوا بينهم مِلْءَ مِحْجَمِ[3]

وذكر قيامهم في ذلك فقال : [من الطويل]

«صحا القلبُ عن سَلْمى وقد كاد لا يسلو»

وهي قصيدة يقول فيها[4] : [من الطويل]

---

1 المثل «دقوا بينهم عطر منشم» في الدرة الفاخرة وفصل المقال وجمهرة العسكري . ومنشم يقال : إنها امرأة من خزاعة كانت تبيع العطر كانوا إذا تقاتلوا اشتروا منها الكافور لموتاهم فتشاءموا منها . ويقال : أشأم من منشم . وهذه الأبيات من معلقة زهير .

2 إفال : جمع أفيل وهو الصغير من الإبل . والمزنم فحل بعينه .

3 ينجمها : يقسطها .

4 ديوانه : 109 .

تداركتُما الأحلافَ قد ثُلَّ عرشُها وذُبْيانَ قـد زَلَّتْ بأقْدامِها النَّعْلُ[1]

وهذه لهم شرفٌ إلى الآن . ورجَع فدخل بها ، فولَدَتْ له بنين وبنات .

[مدح هرماً وأباه وإخوته]

ومما مدح به هَرِماً وأباه وإخوتَه وغُنِّيَ فيه قولُه[2] : [من البسيط]

صوت

إن الخليطَ أجَـدَّ البـينَ فانفرقـا وعَلِقَ القلبُ مِـن أسماء ما عَلِقا

وأخلفتْكَ ابنةُ البَكْرِي مـا وعدتْ فأصبحَ الحبلُ منهـا واهناً خَلَقا[3]

قامت تَبَدَّى بذي ضال لِتَحْزُنَني ولا محالـةَ أن يشتاقَ مَـنْ عشِقا

بجيـدِ مُغْزِلَـةٍ أَدْمـاءَ خاذِلـةٍ مِـن الظباء تُراعـي شادناً خَرِقا

انفرق : انفعل ، من الفُرْقة . وأجَدَّ وجَدَّ بمعنىً واحد ، من الجِدِّ خلاف اللعب . والواهن والواهي واحد . والحبل : السَّبَبُ في المودّة . والضال : السِّدْرُ الصِّغارُ ، واحدتُها ضالَة . والجيد : العُنُق . والمُغْزِلةُ : الظبية التي لها غزال . والأَدْماء : البيضاء . والخاذلة : المقيمة على ولَدِها ولا تتبع الظباء . والشَّادِن : الذي قد شَدَنَ أي تحرك ولم يَقْوَ بعدُ . والخَرِق : الدَّهِشُ .

غَنَّى مالك في الأول والثاني من الأبيات خفيفَ رمَلٍ بالوُسطى ، وقيل إنه لابن جامع ، وقيل بل لحنُ ابن جامع بالبِنصر . وفي الثالث والرابع لابن المكّي رملٌ صحيحٌ من روايتَيْ بَذْل والهشامي .

وفي هذه القصيدة يقول يمدح هَرِماً[4] : [من البسيط]

قـد جعلَ المبتغون الخيرَ من هَرِمٍ والسائلـونَ إلى أبوابـه طُـرُقا

من يَلْقَ يومـاً على عِلاَّتـه هَرِماً يَلْقَ السماحةَ منـه والنَّدى خُلُقا

ليثٌ بعَثَّرَ يصطادُ اللُّيـوثَ إذا ما اللَّيْثُ كذَّبَ عن أقرانه صَدَقا[5]

---

1 الأحلاف : أسد وغطفان وطيء . وثل عرشها : مثل معناه هدم عرشها . انظر مجمع الميداني 1 : 153 وجمهرة العسكري 1 : 287 ومستقصى الزمخشري 2 : 34 . وزلت به النعل مثل آخر ، انظر مجمع الميداني 1 : 322 .

2 ديوانه : 32–35 .

3 واهناً في الديوان : واهياً .

4 الديوان : 49–54 .

5 الليوث في ل والديوان : الرجال . كذب : لم يصدق الحملة وتراجع .

يطعَنُهُم ما ارتَمَوْا حتى إذا اطَّعنوا ضاربَ حتى إذا ما ضارَبوا اعتنقا

[رثاؤه سنان بن أبي حارثة]

ومن مدائحه إياهم قوله يمدح أبا هَرِم سِنانَ بن أبي حارثة . وذكر ابنُ الكلبي أنه هوِي امرأةً فاستُهيم بها ؛ وتَفاقم به ذلك حتى فُقِد فلم يُعرَف له خبر . فتزعمُ بنو مُرَّة أن الجنَّ استطارتْه فأدخلتْه بلادَها ، واستعجلتْه لكَرَمه . وذكر أبو عبيدةَ أنه قد كان هَرِم حتى بلَغ مائةً وخمسين سنة ؛ فهام على وجهه خَرَفاً ففُقِد . قال : فزعمَ لي شيخٌ من علماء بني مُرَّة أنه خرج لحاجته بالليل فأَبْعَد ، فلما رجع ضَل فهام طولَ ليلته حتى سقط فمات ، وتبع قومُه أثرَه فوجدوه ميتاً . فرثاه زهير بقوله[1] : [من الكامل]

إن الرَّزِيَّــةَ لا رَزِيَّــةَ مِثلُهــا مـا تبتغي غَطَفانُ يـومَ أُضَلَّتِ

إن الرِّكابَ لتَبْتَغِـي ذا مــرَّةٍ بجَنُوب نَجْدَ إذا الشهورُ أُحَلَّتِ[2]

ينْعَيْـنَ خيرَ الناس عنـدَ شديدةٍ عَظُمَـتْ مصيبتُه هنـاك وجَلَّتِ

ومُدَفَّـعٍ ذاقَ الهَـوانَ مُلَعَّـنٍ راخيتَ عُقْـدةَ حَبْلـهِ فانحلَّتِ[3]

ولنِعْمَ حشوُ الدِّرْعِ كان إذا سَطا نَهِلَتْ مـن العَلَقِ الرِّماحُ وعَلَّتِ[4]

[أشعار له غنى فيها]

والذي فيه غناء من مدائح زهير قوله[5] : [من المتقارب]

صوت

أَمِنْ أُمِّ سَلْمى عرفتَ الطُّلولا بذي حُـرُضٍ ماثلاثٍ مُثُولا[6]

بَلِـينَ وتحسَبُ آياتِهـن على فَرْطِ حَوْلَيْنِ رَقّاً مُحِيلا[7]

المائل هاهنا : اللاطِئ بالأرض ، وفي موضع آخر : المنتصب القائم . وذو حُرُضٍ : موضعٌ . والحرض : الأُشْنان . وآياتُهن : علاماتُهن . وفَرْطُ حَولَيْن : تَقَدُّمُ حولين ،

1 ديوانه : 334—335 .

2 نجد في الديوان : نخل . ذو مرة : ذو عقل ورأي مبرم . وإذا الشهور أُحلت : دخلت الأشهر التي يحل فيها الغزو .

3 حبله في ل والديوان : كبله .

4 الشطر الأول في الديوان : «ولنعم حشو الدرع كان لها إذاً» .

5 ديوانه : 193—194 .

6 أم سلمى في الديوان : آل ليلى . ذو حرض : موضع .

7 المحيل : الذي أتى عليه الحول .

والفارِط : المتقدِّم .

غنّى في هذين البيتين إسحاق ، وله فيهما لحنان : أحدهما ثاني ثقيلٍ بإطلاق الوَتَر في مَجرى البِنْصر ، من كتابه . والآخر ماخُوريٌّ من مجموع غِنائه ، وروايته عن الهِشامي . وفيهمـا للزُّبير بن دَحمان خفيف ثقيلٍ أُول بالبِنْصر عن عمرو . يقول فيها : [من المتقارب]

إليـك سِنانُ الغَـداةَ الرَّحيـ ـلُ أَعْصِي النُّهاةَ وأُمْضِي الفُؤولا

جمع فأل ، أي لا أتطيَّر .

فـلا تأمَنِـي غَـزْوَ أَفْراسِهِ بَنِـي وائلٍ واحْذَرِيه جَديلا

وكيـف اتقـاءُ امرىءٍ لا يـؤو بُ بالقومِ في الغَزْوِ حتى يُطِيلا

ومن الغناء في مدائح هَرِم قوله[1] : [من البسيط]

صوت

قِفْ بالدِّيار التي لم يَعْفُها القِدَمُ بَـلى وغيَّرهـا الأَرواحُ والدِّيَمُ

كأنَّ عيني وقد سالَ السَّلِيلُ بهم وعَبرَةٌ مـا هُـمُ لـو أنّهم أَمَمُ

غَرْبٌ على بَكْـرةٍ أو لؤلؤٌ قَلِقٌ في السِّلكِ خانَ به رَبَّاته النُّظُمُ

الدِّيَمُ : جمع دِيمَة وهو المطر الذي يَدُوم يوماً أو يومين مع سكون . سال السَّلِيلُ بهم : أي ساروا فيه سيراً سريعاً . والسَّلِيلُ : وادٍ . وقولُه وعبرةٌ ما هُمُ أي هم عبرةٌ ، وما هاهنا صلةٌ . لو أنهم أَمَم أي قَصْدٌ كنتُ أزورهم . والأَمَمُ : بين القريب والبعيد . والقَلِقُ : الذي لم يستقر لما انقطع الخيط . والنُّظُمُ : جمعٌ واحدها نِظام ، شبَّه دموعَه بلؤلؤ انقطع سلكه ، وبماءٍ سال من الغَرْب .

الغناءُ في هذه الأبيات رملٌ لابن المكي بالوسطى عن عمرو . وذكر عمرو أن لإسحاق فيها لحناً أيضاً . وذكر يونس أن فيها لحناً لمالك .

صوت[2]

[من الكامل المرفل]

لِمَـن الدِّيـارُ بقُنَّـةِ الحَجْرِ أَقْوَيْـنَ مُذْ حِجَجٍ ومُـذْ دَهْرِ[3]

1 ديوانه : 145–148 .

2 ديوانه : 86–95 .

3 الحجر : موضع .

لَعِبُ الرِّياحُ بها وغَيَّرها ... بَعْدِي سَوافِي الرِّيحِ والقَطْرِ[1]

دَعْ ذا وعَدِّ القولَ في هَرِمٍ ... خيرِ الكُهولِ وسَيِّدِ الحَضْرِ

لو كنتَ من شيءٍ سوى بَشَرٍ ... كنتَ المُنَوِّرَ ليلةَ البدرِ[2]

القُنَّةُ : الجبل الذي ليس بمنتشر . أَقْوَيْنَ : خَلَوْنَ . والسَّوافِي : ما تَسْفِي الرياحُ . قال : والقَطْرُ مخفوضةٌ بنَسْقه على الرِّيح ، والقطرُ لا سَوافِي له . وهذا تفعله العرب في المجاورة ، وهو مثل قولهم : حُجْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ .

غَنَّى في هذه الأبيات سائبُ خاثر من رواية حَماد عن أبيه ، ولم يجنِّسه . وفيه ثقيلٌ أولُ بالبِنصر نَسَبه عمرو بن بانةَ إلى معبد ، ونَسبه غيرُه إلى سائب ، وإلى الأَوْسِيَّة مما ذكر حَبَشٌ . قال : وهي من قِيان الحجاز القدائم مولاةٌ للأَوْس .

ومنها قوله يمدح سِنانَ بن أبي حارثة[3] : [من الطويل]

صوت

صَحا القلبُ عن سَلْمى وقد كاد لا يَسْلُو ... وأَقْفَرَ من سَلْمى التَّعانِيقُ فالثِّقْلُ[4]

وقد كنتُ من سَلْمى سِنِينَ ثمانياً ... على صِيرِ أَمْرٍ ما يمُرُّ وما يَحْلُو

وكنتُ إذا ما جئتُ يوماً لحاجةٍ ... مَضَتْ وأَجمَّتْ حاجةُ الغَدِ ما تَخْلو

وكلُّ محبٍّ أَحدثَ النأيُ عندَه ... سُلُوَّ فؤادٍ غيرَ حُبِّكِ ما يَسْلُو

تأوَّبَني ذِكْرُ الأحِبَّةِ بعدَ ما ... هَجَعْتُ ودوني قُلَّةُ الحَزْنِ فالرَّمْلُ

فأقسمتُ جَهْداً بالمنازلِ من مِنىً ... وما سُحِقَتْ فيه المَقادِيمُ والقَمْلُ

لأَرْتَحِلَنْ بالفجرِ ثم لأَدْأَبَنْ ... إلى الليلِ إلاَّ أن يُعَرِّجَني طِفْلُ

وهل يُنْبِتُ الخَطِّيَّ إلا وَشِيجُه ... وتُغْرَسُ إلا في مَنابتها النَّخْلُ

التَّعانِيقُ والثِّقْلُ : موضعان . ويُروى : فالنَّخْل . وقولُه على صِيرِ أمرٍ : أي على شَرَف أمر . وأجَمَّتْ : دَنَتْ . وتأوبني : أتاني ليلاً . والتأويب : سَيْرُ يومٍ إلى الليل . سُحِقَتْ : حُلِقَتْ ، يقال سَحَف رأسَه وسَبَته وجَلَطَهُ : حَلَقَه . وقولُه «يُعَرجني طِفْلٌ» قال يقال الطفل : الليل ، ويقال الطِّفْلُ : مَغِيبُ الشمس ، وقال أبو عبيدة : الطفل : الحَزْنُ ،

1 الريح في الديوان : المور وهو التراب .

2 المنور في الديوان : المنير لليلة .

3 الديوان : 96–115 .

4 التعانيق والثِقل : أودية .

وإيقادُه نارَ التَّحْيير . والخَطِّيُّ : رِماحٌ نَسَبَها إلى الخَط وهي من جزيرة بالبحرين تُرْفَأ إليها سُفُنُ الرماح . والوشيج : القَنا واحدُها وَشيجةٌ . والوُشُوجُ : دخولُ الشيء بعضِه في بعض .

غنَّى إبراهيمُ الموصلي في الأول والثاني ثقيلاً أول بالبنصر من رواية الهشامي وعمرو . وغنَّى إبراهيم أيضاً في السادس والسابع والثامن خفيفَ ثقيلٍ . وفي الثالث لمعبد خفيفُ ثقيلٍ . ولعلويه في السابع والثامن خفيف رملٍ . وذكر حبشٌ أن لإبراهيم في الثامن لحناً ماخُورياً .

ومن الغناء في مدائحه هَرِماً قوله[1] : [من الوافر]

صوت

لِمَـن طَلَـلٌ برامـةَ لا يَرِيـمُ ... عَفـا وأحالَـه عَهْـدٌ قديمُ[2]

تَطالَعُنـي خيـالاتٌ لسَلْمى ... كما يَتطالَـعُ الدَّيْـنَ الغَرِيمُ

غَناه دحمان ثانيَ ثقيلٍ بالبِنصر عن عمرو . وعَفا : درس هاهنا ، وفي موضع آخر : كثُر ، وهو من الأضداد . وخيالاتٌ : جمع خيال .

[مدح عمر شعره في هرم بن سنان]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلَّبي قالا حدثنا عمر بن شَبَّة . وقال المهلَّبي في خبرٍ له عن الأصمعي قال : أُنشِد عمرُ بن الخطاب قولَ زهير في هَرِم بن سِنان يمدحه : [من الكامل]

دَعْ ذا وعَدِّ القـولَ في هَرِمٍ ... خيرِ الكهـولِ وسيِّـدِ الحَضْرِ

لو كنتَ من شيءٍ سوى بَشَرٍ ... كنتَ المنـوِّرَ ليلـةَ البـدرِ

ولأنتَ أَوْصَلُ مَنْ سَمِعتُ به ... لِشَوابِـكِ الأرحـام والصِّهْرِ

ولَنِعْمَ حَشْوُ الدِّرعِ أنـتَ إذا ... دُعِيَتْ نَـزالِ ولُجَّ في الذُّعْرِ

وأراك تَفْري مـا خَلَقْتَ وبعـ ... ـضُ القومِ يخلقُ ثم لا يَفْري

أُثْني عليكَ بمـا علمتُ وما ... أَسْلفتَ في النَّجَداتِ من ذِكْرِ

والسِّتْرُ دونَ الفاحشاتِ ولا ... يلقاكَ دونَ الخيرِ مـن سِتْرِ

فقال عمر : ذلك رسولُ الله ﷺ .

---

1 ديوانه : 306–308 .

2 الشطر الثاني في الديوان : «عفا وخلا له عهد قديم» .

[خلد ذكر هرم بشعره]

قال وقال عمر لبعض ولَدِ هَرِمَ : أنشِدْني بعضَ مَدْحِ زهيرٍ أباك ، فأنشده . فقال عمر : إن كان لَيُحْسِن فيكم القولَ . قال : ونحن والله إن كنّا لَنُحْسِن له العطاءَ . فقال : قد ذهب ما أعطيتموه وبَقِيَ ما أعطاكم .

[حلف هرم أن يعطيه كلما لقيه]

قال : وبلغني أن هَرِماً كان قد حَلَف ألا يمدحه زُهير إلا أعطاه ، ولا يسأله إلا أعطاه ، ولا يسلِّمَ عليه إلا أعطاه : عَبْداً أو وَلِيدَةً أو فَرَساً . فاستحيا زهيرٌ مما كان يقبَل منه ، فكان إذا رآه في ملأ قال : عُموا صباحاً غيرَ هَرِمٍ ، وخيرَكم استثنيتُ . وروى المهلّبي : وخيرَكم تركتُ .

[عمر يسأل عن الحلل التي كساه إياها هرم]

أخبرني الجوهري والمهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال : قال عمر لابن زهير : ما فعلتِ الحُلَلُ التي كساها هَرِمٌ أباك ؟ قال : أبلاها الدهر . قال : لكنَّ الحُلَلَ التي كساها أبوك هَرِماً لم يُبْلِها الدَّهر . وقد ذكر الهيثمُ بنُ عدِي أن عائشةَ خاطبتْ بهذه المقالةِ بعضَ بناتِ زُهَيْر .

[مديح لم يسبق إليه]

وقال أبو زيد عمر بن شبة : ومما سَبَقَ فيه زهير في مدح هَرِمٍ ولم يسبقه إليه أحد قولُه : [من البسيط]

قد جعلَ المبتغون الخيرَ من هَرِمٍ والسائلونَ إلى أبوابه طُرُقا
مَنْ يَلْقَ يوماً على عِلاَّته هَرِماً يَلْقَ السَّماحةَ منه والنَّدى خُلُقا
يطلبُ شأوَ امْرأين قَدَّما حَسَباً بَذَّا الملوكَ وبَذَّا هذه السُّوَقا
هو الجوادُ فإن يَلْحَقْ بشأوهما على تكاليفه فمِثْلُه لَحِقا
أو يسبقاه على ما كان من مَهَلٍ فمِثْلُ ما قدما من صالحٍ سَبَقا

[مدح عبد الملك بن مروان شعره في آل أبي حارثة]

أخبرني الجوهري والمهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال قال المدائني : قال عبد الملك بن مروان : ما يضرُّ مَنْ مُدِحَ بما مَدَح به زهيرٌ آل أبي حارثة من قوله : [من الطويل]

على مُكْثِريهم رِزْقُ مَنْ يَعْتَرِيهُمُ وعندَ المقلّين السماحةُ والبَذْلُ[1]

ألا يَمْلِكَ أمورَ الناس (يعني الخلافة) . قال ثم قال : ما ترك منهم زهيرٌ غنِيّاً ولا فقيراً إلا وصفه ومدحه .

---

1 يعتريهم : يقصدهم .

[مدح عثمان بن عفان شعراً له]

وقال ابن الأعرابي قال أبو زياد الكلابي : أنشد عثمان بن عفان قولَ زهير : [من الطويل]

ومهما تكن عند امرىءٍ من خَلِيقةٍ   وإن خالَها تخفى على الناس تُعْلَمِ

فقال : أحسن زهيرٌ وصدَق ، ولو أن رجلاً دخل بيتاً في جوف بيت لتحدث به الناس . قال وقال النبي ﷺ : «لا تَعْمَلْ عَمَلاً تَكْرَهُ أن يُتَحَدَّثَ عنك به» .

[تمثل عروة بن الزُّبير ببيت له]

قال وقال علي بن محمد المدائني حدثني ابن جَعْدويه : أنَّ عُروةَ بن الزُّبير لَحِقَ بعبد الملك بن مروان بعد قَتْلِ أخيه عبدِ الله بن الزُّبير . فكان إذا دخل إليه منفرداً أكرمه ، وإذا دخل عليه وعنده أهل الشام استخفَّ به . فقال له يوماً : يا أمير المؤمنين ، بئس المَزورُ أنت ؛ تُكْرِم ضيفَك في الخَلا ، وتُهِينه في المَلا ، وقال : لله دَر زهير حيث يقول[1] : [من الوافر]

فقَرِّي في بـلادكِ إن قومـاً   متى يَدَعُـوا بلادَهُـمُ يَهونوا

ثم استأذنه في الرُّجوع إلى المدينة ، فقَضى حوائجَه وأذِن له . وهذا البيت من قصيدة لزهير قالها في بني تميم ، وقد بلغه أنها حَشَدَتْ لغزو غَطَفان ؛ أولها : [من الوافر]

ألا أبلِـغْ لديـك بَنـي تَميمٍ   وقـد يأتيـك بالخبرِ الظَّنونُ

الظَّنون : الذي لستَ منه على ثقة . والظنِين : المُتَّهَم .

[شعره في الحارث بن ورقاء عندما أخذ إبله وغلامه]

وقال ابن الأعرابي : كان الحارث بن ورقاء الصَّيْداوي من بني أَسَد أغار على بني عبد الله بن غَطَفان فغَنِم فاستاق[2] إبلَ زهير وراعيَه يساراً . فقال زهير[3] : [من البسيط]

بان الخَلِيطُ ولم يـأْوُوا لمن تركوا   وزوّدوكَ اشتياقـاً أيَّـةً سَلَكوا[4]

وهي طويلة يقول فيها :

لئن حَلَلْتَ بجَـوٍّ في بَنـي أسَدٍ   في دِين عمرو وحالت بيننا فَدَكُ[5]

لَيأتيَنَّـك منّـي مَنْطِـقٌ قَـذَعٌ   بـاقٍ كما دَنَّسَ القُبْطِيَّـةَ الوَدَكُ[6]

---

1 ديوانه : 192 وفيه «فحلّي» .

2 فاستاق في ل : فاستخف .

3 ديوانه : 164–183 .

4 لم يأووا : لم يرحموا .

5 جو : واد . وفي دين عمرو : أي في طاعته .

6 قذع : قبيح . والقبطية : ثياب كتان بيض . الودك : الدسم .

فارْدُدْ يَسراً ولا تَعْنُف عليه ولا تَمْعَكْ بعِرضِك إنَّ الغادر المَعِكُ[1]
ولا تكونَنْ كأقوامٍ عَلِمْتُهُمُ يَلْوُون ما عندهم حتى إذا نُهِكُوا[2]
طابت نفوسُهمُ عن حقِّ خَصْمِهِمُ مخافةَ الشَّرِّ وارتدُّوا لما تَرَكوا

وفي هذه القصيدة مما يغنَّى فيه : [من البسيط]

صوت

أَهْوى لها أسْفَعُ الخدَّين مُطَّرِقٌ رِيشَ القوادم لم يُنْصَبْ له شَرَكُ[3]
وقد أكونُ أمامَ الحي تحمِلُني جَرْداءُ لا فَحَجٌ فيها ولا صَكَكُ

أهوى لها ، يَعني القطاة تقدم وصفُه إياها ، صقرٌ . ورواه الأصمعي : «هوى لها» وقال : هوى : انقض ، وأهوى : أوفى . ومُطَّرِقٌ : ريشُه بعضُه على بعض ليس بمنتشر ، وهو أعتقُ له . وقوله لم يُنْصَب له شَرَكٌ : أي لم يُصْطَدْ ولم يُذَلَّل . والقوادِم : العشرُ المتقدمات . والفَحَجُ : تباعُدُ ما بين الفخذين . والصَّكَكُ : اصطكاك العُرْقُوبين في الدواب ، وفي الناسِ الركبتين . قال : فلما أُنْشد الحارثُ هذا الشعرَ بعث بالغلام إلى زهير . وقيل : بل أُنْشد قولَ زُهير[4] : [من الوافر]

تَعَلَّمْ أنَّ شرَّ الناسِ حَيٌّ يُنادَى في شعارهم يَسارُ[5]
ولولا عَسْبُه لرَدَدْتُموه وشَرُّ مَنِيحَةٍ أَيْرٌ مُعارُ[6]
إذا جَمَحتْ نساؤكُم إليه أشظَّ كأنّه مَسَدٌ مُغارُ[7]
يُبَرْبِرُ حين يعدو من بعيدٍ إليها وهو قَبْقابٌ قُطارُ[8]

فرده عليه . فلامه قومه وقالوا له : اقتله ولا تُرْسِلْ به إليه ، فأبى عليهم . فقال زهير عند ذلك[9] : [من البسيط]

---

1 المعك : المطل .
2 نهكوا : شتموا .
3 مطرق : ريشه ليس منتشراً .
4 ديوانه : 300–301 .
5 الشعار : علامة القوم في سفرهم .
6 منيحة : عارية .
7 المسد : الحبل . والمغار : الشديد الفتل . وأشظ : أنعظ .
8 يبربر : يصوت . القبقاب : من القبقبة وهي هدير الفحل . وقطار : صفة من القطر أي يسيل .
9 ديوانه : 308 .

أبلغْ لديك بَنـي الصَّيْداء كُلَّهُمُ ... أن يَساراً أتانـا غيـرَ مَغلُولِ
ولا مُهانٍ ولكن عنـدَ ذي كَـرمٍ ... وفي حِبـالِ وَفيٍّ العَهْـدِ مأمولِ

وهي قصيدة . فقال الحارث لقومه : أيُّما أصْلَحُ : ما فعلتُ أو ما أردتُم ؟ قالوا : بل ما فعلتَ .

[يمدح بني غطفان وبني مرة]

قال ابن الأعرابي وحدثني أبو زياد الكِلابي : أن زهيراً وأباه وولدَه كانوا في بني عبد الله بن غَطَفان ، ومنزلهم اليوم بالحاجِر ، وكانوا فيه في الجاهلية . وكان أبو سلمى تزوج إلى رجل من بَني فهْر بن مرة بن عَوف بن سعد بن ذُبيان يقال له الغَدير ـ والغدير هو أبو بشامة الشاعر ، فولَدت له زهيراً وأُوْساً ، ووُلِد لزهير من امرأة من بني سُحَيْم . وكان زهير يذكر في شعره بني مرة وغَطَفان ويمدحهم . وكان زهير في الجاهلية سيِّداً كثيرَ المال حليماً معرفاً بالورع .

[هجا بني عليم ثم ندم]

قال وحدثني حماد الراوية عن سعيد الراوية عن سعيد بن عمرو بن سعيد : أنه بلغه أن زهيراً هجا آلَ بيتٍ من كلب من بني عليم بن جَناب ، وكان بلغه عنهم شيءٌ من وراءَ وَراءَ ، وكان رجل من بني عبد الله بن غَطَفان أتى بني عُلَيم ، وأكرموه لما نزل بهم وأحسنوا جِوارَه ، وكان رجلاً مُولَعاً بالقمار فنهَوْه عنه ، فأبى إلا المقامرة . قُمِرَ مرةً فردوا عليه ، ثم قُمِر أُخرى فردوا عليه ، ثم قُمِر الثالثة فلم يردُّوا عليه ، فترحَّل عنهم وشكا ما صُنِع به إلى زهير ، والعرب حينئذٍ يتَّقُون الشعراءَ اتقاءً شديداً . فقال : ما خرجتُ في ليلة ظَلْماءَ إلا خِفْتُ أن يُصيبني الله بعقوبة لهجائي قوماً ظلمتُهم . قال : والذي هجاهم به قوله[1] : [من الوافر]

عَفـا مـن آلِ فاطمـةَ الجِواءُ ... فيُمْـنٌ فالقَـوادِمُ فالحِساءُ[2]
فـذُو هاشٍ فميثُ عُرَيتِناتٍ ... عفَتْهـا الرِّيح بعدَك والسماءُ
جَرَتْ سُنُحاً فقلتُ لها أُجيزي ... نَـوىً مَشمُولةً فمتى اللقاءُ
كأنَّ أوابِـدَ الثِّيران فيهـا ... هجائـنُ في مَغابِنِهـا الطِّلاءُ
لقـد طالبتُهـا ولكلِّ شيءٍ ... وإن طالـت لَجاجتُـه انتهاءُ

1 ديوانه : 56–72 .

2 هذا موضع وكذلك ذو هاش وعريتنات في البيت التالي .

وقـد أغْـدو على شَرْبٍ كرامٍ نَشاوى واجديـن لمـا نشاءُ
لهـم طـاسٌ وراوُوقٌ ومِسْكٌ تُعَـلُّ بـه جلودُهـم وماءُ[1]

الجِواءُ : أرض . ويُمْنٌ والقوادمُ : في بلاد غَطَفان . والمِيثُ : جمع مَيْثاء . قال أبو عمرو : إذا كان مَسِيلُ الماء مثل نصف الوادي أو ثُلُثَيْه فهي مَيْثاء . والسماء هاهنا : المطر . والسانح : ما أقْبَل من شِمالك يريد يمينك . والبارِحُ : ضِدُّه . وقال أبو عبيدة : سمعت يونس بن حبيب يسأل رؤبة عن السانح والبارح فقال : السانح : ما ولاَّك ميامِنَه . والبارح : ما ولاَّك مشائمه . وأجيزي : انفُذِي . قال الأصمعي : يقال أجزتُ الواديَ إذ قطعتَه وخلَّفتَه ، وجُزْتُه : إذا سرتَ فيه فتجاوزتَه . والأوابِدُ : الوحشية . والهجائن : إبلٌ بِيضٌ . والمغابِن : الأرفاغ ، واحدها مَغْبِنٌ . ومشمولةٌ : سريعة الانكشاف . أخذه من الريح الشَّمال إذا كانت مع السحاب لم يلبث أن يذهب . وجعل مشمولة هاهنا في النوى لأن نيتهم كانت سريعة ، فأَجْرى ذلك مُجْرى الذَّمِّ ، فهذه السُّنُح .

غنى في الأول والثاني والسابع معبد ثقيلاً أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وذكر علي بن يحيى أن للغريض فيها خفيفَ ثقيل . وذكر حبشٌ أن فيه للهُذَلي ثانيَ ثقيلٍ بالوسطى . وفي الثالث والرابع مع بيت ليس لزهير أضيف إلى الشعر وهو : [من الوافر]

بنفسي مَـنْ تذكُّره سَقامٌ أعالجـه ومَطْلَبُـه عَنـاء

في هذه الأبيات الثلاثة خفيفُ ثقيل أول بالوسطى في مَجراها ، وذكر إسحاق أنه للغريض ، وغيرُه ينسبُه إلى ابن سريج وإلى ابن عائشة . وفي الرابع والخامس لعلويه رمل لا يُشك فيه من غِنائه .

[خاله أورثه الشعر]

وقال ابن الأعرابي حدثني أبو زِياد ، وذكر بعضَ هذا الخبر إسحاقُ الموصلي عن حماد الراوية وعن ابن الكلبي عن أبيه قال : وكان بشامة بن الغدير خال [زهير بن] أبي سُلمى ، وكان زهير منقطعاً إليه وكان معجباً بشعره . وكان بشامة رجلاً مُقعَداً ولم يكن له ولد ، وكان مُكثِراً من المال ، ومن أجل ذلك نزل إلى هذا البيت في غَطَفان لخُؤولتهم . وكان بشامةُ أحزم الناس رأياً ، وكانت غطفان إذا أرادوا أن يغزُوا أتَوْه فاستشاروه وصدَروا عن رأيه ، فإذا رجَعوا قسَموا له مِثْلَ ما يَقسِمون لأفضلهم ، فمن أجل ذلك كثُر ماله . وكان أسعدَ غطفان في زمانه . فلما حضره الموت جعل يَقْسِم مالَه في أهل بيته وبين بني إخوته . فأتاه زهير فقال : يا خالاه لو

1 طاسٌ في الديوان : راح .

قسمتَ لي من مالك ! فقال : والله يابن أختي لقد قَسَمْتُ لك أفضل ذلك وأجْزَلَه . قال : وما هو ؟ قال : شعري وَرِثْتَنِيه . وقد كان زهير قبل ذلك قال الشعرَ ، وقد كان أولَ ما قال . فقال له زهير : الشعر شيء ما قلتَه فكيف تعتد به عليَّ ؟ فقال له بشامة : ومن أين جئتَ بهذا الشعر ؟ لعلّك ترى أنك جئتَ به من مُزَيْنة ، وقد عَلِمت العرب أن حَصاتَها وعينَ مائها في الشعر لهذا الحي من غطفان ثم لي منهم ، وقد رويتَه عني . وأحذاه[1] نصيباً من ماله ومات .

[شعر بشامة بن الغدير]

وبشامة شاعر مجيد وهو الذي يقول : [من البسيط]

صوت

أَلا تَرَيْـنَ وقـد قطَّعتِني قِطَعاً ماذا من الفَوْتِ بين البخلِ والجودِ

إلا يكن وَرَقٌ يومـاً أراحُ بـه للخابِطـين فإني لَيِّـنُ العُودِ[2]

الغناء لإسحاق ثقيلٌ أول بالبنصر ، وقيل : إنه لإبراهيم .

[طلق زوجته أم أوفى ثم ندم]

قال ابن الأعرابي : أُمُّ أَوْفى التي ذكرها زهير في شعره كانت امرأته ، فولدتْ منه أولاداً ماتوا ، ثم تزوج بعد ذلك امرأةً أُخرى ، وهي أُم ابنَيْه كَعْب وبُجَيْر ؛ فغارت من ذلك وآذتْهُ ، فطلَّقها ثم نَدِم فقال فيها[3] : [من الوافر]

لَعَمْرُكَ والخطـوبُ مُغَيِّراتٌ وفي طـول المُعاشرةِ التَّقالي

لقـد باليْتُ مَظْعَـنَ أُمِّ أَوْفى ولكـن أُمُّ أَوْفـى مـا تُبـالي

فأمـا إذ نأيـتِ فـلا تقولي لـذي صِهْرٍ أذِلْتُ ولم تُذالي[4]

أصبتُ بَنِيَّ منكِ ونِلْتِ مني مـن اللذاتِ والحُلَـلِ الغَوالي

[رثاء ابنه سالم]

وقال ابن الأعرابي : كان لزهير ابنٌ يقال له سالم ، جميل الوجه حسن الشِّعر . فأهدى رجلٌ إلى زهير بُرْدَين ، فلَبِسهما الفتى وركِب فرساً له ، فمرَّ بامرأةٍ من العرب بماء يقال له النَّتاءة ، فقالت : ما رأيتُ كاليوم قط رجلاً ولا بُرْدَيْن ولا فرساً . فعثَر به الفرسُ فاندقَّتْ عُنُقه

---

1 أحذاه : أعطاه .

2 يقال : راحت الريح الشيء إذا أصابته . ويقال : ضبط الشجرة إذا شدها ونفض ورقها .

3 ديوانه : 342 .

4 أذالها : هزلها وأهانها .

وعُنُقُ الفَرس وانشقَّ البردان . فقال زهير يرثيه[1] : [من الطويل]

رأتْ رجلاً لاقى من العيش غِبطةً وأخطـأه فيهـا الأمـورُ العظائمُ
وشَبَّ لـه فيهـا بَنُونَ وتُوبِعتْ سلامـةُ أعـوامٍ لـه وغنـائمُ
فأصبحَ مَحبـوراً يُنَظِّـرُ حولَـه بغِبْطتـه لـو أنَّ ذلـك دائمُ[2]
وعندي من الأيامِ ما ليس عنده فقلـتُ تَعَلَّـمْ أنما أنـت حالمُ
لعلكِ يومـاً أن تُراعـي بفاجعٍ كما راعنـي يـوم النُّتاءةِ سالمُ

[هو وقومه شعراء]

قال ابنِ الأعرابي : كان لزهيرٍ في الشعر ما لم يكن لغيره ، وكان أبوه شاعراً ، وخالُه شاعراً ، وأُختُه سَلْمى شاعرةً ، وابناهُ كعبٌ وبُجَيْر شاعرين ، وأخته الخنساء شاعرةً ، وهي القائلة تَرثيه : [من الوافر]

وما يُغْني تَوَقِّـي الموتِ شيئاً ولا عَقْـدُ التَّمِيم ولا الغَضارُ[3]

والغضار : كان أحدهم إذا خَشيَ على نفسه يعلِّق في عُنُقه خَزَفاً أخضر .

[من الوافر]

إذا لاقـى منيَّتَـه فأمْسى يُساقُ بـه وقـد حَقَّ الحِذارُ
ولاقـاهُ مـن الأيـامِ يـومٌ كما من قَبْـلُ لم يَخْلُدْ قُدارُ[4]

وابن ابنِه المُضَرَّب[5] بن كعب بن زهير شاعرٌ ، وهو القائل : [من البسيط]

إني لأحبسُ نفسي وهي صاديةٌ عن مصعبٍ ولقد بانت ليَ الطُّرُقُ
رُعْوى عليـه كما أَرْعى على هَـرِمٍ جَـدّي زهير وفينا ذلك الخُلُقُ[6]
مَدْحُ الملوك وسَعْيٌ في مَسَرَّتهم ثم الغِنى ويـدُ الممدوحِ تنطلقُ

1 ديوانه : 341 .
2 محبور : منعم .
3 الموت في ل : المرء .
4 قدار : عاقر الناقة .
5 لقب المضرب لأنه شبب بامرأة من بني أسد فضربه أخوها مائة ضربة بالسيف ولم يمت وأخذ الدية (الشعر والشعراء 80-81) .
6 رعوى عليه : بقيا عليه .

[سبب تقديمه]

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال : مَنْ قَدَّم زُهَيْراً احتج بأنه كان أحسنَهم شعراً ، وأبعدَهم من سُخْفٍ ، وأجمعهم لكثير من المعاني في قليلٍ من الألفاظ[1] ، وأشدهم مبالغةً في المدح ، وأكثرهم أمثالاً في شعره .

[مرثية ابنه سالم]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الأصمعي قال : كان لزهير ابنٌ يقال له سالم ، وكان من أُمِّ كعب بن زهير ؛ فمات أو قُتل ، فجزِع عليه كعب[2] جزعاً شديداً ، فلامته امرأته وقالت : كأنه لم يُصَبْ غيرُك من الناس ! فقال : [من الطويل]

رأتْ رجلاً لاقى من العيشِ غِبطةً وأخطـأه فيهـا الأمـورُ العظائمُ
وشَبَّ لـه فيهـا بَنُونَ وتُوبعتْ سلامـةُ أعـوامٍ لـه وغنـائمُ
فأصبحَ محبـوراً ينظِّـرُ حولَـه بغبطتـه لـو أَنَّ ذلـك دائمُ
وعندي من الأيامِ مـا ليس عنده فقلـتُ لـه مهـلاً فإنّكَ حالِمُ
لعلك يومـاً أن تُراعِي بفاجعٍ كما راعنـي يـومَ النُّتاءةِ سالمُ

صوت

[من الطويل]

عَزَفْـتَ ولم تَصْرِمْ وأنتَ صَرومُ وكيـفَ تَصابي مـن يقال حليمُ
صَدَدتَ فأطْوَلْتَ الصدودَ ولا أرى وِصالاً على طول الصُّدودِ يدومُ

عروضه من الطويل . عزفت عن الشيء : إذا تركتَه وأَبَتْه نفسُك . قال ابن الأعرابي : يقول لم تَصْرِم صُرْمَ بَتاتٍ . ولكن صَرَمْتَ صُرْمَ دَلالٍ . وأطْوَلْتَ الصدودَ أي أطلته . وإنما قال هذا ضرورةً . الشعر للمَرّار بن سعيد الفَقْعَسي . والغِناء لإسحاقَ رمل .

---

1 ل : المنطق .

2 تقدم آنفاً أن الشعر لزهير وهو في ديوانه .

[172] ـ ذكر المرّار وخبره ونسبه[1]

[نسبه]

هو المَرَّار بن سعيد بن حبيب بن خالد بن نَضْلَةَ بن الأَشْيَم بن جَحْوان بن فَقْعَس بن طريف بن عمرو بن قُعَين بن الحارث بن ثَعْلبةَ بن ذُودان بن أَسَد بن خُزَيْمة بن مُدْرِكةَ بن إلياس بن مُضَر بن نِزارٍ . وأُمُّ المَرار بنتُ مَروان بن مُنقِذ الذي أغار على بني عامر بثَهْلان فقتل منهم مائةً بحبيب بن مُنْقِذ عمه ، وكانوا قتلوه .

وكان المرار قصيراً مُفْرِطَ القِصَرِ ضئيلَ الجسم . وفي ذلك يقول : [من الرجز]

عَـدُّونِيَ الثعلـبَ عنـدَ العَـددِ حتى استثاروا بِيَ إحدى الإحَدِ[2]

لَيْثـاً هِزَبْـراً ذا سلاحٍ مُعْتَـدِي يَرْمِـي بطَـرْفٍ كالحريـقِ المُوقَدِ

[يهاجي المساور بن هند]

وكان يُهاجي المُساوِر بن هند بن قيس بن زهير بن جَذيمة العبسي . وفيه يقول المرّار : [من الكامل]

شَقِيَتْ بنـو سَعْـدٍ بشِعْرِ مُساوِرٍ إن الشقـيَّ بكـل حبـلٍ يُخَنَّقُ[3]

والمساور القائل فيه : [من البسيط]

مـا سرَّني أن أُمِّي مـن بَني أَسَدٍ وأنَّ ربِّـيَ يُنْجِينـي مـن النـارِ

أو أنّهـم زوجّـوني مـن بناتهمُ وأنَّ لي كلَّ يـومٍ ألـفَ دينـارِ

والمَرَّار من مخضرمي الدولتين . وقد قيل : إنه لم يُدرِك الدولةَ العباسية .

[من مخضرمي الدولتين]

وقال هذه القصيدة وهو محبوس . ذكر محمد بن حَبِيب عن ابن الأعرابي عن المُفَضَّل والكوفيين : أن المَرَّار بن سعيد كان أتى حُصَيْنَ بن بَراق من بني عبس ، فوقف على

1 للمرار الفقعسي ترجمة في الخزانة 4 : 288 والسمط : 231 والمؤتلف : 176 ومعجم المرزباني : 408 والشعر والشعراء : 588 .

2 إحدى الإحد : الأمر العظيم .

3 المثل «إن الشقي بكل حبل يخنق» في جمهرة العسكري 1 : 137 .

بيوتهم فجعل يحدِّث نساءهم ويُنشِدهنَّ الشعرَ . فنظروا إليه وهم مجتمعون على الماء فظنُّوا أنه يَعِظُهُنَّ . ثم انصرف من عند النساء حتى وقف على الرجال . فقال له بعضهم : أنت يا مَرَّارُ تَقِفُ على أبياتنا وتُنشد النساءَ الشعر ؟ فقال : إنما كنتُ أسألهن . فجرى بينه وبينهم كلامٌ غليظ ، فوثَبوا عليه وضرَبوه وعقَروا بعيره ؛ فانصرف من عندهم إلى بني فَقْعَس فأخبرهم الخبرَ ، فركبوا معه حتى أَتَوْا بَني عَبْس فقاتلوهم فهزموهم ، وفقأتْ بنو فقعس من بني عبس عيناً وقتلوا رجلاً ثم انصرفوا . فحمل أبو شداد النصري لبني عباس مائتي بعير وغلَّظوا عليهم في الدية . ثم إن بدر بن سعيد أخا المَرار قال : قد استوفتْ عبس حقَّها ، فعلامَ أترك ضَرْبَ أخي وعَقْرَ جَمَله ! فخرج حتى أتى جِمالاً لبني عبس في المرعى فرمى بعضَها فعقَرها ثم انصرف . فقال للمرَّار : إنه والله ما يُقْنِعُ بهذا ولكن اخرُجْ بنا . فخرجا حتى أغار على إبلْ لبني عبس فطرداها وتوجها بها نحو تَيْماءَ . فلما كانا في بعض الطريق انقطع بِطانُ راحلة بدر فنَدَرَ[1] عن رَحْلِه . فقال له المرار : يا أخي أطِعْني وانصرِفْ ودَعْ هذه الإبلَ في النار . فأبى عليه . ثم سارا ، فلما كانا في بعض الطريق عرَض لهما ظبيٌ أعْضَبُ[2] أحد القرنين . فقال المَرَّار لبدر : قد تطيَّرتُ من هذا السفر ، ولا والله ما نرجع من هذا السَّفر أبداً ، فأَبى عليه بدرٌ . فتفرقت عبسٌ فرقتين في طلب الإبل ، فعمَدت فرقةٌ إلى وادي القُرى ، وفرقةٌ إلى تَيماء ؛ فصادفوا الإبل بتَيماء تُباع ، فأخذوا المَرار وبَدْراً فرفعوهما إلى الوالي . وعُرِفتْ سِماتُ عبسٍ على الإبل فدُفِعتْ إليهم ، ورُفِع المَرار وأخوه إلى المدينة فضُرِبا وحُبِسا ، فمات بدرٌ في الحبس . فكلَّمتْ عِدَّةٌ من قريش زيادَ بن عبد الله النَّصْرِي في المَرار فخلاه . وقال في حبسه : [من الطويل]

صَرَمْـتَ ولم تَصْـرِمْ وأنتَ صَرُومُ

وهي طويلة .

[مات أخوه بدر في الحبس فرثاه]

وقال يرثي أخاه بدراً : [من الطويل]

أَلا يـا لَقومي للتَّجَلُّدِ والصبرِ	وللقدَرِ الساري إليكَ وما تَدْرِي
وللشيء تَنْساه وتذكُـرُ غيرَه	وللشيء لا تَنْساه إلا علـى ذُكرِ
ومـا لكما بالغيبِ عِلْـمٌ فتُخْبِرا	وما لكما في أمـر عثمانَ من أمرِ

1 ندر عن رحله : سقط .
2 أعضب : مكسور .

وهي طويلة يقول فيها : [من الطويل]

ألا قاتــل اللهُ المقاديــرَ والمُنــى وطيراً جرَتْ بين السُّعافات والحِبْرِ[1]
وقاتـلَ تكذيبـي العِيافــةَ بعدما زجرتُ فما أغْنى اعتيافي ولا زَجْري
تَروَّحْ فقد طـالَ الثَّواءُ وقُضِّيَتْ مَشارِيطُ كانت نحوَ غايتها تجري

المشاريط : العلامات والأمارات .

ومــا لقُفُولٍ بعــد بــدرٍ بشاشةٌ ولا الحـيٌّ آتيهم ولا أوبةِ السَّفْرِ[2]
تُذَكِّــرني بــدراً زعازعُ حَجْرةٍ إذا عَصَفَتْ إحدى عَشيَّاتها الغُبْرِ

الزعازعُ : الشديدةُ الهُبوب . والحَجْرة : السنة الشديدة .

إذا شَوْلُنا لم نُوْتَ منها بمِحْلَبٍ قَرى الضَّيفَ منها بالمهند ذي الأَثْرِ[3]
وأضيافُنــا إن نبَّهونــا ذكرتُــه فكيف إذاً أنساه غابــرةَ الدهرِ
إذا سَلَّــم الساري تهلَّــلَ وجهُه على كل حالٍ من يَسارٍ ومن عُسْرِ
تذكَّرتُ بدراً بعدَ ما قيل عارفٌ لما نابَــه يا لَهْفَ نفسي على بدرِ[4]
إذا خَطَرتْ منه على النفسِ خَطْرةٌ مَرَتْ دمعَ عيني فاستَهلَّ على نَحْري[5]
ومــا كنتُ بكَّاءً ولكن يَهيجُ لي على ذِكْره طِيبُ الخلائقِ والخُبْرِ[6]
أعينَـي إنّي شاكــرٌ مــا فعلتما وحُــقَّ لمــا أَبْلَيْتُماني بالشكرِ
سألتُكما أن تُسْعِداني فجُدْتُما عَوانَيْن بالتَّسْجامِ باقِيَتَيْ قَطْرِ[7]
فلمــا شَفاني اليأسُ عنــه بسَلْوةٍ وأَعْذرتُما لا بـل أَجَلَّ من العذرِ
نَهَيْتُكمــا أن تُسْهِــراني فكنتُما صَبُورَيْن بعـد اليأس طاوِيَتَيْ غُبْرِ

يقول : طويتما أغبارَ دمعكما . والأغبار : البقايا كأغبار اللَّبن .

---

1 الحبر في ل : الحجر .
2 لقفول في ل : لقفولي .
3 الشول : النوق التي قل لبنها . واحدتها شائلة .
4 عارف : صابر .
5 مرت دمعه : أسالته . واستهال : سال .
6 يهيج في ل : يهيجني .
7 عوانين : أي تسعدانه بمواصلة البكاء .

[أضافه قرشي بالأبطح]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني رجل عن واصل بن زكريا بن المرار أن المرار قال : خرجتُ حاجّاً فأَنَخْتُ بناحية الأبطح ، فجاء قوم فنَحَّوني عن موضعي وضربوا فيه قُبَّةً لرجل من قريش . فلما جاء وجلس أتيتُه فقلتُ : [من الرجز]

هــذا قَعُودِي بارِكاً بالأَبْطَحِ عليــه عِكْما أَكْمُرٍ لم تُفْتَحِ[1]

فقال : وما قصتك ؟ فأخبرتُه . فقال : والله لا تفتحُ منهما شيئاً حتى تنصرفَ ، فأَقِمْ معنا ، يدُك مع أيدينا ، وقَعُودُك مع أَباعِرِنا . فوالله ما فتحتُ العِدْلَيْن حتى انصرفتُ بهما إلى أهلي . فما هجاني أحد قطُّ هِجاءَه .

[شعره في الحبس]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعي قال حدثنا أبو غسان دَماذ عن أبي عبيدة قال أخبرني أبو مَوهَبٍ رُتَيْلٌ الزُّبيري أحدُ بَني زَبَير بن عمرو بن قُعَيْن قال : كان المَرَّار بن سعيد وأخوه بدرٌ لصَّيْن ، وكان بدرٌ أشهرَ منه بالسرقة وأكثرَ غاراتٍ على الناس . فأغار بدر على ذَوْدٍ لبعض بني غَنْم بن ذُودان فطردَها ، فأُخِذ ورُفِع إلى عثمانَ بن حَيَّان المُرِّي ، وهو يومئذٍ على المدينة فحبسه . وطرَد المَرَّارُ طَرِيدةً فأُخِذ معها وهو يَبيعها بوادي القُرى أو ببِرْمةَ ، فرُفِع إلى عثمانَ بن حَيان فحبسَه . قال : فاجتمعا ومكثا في السجن مدةً ؛ ثم أفْلَتَ المَرارُ وبقيَ بدرٌ في السجن حتى مات محبوساً مقيَّداً . فقال المَرَّار وهو في الحبس : [من الطويل]

أنارٌ بَدَتْ من كُوَّةِ السِّجْنِ ضوؤُها عشيَّة حَلَّ الحَــيُّ بالجَرَعِ العُفْرِ
عَشِيَّة حَــلَّ الحيُّ أرضاً خَصيبةً يَطِيبُ بها مَسُّ الجنائبِ والقَطْرِ[2]
فياويلتــا سجنُ اليمامــةِ أطْلِقا أسيرَكما يَنْظُرْ إلى البرقِ ما يَفْرِي[3]
فإن تفعــلا أَحْمَدْكُما ولقد أَرى بأنّكما لا ينبغــي لكما شكري
ولو فارقتْ رجلي القيودُ وجدتُني رفيقاً بنَصِّ العِيسِ في البلدِ القَفْرِ
جديــراً إذا أُمسي بأرضٍ مَضَلَّةٍ بتقويمها حتى يُرى وَضَحُ الفجرِ

1 العكم : العدل . والأكمر : تمر لم ينضج على النخل .

2 الجنائب : جمع جنوب وهي الريح .

3 يفري : البرق يشق الظلام .

[شعره في خصومه]

وقال أبو عمرو الشيباني : كان بين المَرار بن سعيد وبين رجل من قومه لِحاءٌ ، فتقاذفا[1] وتسابا ، ثم صارا إلى الضرب بالعصا[2] ؛ فقال في ذلك : [من الوافر]

صوت

أَلَـم تَرْبَـعْ فتُخْبِرَكَ المَغاني فكيف وهُنَّ مُذْ حِجَجٍ ثَمانِ

بَرِئتُ من المنازلِ غيرَ شَوْقٍ إلى الدارِ التـي بِلَـوى أَبانِ

لإسحاق في هذين البيتين هَزَجٌ بالخِنْصر في مجرى البنصر من كتاب ابن المكي .

[أخوه بدر شاعر]

وكان بدر بن سعيد أخو المَرّار شاعراً وهو الذي يقول[3] : [من البسيط]

صوت

يا حَبَّذا حين تُمْسي الريحُ باردةً وادِي أُشَيٍّ وفِتْيانٌ بـه هُضُمُ[4]

مُخَدَّمُونَ كِـرامٌ في مجالسِهم وفي الرِّحـال إذا لاقيتَهم خَدَمُ

وما أُصاحِبُ من قوم فأذكُرهم إلاَّ يَزيدُهُـمُ حُبـاً إليَّ هُمُ

الغناء لابن محرز ثاني ثقيل بالخنصر والبنصر عن ابن المكي . وفيه لمتيَّم خفيف رملٍ . وذكر حبشٌ ، أن الثقيل للهُذلي . وفيه لمحمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر ثقيلٌ أولُ عن الهشامي .

[صوت ابن صاحب الوضوء في شعر النابغة]

صوت

[من الطويل]

خَطاطِيفُ حُجْـنٌ في حِبالٍ مَتينةٍ تَمُـدُّ بهـا أيـدٍ إليـكَ نَوازِعُ

---

1 ل : تقاذعا .

2 ل : بالحصى .

3 تنسب هذه الأبيات إلى زياد بن منقذ ولغيره (لسان العرب مادة «هضم» وشرح الحماسة للتبريزي) .

4 هضم : جمع هضوم ، أي يبدون المال بالإنفاق .

فإن كنتَ لا ذا الضِّغْنِ عنّي مكذِّبا ولا حَلفـي عنـد البَراءةِ نـافعُ
فإنَّكَ كالليـلِ الذي هو مُدْرِكي وإن خِلتُ أن المُنْتأى عنك واسِعُ

عروضه من الطويل . يقول : أنا في قَبْضتِك متى شئتَ قدَرْتَ عليَّ كأني في خَطاطِيفَ تَجْذِبُني إليك ولا أَقْدِر على الهرب منك . ويُرْوى «وإن خلتُ أن المُنْتوى» أي الموضع الذي أنتَوي قصده . والمُنْتـأى : المُفْتَعَل من النأي . والحُجْن : المُعْوجَّةُ . والنوازِع : الجواذِب . والضِّغْن : الحقد .

الشعر للنابغة الذُّبياني . والغناء لابن صاحبِ الوضوء من رواية إسحاقَ وعمرو ماخُوري بالبِنْصِر .

* * * *

الفهرس